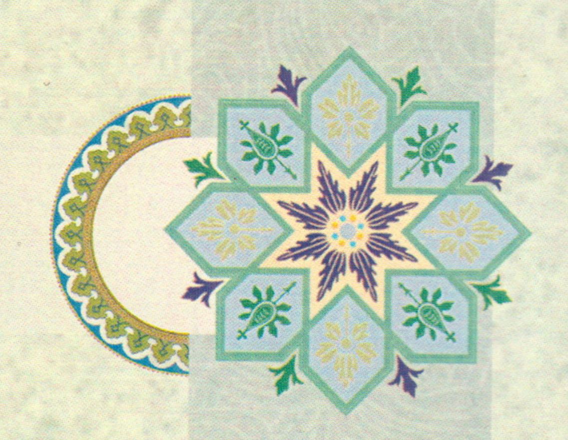


السيد جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ ...

الجزء الخامس



مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ



دفتر مركزى:

قم - خيابان ارم (آيت الله مرعشى) - كوچه ارک - پلاک ۳۲ - ۳٤.

تلفن: ۰۲۵۳۷۷۳۵۰۰۸

همراه ۰۹۳۳٤٤۹۰۱٦۰

فكس: ۰۲۵۳۷۷٤۷۸۵٤

Email: info@al-ameli.com

Website: www.nt-ameli.com

www.al-ameli.com

www.al-ameli.net

www.al-ameli.org

telegram: @alameli

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الخامس



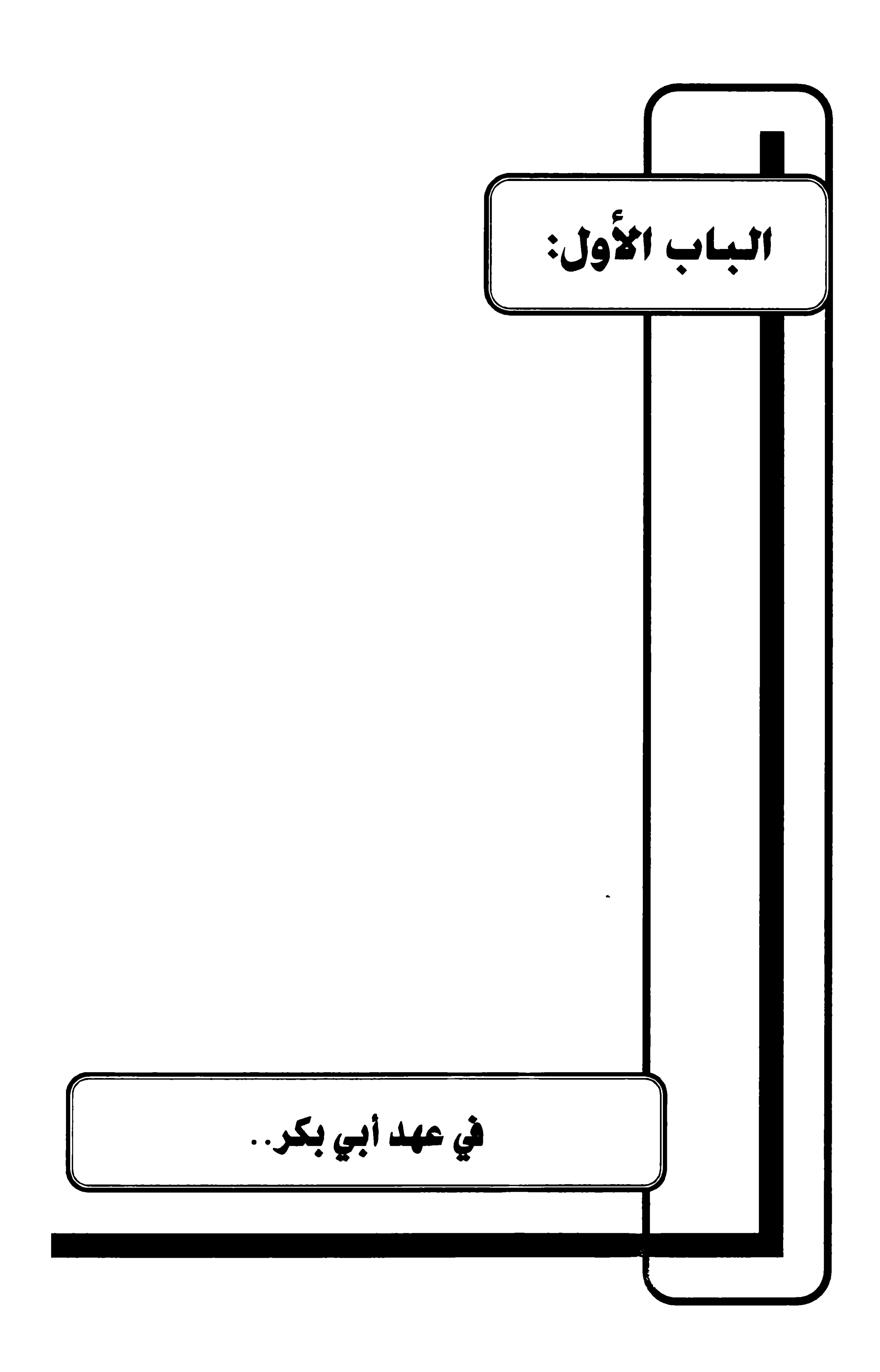
مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني

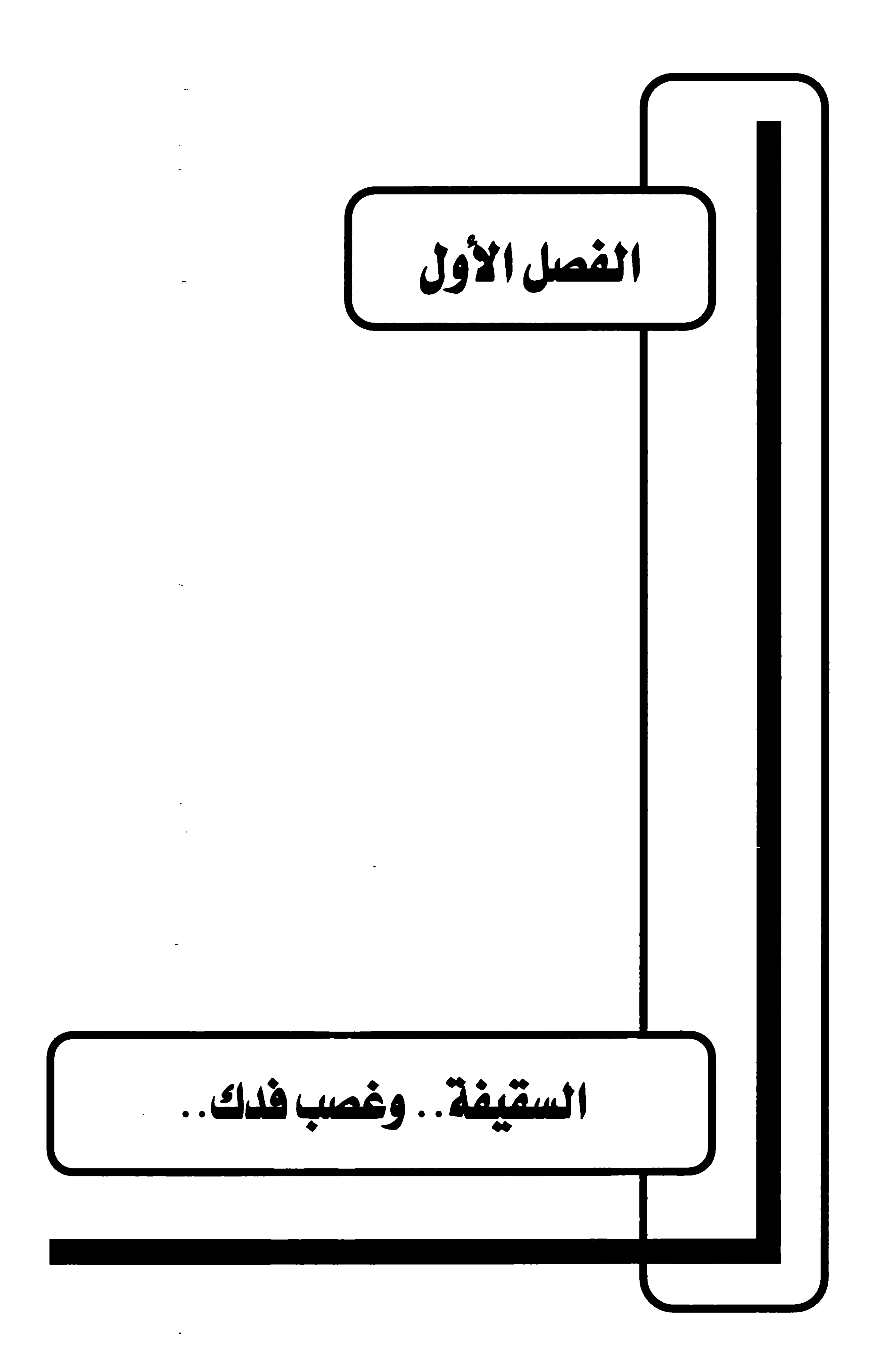


من وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى شهادة علي عليه السلام ..



الباب الأول:

في عهد أبي بكر..



الفصل الأول

السقيفة.. وغصب فدك..

الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام:

١ ـ روي: أن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال للمفضل:

«ولا كيوم محنتنا بكربلاء، وإن كان يوم السقيفة، وإحراق النار على باب أمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة، وزينب، وأم كلثوم، وفضة»[١].

٢ ـ هناك حديث آخر عن أبي جعفر «عليه السلام» أشار فيه أيضاً إلى «الحطب الذي جمعاه، ليحرقا به علياً، والحسن والحسين»[٢].

٣ ـ ذكر العياشي حديثاً مطولاً، جاء فيه: «..فأمر بحطب، فجعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار، فأراد أن يحرق على علي بيته، وفاطمة، والحسن، والحسين «صلوات الله عليهم»، فلما رأى علي ذلك، خرج، فبايع كارهاً غير طائع»[٣].

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ج٢ ص٥٣٢ عن نوائب الدهور، للسيد الميرجهاني ص١٩٤ و ٢٩٢ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤١٧ و ٣٩٢ والهداية الكبرى للخصيبي (ط بيروت) ص٤١٧ وبحار الأنوار ج٥٣ ص١٤ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ والعوالم ج١١ ص٤٤١ و ٤٤٣ وحلية الأبرار ج٢ ص٦٥٢.

(٢) دلائل الإمامة للطبري (ط النجف) ص٢٤٢ و (ط مؤسسة البعثة) ص٤٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج٢ ص٣٠٦ ـ ٣٠٨ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٥٦٣ ونور الثقلين

ولكن جاء في النصوص: أنه «عليه السلام» بقي على موقفه، وكان يقبض يده، ولكن أبا بكر هو الذي زحف إليه، ومسح على يده، ثم قالوا: بايع، بايع.

٤ ـ قال سلمان الفارسي «رحمه الله»: فلما كان الليل حمل علي «عليه السلام» فاطمة «عليها السلام» على حمار، وأخذ بيد ابنه الحسن والحسين «عليهما السلام»، فلم يدع أحداً من أهل بدر [وبيعة الرضوان]، من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه في منزله، وذكر له حقّه، ودعاه إلى نصرته(١).

فما استجاب له من جميعهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلّقين رؤوسهم، معهم سلاحهم، وقد بايعوه على الموت.

قال: فأصبح ولم يوافه منهم أحد غير أربعة.

قلت لسلمان: من الأربعة؟!

قال: أنا، وأبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام.

[**قال:**] ثم أتاهم من الليلة الثانية، فناشدهم [الله].

فقالوا: نصبحك بكرة، فما منهم أحد وفى غيرنا.

ثم أتاهم في الليلة الثالثة، فما وفى أحد غيرنا(٢).

(تفسير) ج٣ ص١٩٩ و ٢٠٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج٧ ص٤٧٠ ـ ٤٧٢ وغاية المرام ج٥ ص٣٣٧ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٣٠ و ٢٣١.

(١) وفي بعض الروايات: أن هذا الأمر استغرق أربعين يوماً.

(٢) الإحتجاج ج١ ص٢٠٦ و ٢٠٧ و (ط دار النعمان ص١٣٨٦هـ) ج١ ص١٠٧ و ١٠٨ وكتاب سليم ج٢ ص٥٨٠ و ٥٨١ و (طبعة أخرى) ص١٤٨ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٢٨ وج٢٨ ص٢٦٧ والأنوار العلوية ص٢٨٥ ومجمع النورين ص٩٧

٥ ـ كتب معاوية إلى علي «عليه السلام» يذكر ذلك، فقال له: «وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع الخ..»(١).

٦ ـ ونص آخر يقول: فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» اشتغلت بغسله وتكفينه، والفراغ من شأنه، ثم آليت على نفسي يميناً: أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت.

ثم أخذت بيد فاطمة «عليها السلام»، وابنيَّ الحسن والحسين «عليهما السلام»، فدرت على أهل بدر، وأهل السابقة، فناشدتهم حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد.

ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا علي إلا السكوت، لما علموا من وغارة صدور القوم، وبغضهم لله ورسوله، ولأهل بيت نبيه..»(٢).

ونقول:

وغاية المرام ج٥ ص٣١٥ و ٣١٦ وج٦ ص٢٦ ونفس الرحمن للنوري ص٤٨٢ وبيت الأحزان ص١٠٨ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص١١٥.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٤٧ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٤٥ وغاية المرام ج٦ ص١٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٦٦ وبيت الأحزان ص١٠٠ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣١٣ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٠٥.

(٢) الإحتجاج ج١ ص١٥٧ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج١ ص٩٨ و ٢٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩١ وج٢٩ ص٤١٩ و ٤٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١١٥ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٧٥.

البيان الهادف:

في هذه النصوص أمور كثيرة تحتاج إلى بيان، غير أننا سوف نقتصر على اليسير منها، وهو ما يلي:

١ ـ في الرواية المتقدمة برقم [١] عن الإمام الصادق تستوقفنا طريقة البيان فيها، فإنه «عليه السلام» حين أراد بيان من ينسب إليه الباب لم يقتصر على اسم علي «عليه السلام» باعتباره الأفضل، والمقدم، والمسؤول، والولي، والإمام، وأخا الرسول ونفسه.. بل أضاف إليه الإمام الصادق «عليه السلام» الحسن والحسين، وفاطمة، وزينب، وأم كلثوم وفضة..

٢ ـ قد لفت نظرنا: إضافة فضة إلى أصحاب الباب الذي أريد إحراقه بالنار التي أضرموها.. مع أن فضة ليست زوجة، ولا أختاً، ولا بنتاً لصاحب البيت الحقيقي، بل هي ليست من أقاربه من الأساس، وإنما هي امرأة نوبية، (وهم جيل من السودان، لهم بلاد واسعة في صعيد مصر، يقال لها: بلاد النوبة)، فهل يريد هؤلاء أن لا يبقى أحد يمكن أن تذكر الناس رؤيته، أو يمكن أن يُذكِّر هو الناس بأهل البيت الطاهر؟!

أم أنهم يدركون مدى إخلاص فضة لأهل هذا البيت، فيريدون الإنتقام منها لأجل ذلك؟!

أم أن الهدف هو التنويه بعظمة فضة ومقامها عند الله، الذي نالته بإخلاصها ومعرفتها، وجهدها، وإيمانها؟!

أو شيء آخر لم نستطع معرفته، ليمكننا لفت الأنظار إليه؟!

٣ ـ لعل سبب ذكر هؤلاء جميعاً: أنه «عليه السلام» لو اقتصر على ذكر

علي أمير المؤمنين «عليه السلام» لتوهَّم بعض الناس: أن هذا الإحراق ربما كان لحزازات في النفوس على خصوص علي «عليه السلام»، كان من أسبابها: أن علياً «عليه السلام» قتل بعض أعزائهم في حروبه مع المشركين، دفاعاً عن الدين والإسلام.

كما أن طمعهم بالسلطة، ورغبتهم الجامحة بها قد سهَّل عليهم ركوب هذا الأمر الخطير، ولم يكن قصدهم إيذاء أي شخص آخر.

فذكر الإمام الصادق «عليه السلام» لأسماء جميع هؤلاء يهدف إلى أمرين:

أحدهما: تعريف الناس بأن هدفهم هو إبادة أهل ذلك البيت عن آخرهم، بل اقتلاع ذلك البيت كله من الوجود، من خلال إضرام النار فيه..

الثاني: إنه «عليه السلام» يريد أن يبيِّن أن الجريمة ليست واحدة، بل جرائم متعددة ومتراكمة.. فإن كل واحد من هؤلاء كان هدفاً لهم بنفسه، وبغض النظر عن الآخرين.. وبذلك يتجلى: أن جريمتهم مضاعفة ليست واحدة، بل هي جرائم عديدة، لا مجال لتهوينها والإغضاء عن أي واحدة منها.

٣ ـ إنهم يريدون قتل علي «عليه السلام»، فهو هدف لهم، وهو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولأجل ذلك لم يجد جيش يزيد جواباً على سؤال الحسين «عليه السلام» يوم عاشوراء لهم: «وَيْلَكُمْ! أَتُقَاتِلُونِي، عَلَى سُنَّة غَيَّرْتُها، أَمْ عَلَى شَرِيعَة بَدَّلْتُها؟!

إلا أن قالوا: «بل نقاتلك بغضاً منَّا لأبيك»، وإنما يبغضونه «عليه السلام»، لقتله أحباءهم، ولأنه قتَّال العرب.

ويريدون قتل فاطمة «عليها السلام» سيدة نساء العالمين، وهي البنت

الوحيدة للرسول، والله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها.. مع أنها لم تقتل أحداً، ولم تكن إماماً، ولا ترغب في أن تكون.. ولكنها المطهرة المعصومة بحكم آية التطهير، ولأنها يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، فإنها إذا صدعت بالحق، فسيكون لكلامها عظيم الأثر في نفوس الناس..

ويريدون قتل سبطي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهما صغيران، وقتل من هو بهذه السن لا يمكن أن يرضى به عقل، أو أن يتقبله وجدان، فإن كان هناك ذنب للكبار ـ مع أنهم لا ذنب لهم بل هم محض الخير والرشاد والهدى ـ فما ذنب الصغار؟!

فالإقدام على أمر شنيع كهذا.. يدل على عظيم قسوتهم، بالإضافة إلى دلالات أخرى لا حاجة إلى ذكرها..

كما أن هذين الطفلين ليسا كسائر الأطفال، بل هما صفوة الخلق، وأقدس ما في الوجود بعد أبويهما وجدِّهما، وهما إمامان منذ ذلك الوقت قاما أو قعدا، وهما سيدا شباب أهل الجنة..

ويريدون قتل زينب، وأم كلثوم، وهما أصغر سناً من الحسن والحسين «عليهما السلام»، فإن كان هؤلاء يخشون من أن يتمكن الحسنان «عليهما السلام» من الإمساك بأزمة الأمور، بسبب ما لهج به القرآن من فضلهما، وما قرره الرسول في حقهما.. فإن زينب وأم كلثوم ليستا مرشحتين لهذا الأمر، ولا لأي مقام، أو موقع آخر.. ولا يتوهم أحد أن يكون لهما نصيب في شيء من ذلك.. ولكنهم يخشون من هاتين الطفلتين إذا بقيتا على قيد الحياة: أن تصبحا رمزاً للمظلومية، ومثاراً للرقة والأسى، ومن أسباب تداعي ذكرى هذه الجريمة

إلى الأذهان.. وربما كان ذلك سبباً في صحوة ضمير، أو يقظة وجدان.. فكان المطلوب قتل هاتين الطفلتين البريئتين، مهما كان قتلهما جريمة عظيمة..

ويريدون أيضاً: قتل فضة المرأة الصالحة، التي لا تملك حيلة، ولا تجد سبيلاً إلى شيء مما في أيديهم، بل هي مجرد خادمة مملوكة، تباع وتشترى، وتوهب، ولكن قتلها جريمة عظيمة بمقتضى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾[1].. لنفس السبب الذي يريدون لأجله قتل أم كلثوم وزينب.. ولكي لا يبقى أحد يمكن أن يحدِّث الناس عن مشاهدات، أو ذكريات.. إما مباشرة، أو جواباً على سؤال من أحد.

٤ ـ يلاحظ: إنه «عليه السلام» قد ذكر في البداية من لهم مقام الإمامة، لأنهم هم الذين يراد إحراقهم بالدرجة الأولى، حيث إن إمامتهم للأمة ثابتة بنص من الله ورسوله ماثلة للعيان أمام الكثير من الناس، فهم يخشون من إبطال مسعاهم في كل حين تسنح فيه الفرصة لإثارة موضوع الإمامة والخلافة، حيث لا تحتاج إلى أكثر من التذكير ليتحرك الموضوع وجدانياً، وإيمانياً، من دون حاجة إلى تجاوز هذا المستوى..

وهذا خطر أكيد، ودائم، وداهم، ولا يمكن تلافيه إلا بالمزيد من البطش، والعنف، الذي قد لا يتيسر لهم في كل حين..

فظهر بذلك كله: أن كلام الإمام الصادق والباقر «عليهما السلام» المتقدم يدل على أن جميع هؤلاء كان مقصوداً بالإحراق بشخصه، وليس المقصود علياً،

---

(١) الآية ٩٣ من سورة النساء.

ليكون من عداه قد أصابه ما أصابه تبعاً، وعن غير قصد.

نقاط في زيارة الصحابة في بيوتهم:

وعن حديث سلمان عن زيارة علي والحسنين، وفاطمة «عليهم السلام» بيوت الصحابة نقول:

هنا نقاط كثيرة تحتاج إلى التفات، أو بحث، وهي التالية:

١ ـ إنه «عليه السلام» في زياراته هذه لم يصطحب زينب ولا أم كلثوم، ولا أي شخص آخر.

٢ ـ إنه «عليه السلام» جال على خصوص أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان وهم يعدُّون بالمئات.

٣ ـ إنه «عليه السلام» دخل عليهم في بيوتهم.

٤ ـ إنه «عليه السلام» ذكر لهم حقَّه..

٥ ـ دعا كل واحد منهم إلى نصرته..

٦ ـ استجاب له منهم أربعة وأربعون.

٧ ـ طلب «عليه السلام» من الذين استجابوا له أن يأتوه بكرة، فوعدوه بذلك.

٨ ـ أمرهم أن يأتوه محلقين رؤوسهم.

٩ ـ أن يأتوه ومعهم سيوفهم.

١٠ ـ أن يأتوه وقد بايعوه على الموت.

١١ ـ لم يوافه منهم غير أربعة.

١٢ ـ إن الذين وافوه هم: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام.

١٣ ـ ثم أتاهم في الليلة الثانية، فناشدهم الله.

١٤ ـ فوعدوه ولم يف له غير هؤلاء الأربعة.

١٥ ـ ثم أتاهم في الليلة الثالثة، فما وفى أحد غير هؤلاء.

١٦ ـ يفهم من بعض النصوص أن فاطمة «عليها السلام» كانت هي التي تكلم أولئك الصحابة في أمر نصرته «عليه السلام»[١].

ونذكر فيما يلي بعض ما يوضح هذه النقاط المذكورة، فنقول:

لماذا فاطمة والحسنان؟!:

لعل اقتصاره «عليه السلام» على حمل فاطمة والحسنين «عليهم السلام» إلى بيوت الصحابة كان لأجل أن هؤلاء، وهو معهم كانوا المعنيين بآية التطهير، فتكذيبهم وردّهم تكذيب وردٌّ للقرآن، كما أن الحسنين «عليهما السلام» معنيَّان بهذه المبادرة، وبنتائجها، كما هو «عليه السلام» معني بها، فإنهما إمامان مثله «عليه السلام» قاما أو قعدا.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٣ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٩ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٣٠ والسقيفة وفدك للجوهري ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٥٢ و ٣٥٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٠٤ والغدير ج٥ ص٣٧٢ وج٧ ص٨١ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٠٨ والوضاعون وأحاديثهم ص٤٩٤ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٢٥ وغاية المرام ج٦ ص١٨ وبيت الأحزان ص٨٢ و ١٠٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٢٩٥ وج٣٣ ص٣٦٤ و ٣٦٦ و ٣٦٧.

وهؤلاء الأربعة هم الذين أخرجهم النبي «صلى الله عليه وآله» معه إلى مباهلة نصارى نجران لإثبات بشرية عيسى «عليه السلام».

يضاف إلى ما تقدم: أن إخراج زينب وأم كلثوم معه إلى بيوت الصحابة ليس فقط قد يكون غير ذي جدوى، بل يكون مضراً أيضاً، من ناحيتين:

إحداهما: أنه يعطي هذا التحرك سمة: أنه يريد أن يستدرج الموقف بالوسيلة العاطفية، التي قد تطغى على الإقناع بالحجة والدليل، ومخاطبة الوجدان. وهذه شبهة قد تلقي بظلالها على وضوح الحق، ولو بسعي أصحاب الأهواء، بل هذه المحاولة قد بذلت بالفعل من قبل معاوية.. فإن هذا هو ما أراد أن يوحي به، حين كتب إلى الإمام علي «عليه السلام» يذكر له هذا الأمر.

وكأنه يريد أن يستدل به على ضعف حجته، حين لجأ إلى تحريك عواطف الناس بتذكيرهم بمكانه من النبي «صلى الله عليه وآله» لأنه زوج ابنته، ومن خلال أولاده الصغار الذين يكونون ـ في العادة ـ موضع شفقة وعطف عند الناس..

الثانية: إن قضية الإمامة والخلافة قضية إلهية ترتبط بطاعة الله، فمن نصرها، وعمل على حفظها في مواضعها، كان من الفائزين في الدنيا والآخرة، كما أن من تخلف وتهاون، أو تجاهل وتمرد كان من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وإخراج زينب وأم كلثوم معه «عليه السلام» إلى بيوت المهاجرين والأنصار يحوِّلها من هذا الجانب الذي يريد الله تعالى أن يكون لمصلحة الدين والأمة.. إلى قضية شخصية يريد أن يحصل على بعض النفع لنفسه من خلالها.

وهذا تضييع لقضية هي من أعظم القضايا أهمية، وأشدها حساسية، وأبعدها

أثراً على مستقبل الحق والدين.

البدريون، وأهل بيعة الرضوان فقط:

وأما لماذا خصَّ «عليه السلام» جولته بأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان دون سائر الصحابة، فلعل سببه أن هذين الحدثين ـ أعني بدراً، وبيعة الرضوان ـ كانا على درجة عالية من الأهمية لمن حضرها وشارك فيهما.

فحرب بدر كانت مصيرية بالنسبة لهم، وقد تجلى فيها اللطف بهم، والرعاية الربانية لهذا الدين وأهله بأتم صورة، وأوضحها، وأجلاها.

فهم في أضعف حالاتهم، وعدوّهم يعيش معهم، وفيهم، وحولهم، وبينهم، وهذا عدو آخر لهم، جاء غازياً لهم، وهو أكثر حنقاً، وأشد حقداً، وقد أجلب عليهم بخيله ورجاله، وبكل ما لديه من إمكانات، وما له من تحالفات، وعلاقات.. تحدوه لإبادتهم عصبياته، وحقده، وغطرسته واستكباره، وجنون العظمة عنده، والشعور بالقوة.. بالإضافة إلى الإستكبار والبغي، ولديه الرجال، والأموال، والوسائل.

والمسلمون ثلة قليلة جداً.. ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، وهم من فئات وطبقات إجتماعية متباينة، ومن قبائل مختلفة، لم يكن يجمعها في حياتها الجاهلية سوى عادات وتقاليد سخيفة، ومفاهيم موبوءة ومخيفة..

وقد خرج هؤلاء المسلمون إلى حرب أولئك الأشرار، وهم لا يملكون عدداً، ولا عدة ولا سلاحاً، ولا خيلاً، ولا غير ذلك.. وكل ما معهم هو فرس واحد، وقيل: اثنان وستة دروع، وثمانية سيوف، ومعهم سبعون بعيراً يتعاقبون عليها الإثنان والثلاثة..

في مقابل تسع مئة إلى ألف رجل، خرجوا إليهم، وهم يشربون الخمور، ومعهم القيان يضربن بالدفوف، ومعهم سبع مئة بعير، وأربع مئة فرس، وقيل: مئتان، وقيل: مئة، وفيهم ست مئة دارع..

وقد قاتلهم أكثر المسلمين بالسعف والجريد، والحجارة، وقد أمدهم الله تعالى بالملائكة، كما صرَّحت به آيات سورة الأنفال، ونصرهم الله على المشركين نصراً مؤزراً، حيث قتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون، وفرَّ الباقون.. ولم يقتل من المسلمين سوى بضعة أفراد قيل: تسعة، وقيل: أحد عشر، وقيل: أربعة عشر، ولم يؤسر منهم أحد.

وغنم المسلمون منهم مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وقيل غنموا ثلاثين فرساً، ومتاعاً وسلاحاً، وأشياء كثيرة.

وأهل بدر يرون أيضاً: أن لهم السهم الأوفر في إقامة هذا الدين، وقد عاينوا الألطاف الإلهية، وتيقنوا من إمداد الله تعالى لهم بالملائكة.. ويحبّون أن يحتفظوا بثمرات هذا الجهد، وأن لا يضيِّعوا هذه المكانة، وأن لا يغتال أحد هذا المجد والسؤدد.. فهم أقرب الناس إلى الإستجابة إلى ما يحفظ لهذا الدين قوته وشوكته، ويؤكد عظمته.

وأما أهل بيعة الرضوان، فلأنهم قد بايعوا النبي «صلى الله عليه وآله» على الموت في نصر وحياطة دينه، ويفترض فيهم أن يفوا بعهدهم، وأن لا يخيسوا بوعدهم، وأن يكونوا رعاة هذا الدين وحماته، والذابين عنه، والحافظين له.

وعلينا أن نستثني عدة من أهل بدر، ومن أهل بيعة الرضوان، من شارك في غصب هذا الأمر، أو قوَّى شوكة الغاصبين بصورة أو بأخرى.

دخل عليهم في بيوتهم:

١ ـ إنه «عليه السلام» لم يرد أن يخاطب الصحابة في هذا حين يراهم مجتمعين في المسجد، ولم يبادر إلى لومهم على تخليهم عن حفظ أهداف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يطالبهم بالوفاء ببيعته يوم الغدير.. بل ذهب إليهم في بيوتهم، ولعل سبب ذلك:

أن طرح أمثال القضايا الحساسة أمام جماعة كثيرة لا يوصل إلى نتيجة، لأن الإجتماعات الجماهرية تخفض مستوى التفكير لدى الأفراد، ليصل إلى الحد الأدنى، ولأجل ذلك قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾(١).

وهذا ما فعله «عليه السلام»، فإن مطالبته إياهم بتعهداتهم، وتذكيرهم بتاريخهم الذي يعتزون به، ودعوتهم إلى حفظه وصيانته، وتكريسه كواقع راسخ ومتجذِّر هو الأجدى والأقرب في حسم الأمور، وتقدير حجم الاستجابة التي يمكن التعويل عليها في أي جهد يبذل، ويراد له أن يكون مثمراً، ومتماسكاً، يمكن حفظه من التصدع والتلاشي.

ولو أنه «عليه السلام» خاطبهم في تجمعاتهم، لم يمكن التعويل على إجابتهم بالإيجاب أو بالسلب لأن خمود الجو الجماعي الذي هم فيه، قد يقلب الأمور رأساً على عقب، وتتبدل المواقف، وتختل الموازين.

---

(١) الآية ٤٦ من سورة سبأ.

٢ ـ ويشهد لذلك: أن الإمام الحسين حين كان متوجهاً نحو العراق التقى بالفرزدق، فسأله عن حال أهل الكوفة بالنسبة إليه، فقال له: إن قلوبهم معك، وسيوفهم عليك..

بل هذا بالذات هو ما رأيناه يحدث مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في هذه الواقعة بالذات، حيث استجاب له في جولته تلك ـ كما تقول الرواية ـ أربعة وأربعون رجلاً..

فأمرهم «عليه السلام»: أن يصبحوا محلقين رؤوسهم، ومعهم سلاحهم، وقد بايعوه على الموت. فلم يأت غير أربعة..

ثم أعاد الكرة عليهم في الليلة الثانية، فوعدوه بالنصر.. ثم لم يف له منهم سوى نفس أولئك الأربعة..

وفي الليلة الثالثة أعاد الكرة، فكانت النتيجة أيضاً كسابقتيها.

٣ ـ وبذلك نعرف: أن الخطاب الجماهيري قد يأتي بنتيجة غرارة وخادعة مئة بالمئة، فالإيجاب يتحول إلى سلب، أو العكس.. بل قد يكون التحول مهلكاً ومدمراً.. كما فعله أهل الكوفة مع الإمام الحسين «عليه السلام».

ولكن الحديث مع رجل واحد أو اثنين، هو الأجدى، وإن اختلفت مقادير هذه الجدوى باختلاف الأجواء والمناخات، والحالات للأشخاص.. لاسيما إذا كانت أجواء يطلب فيها بذل التضحيات، أو يحتمل التعرض فيها لخسائر، أو لأخطار، أو لمصاعب مع الأقوياء.

فقد نجد تقلص درجة الجدوى بحسب طبيعة تلك التضحيات، أو الخسائر، أو الاحتمالات.. وبحسب الدوافع النفسية، ودرجات التحمل،

وبحسب ما يملكه الأفراد من خصائص إيمانية، أو أخلاقية، أو غيرها..

ولذا نلاحظ: أن درجة الجدوى عند اقتراب اللحظة الحاسمة تقلصت من درجة أربعة وأربعين إلى أربعة، ثم ثبتت على هذا المقدار بالرغم من تكرار التجربة ثلاث مرات.

٤ ـ على أننا نجد: أن الإستجابة إلى علي كانت بعد ذلك تنمو وتزداد، ولأجل ذلك نلاحظ: أنه بعد حوالي شهرين إحتج اثنا عشر رجلاً من أعيان الصحابة على أبي بكر بما أحرجه..

ولذا نرى في كتب الرجال والتراجم قولهم كثيراً عن هذا الصحابي، أو ذاك: إنه من الراجعين إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولعل هذا كان من أسباب بذل محاولات عديدة لقتله «عليه السلام» حتى في الصلاة في المسجد بواسطة خالد بن الوليد، كما سنشير إليه..

حق علي عليه السلام:

ويمر معنا كثيراً قولهم: «حق علي». أي في الإمامة والخلافة..

ومن المعلوم: إن حق علي «عليه السلام» ليس معناه: أنه «عليه السلام» هو الذي سوف يحصل من خلاله على منافع شخصية، كالأموال والمقامات، والإمتيازات.. بل هو بمعنى أن الله تعالى قد اختاره راعياً، وهادياً، ومديراً، ومدبراً، وحافظاً للدين ولمصالح الأمة، من موقع العلم والحكمة، والأمانة والتقوى، والرحمة، والرأفة والرفق، والسعي، والجهد..

فإذا بادرت جماعة إلى إزاحة علي عن هذا المقام الذي جعله الله تعالى له،

واستعملوا القوة والعنف إلى حد مباشرة إحراق بيته عليه وعلى زوجته وأولاده، مع أنه هو وأهل بيته أقدس وأعظم مقاماً عند الله من كل ما في الوجود.. فهل يمكن أن يتوقع عاقل: أن يقيم هؤلاء المعتدون والغاصبون وزناً لأي إنسان آخر، أو أن يراعوا خاطره، وأن يحفظوا حقوقه، وأن تكون له كرامة واحترام، أو مقام؟!

أو أن يحفظوا للدين حرمةً، وأن يهتموا بمصالح الناس، وحلِّ مشاكلهم، وهدايتهم إلى طريق النجاة، والفوز والسعادة؟!

وبذلك يعلم: أن حديث علي «عليه السلام» للناس عن حقه المغتصب يهدف إلى إثارة هذه الخواطر والمعاني لدى الناس، ليدركوا مدى الخطر المحدق بهم. وليس الهدف هو استعادة امتياز له، أو منافع شخصية سلبت منه.

التحليق والسيوف والبيعة على الموت:

١ ـ لقد طلب «عليه السلام» من هؤلاء الأربعة والأربعون رجلاً: أن يبكروا إليه، محلِّقين رؤوسهم، ومعهم سيوفهم، ليبايعوه على الموت.. وهذا هو الإختبار الأخير لهم، والمؤشر لهم على مسار الأمور.. إذ كان عليه أن لا يعتمد على الوعد الكلامي، فإن الوعود تبقى مهددة بالخلف، وانتحال الأعذار، التي تمكن من يريد نكث وعده من نكثه مع الإحتفاظ بصورة الرجل الصادق والوفي، وهي صورة خادعة لا ينبغي إفساح المجال لها، لأنها وسيلة كذب ومكر، لا يصح التداول بها، أو غض النظر عنها..

كما أن هذا المؤشر يفهمهم: مدى تشبث الغاصبين بما اغتصبوه، وإلى أن سكوته على مضض.. سكوت من لا يريد أن يدفع بالأمور إلى أقصى

مدى، إذا كان الناس المعنيون بهذا الأمر أنفسهم يريدون أن يكونوا في موقف المتفرج، ثم لا تنتهي الأمور بغير الضرر، وخسارة ما تبقى من فرص يمكن أن تحفظ الحد الأدنى المتبقي من الضياع.

٢ ـ إنه «عليه السلام» أعطاهم فسحة من الوقت قبل أن يبايعوه على الموت، ليعيدوا حساباتهم، ويتفقدوا إمكاناتهم، ليقنعوا أنفسهم بالخيار الذي يريدون اعتماده عن سابق تأمل وفكر وروية، لكي لا يدعوا بعد ذلك: أنه «عليه السلام» قد فاجأنا، وأحرجنا بطلب البيعة، فبايعناه عن غير قناعة ورضى منا.

ويكون ذلك مبرراً مقبولاً عند بعض الناس لنكث البيعة..

مع أنهم كانوا قد بايعوه يوم الغدير، أي قبل سبعين يوماً من وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ إن هذه المطالب الصريحة والواضحة، تدل على أنه «عليه السلام» لا يريد منهم أن يقدموا على أمر مجهول، فقد طلب منهم أقصى ما يمكن أن يطلب، لكي لا يقول أحد منهم: لو كنت أدري أن الأمور ستنتهي إلى هذا الحد لم أدخل في هذا الأمر، وكنت أحسب أن المطلوب هو مجرد التأييد الكلامي، أو بذل المساعي لإعادة الأمور إلى نصابها، ولو باعتماد أنصاف الحلول.. كالمشاركة في مجالات بعينها، أو إبرام عقود تضمن التعاقب على التصدي لهذا المقام بصورة دورية، أو التعهد بسلوك معين، أو غير ذلك مما يفكر فيه أهل الدنيا.

فاطمة هي التي تتكلم:

يفهم من بعض النصوص: أن فاطمة «عليها السلام» هي التي كانت

تكلم أولئك الأشخاص الذين التقوا بهم، فكانوا يقولون لها: قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر، ما عدلنا به.

فقال علي «عليه السلام»: أفكنت أدع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ميتاً في بيته، ولم أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟!

فقالت الزهراء «عليها السلام»: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، وقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه(١).

وهناك ما يدل على أن علياً كان يكلمهم أيضاً ويدعوهم إلى نصرته(٢).

ومن الواضح: أن وجود فاطمة قد أحرج السلطة الغاصبة، وفضح أمرهم إلى أقصى حد، ولعلهم كانوا يتوقعون ذلك منها، فكانوا يريدون التخلص منها.. بإحراق بيتها وهي فيه..

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٣ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٩ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٣٠ والسقيفة وفدك للجوهري ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٥٢ و ٣٥٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٠٤ والغدير ج٥ ص٣٧٢ وج٧ ص٨١ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٠٨ والوضاعون وأحاديثهم ص٤٩٤ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٢٥ وغاية المرام ج٦ ص١٨ وبيت الأحزان ص٨٢ و ١٠٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٢٩٥ وج٣٣ ص٣٦٤ و ٣٦٦ و ٣٦٧.

(٢) الإحتجاج ج١ ص١٥٧ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج١ ص٩٨ و ٢٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩١ وج٢٩ ص٤١٩ و ٤٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١١٥ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٧٥.

الزبير!! أم عمار؟!:

قالت رواية سلمان: إن الزبير بن العوام كان أحد المستجيبين لعلي «عليه السلام»، حين طلب النصرة من أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان.

ولكن ذلك موضع ريب، وذلك لما يلي:

١ ـ تقدم عن علي «عليه السلام»: أنه ذكر عمار بن ياسر، بدلاً عن الزبير بن العوام[١].

٢ ـ في نصر آخر: «ما أجابه سوى ثلاثة رهط فقط»[٢].

٣ ـ ويقول نص آخر: «فما أعانها أحد، ولا أجابها ولا نصرها»[٣].

٤ ـ بالإضافة إلى مصادر عديدة تذكر عماراً عوضاً عن الزبير[٤].

---

(١) الإحتجاج ج١ ص١٥٧ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج١ ص٩٨ و ٢٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩١ وج٢٩ ص٤١٩ و ٤٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١١٥ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٧٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٦ الهداية الكبرى للخصيبي ص٤١٢ والعقد النضيد للقمي ص١٥٠ وراجع: الدرجات الرفيعة ص٢١٣.

(٣) الإختصاص للمفيد ص١٨٣ ـ ١٨٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٨٩ ـ ١٩٣ والعوالم ج١١ ص٦٤٧ ح٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٨ ص٤٢٢ ـ ٤٢٤ واللمعة البيضاء ص٣٠٩ ـ ٣١٢ ومجمع النورين للمرندي ص١٢١ ـ ١٢٤.

(٤) الإحتجاج ج١ ص١٨٨ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج١ ص٩٨ و ٢٨١ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٠ ومجمع النورين للمرندي ص٧٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٢٨ وج٢٨ ص١٩١ وج٢٩ ص٤١٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٧٩ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٥٧٩

محاولة قتل علي:

ذكر الحديث المتقدم عن علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» بأن يجاهدهم، وقال له: فإن لم تجد أعواناً كف يدك، واحقن دمك.. ثم ذكر قصة ذهابه مع زوجته وولديه إلى بيوت أعيان الصحابة، قال «عليه السلام»: «فأبوا عليَّ إلا السكوت، لما علموا من وغارة صدور القوم، وبغضهم لله ورسوله، ولأهل بيت نبيِّه».

ونقول:

إن هذا الكلام مهم جداً.. ولاسيما حديثه «عليه السلام» عن بغضٍ لله ولرسوله، فإنه لا يمكن فهم أسبابه، فإن الله تعالى خلقهم، وهو يرزقهم، ويرسل إليهم دعاة وهداة، يخرجونهم من الظلمات إلى النور.. و.. و.. فلماذا يبغضونه، ويبغضون رسوله الذي ما أوذي نبي بمثل ما أوذي به من أجل إسعادهم، وحفظهم، ودفع كل شر وبلاء عنهم.. ولكنهم لا يصرِّحون بهذا البغض، وقد وجّهوا كل جهدهم وسعيهم، وصبّوا جام حقدهم، وبغضهم على علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وعزموا على قتله، وقتل جميع من في بيته، وقد كسروا ضلع بنت نبيهم، واسقطوا جنينها، وحاولوا إحراق بيتها، وهي وأولادها وزوجها فيه، فقيل لمن أراد أن يفعل ذلك، ودعا بحطب ونار، وأقسم ليحرقن الدار بمن فيها.. ـ فقيل له ـ: إن فيها فاطمة، والحسن والحسين، وآثار رسول الله الخ..

ومستدرك الوسائل ج١١ ص٧٤ والعقد النضيد للقمي ص١٥٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٣٨.

فقال: وإن[١].

وهذا ما قصده معاوية بقوله في رسالته لمحمد بن أبي بكر: «فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره. وهمَّا به الهموم، وأرادا به العظيم..»[٢].

وعن الإمام السجاد «عليه السلام»: أن عمر بن الخطاب قال لعلي «عليه السلام» إذ امتنع عن البيعة: «إذاً والله الذي لا إله إلا هو تُضرب عنقك»[٣].

وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١١ ص٢٧ محاولتهم قتل علي «عليه السلام» في حال الصلاة بالاتفاق مع خالد.

الحسنان يشهدان بفدك:

من المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد نحل فدكاً التي كانت خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ـ نحلها ـ إلى ابنته

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٢٠١ ـ ٢٠٤ والخصال، باب الاثني عشر، وبحار الأنوار ج٨ ص٢٠٤ و ٢٨٦ وراجع: الإمامة والسياسة ج١ ص١٢.

(٢) راجع: مروج الذهب ج٣ ص١١ ـ ١٣ و (تحقيق شارل پلا) ج٣ ص٢٠٠ والإمامة والسياسة ج١ ص١٢ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٧٢ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٥٧٧ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص١١٩ وصفين للمنقري ص١٢٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٦ ص٤٤ وغاية المرام ج٥ ص٣٠٩ وج٦ ص١٢٣.

(٣) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ص ٦٥ و ٦٦ و (بتحقيق المحمودي سنة ١٤١٥هـ) ص٣٧٦ ـ ٣٧٨ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٧٥ و ١٧٦.

فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وسلمها إياها، فكانت في يدها، وعمالها فيها إلى حين وفاته..

وقالوا: إنه بعد عشرة أيام من استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»، استولى الحكام المناوئون لعلي وأهل البيت «عليهم السلام» على فدك هذه(١)، وأخرجوا عمال السيدة الزهراء «عليها السلام» منها، بعد أن كانوا فيها عدة سنين..

فبادرت «عليها السلام» إلى المطالبة بها، والإحتجاج على من غصبها إياها، وقالت لهم: إن أبي نحلنيها.

فقال أبو بكر: أريد لذلك شهوداً.

فبعثت إلى علي، والحسن، والحسين، وأم أيمن، وأسماء بنت عميس ـ وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة ـ فأقبلوا إلى أبي بكر، وشهدوا لها بجميع ما قالت وادَّعت.

فقال (عمر): أما علي فزوجها.

وأما الحسن والحسين فابناها.

وأما أم أيمن فمولاتها.

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١١ والسقيفة وفدك ص١٠٠ والطرائف لابن طاووس ص٢٦٤ وراجع: بحار الأنوار ج٢٩ ص٢٣٩ ومناقب آل أبي طالب ص٤١٨ وعن بلاغات النساء ج٢ ص١٤٦ و (ط بصيرتي ـ قم) ص١٤ ومواقف الشيعة ج١ ص٤٧٣.

وأما أسماء بنت عميس، فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم..

وأما أم أيمن، فقد كانت تخدم فاطمة، وكل هؤلاء يجرون إلى أنفسهم.

فقال علي «عليه السلام»: أما فاطمة، فبضعة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن آذاها فقد آذى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ومن كذبها فقد كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأما الحسن والحسين، فابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيدا شباب أهل الجنة.. من كذبهما، فقد كذَّب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ كان أهل الجنة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد علي، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها.

قال عمر: أنتم كما وصفتم (به) أنفسكم. ولكن شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل.

فقال علي «عليه السلام»: إذا كنا نحن كما تعرفون (ولا تنكرون)، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإنا لله وإنا إليه راجعون. إذا ادَّعينا لأنفسنا تسألنا البينة؟! فما من معين يعين.

وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله، فأخرجتموه من بيته إلى

بيت غيره، من غير بينة، ولا حجة.. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]»[2].

ونقول:

لا تحتاج الزهراء إلى شهود:

١ ـ لا تحتاج الزهراء إلى شهود على صحة ما تقول لسببين:

أولهما: أن الزهراء «عليها السلام» كانت مطهرة من كل رجس، بنص آية التطهير، فمن شهد الله تعالى له بالطهارة والعصمة، والصدق، وصحة ما يقول، هل يحتاج إلى شهود على ما يقول؟!

فطلب الشهود منها كطلب الشهود من النبي «صلى الله عليه وآله»، تكذيب للقرآن، ورد لشهادة الله تعالى له ولها بالطهارة.

وحديث ذي الشهادتين رواه الخاصة والعامة، وذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» اشترى فرساً من أعرابي، فأسرع النبي المشي ليقضيه ثمن فرسه.. فساوم بعض الناس الأعرابي حتى زاد على الثمن الذي اشترى النبي «صلى الله عليه وآله» به ذلك الفرس.. فطمع الأعرابي، وأنكر أن يكون قد باع الفرس للنبي، وطلب منه أن يأتي بمن يشهد له بالبيع، فجاء خزيمة بن ثابت، فشهد له بذلك، فقال النبي: بم تشهد؟! (أي مع أنك لم تكن حاضراً).

---

(١) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٩٧ ـ ١٩٩ واللمعة البيضاء ص٣١٥.

فقال: بتصديقك يا رسول الله.

فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» شهادته شهادتين(١).

والفرس المعني، اسمه: المرتجز.

الثاني: إن فدكاً كانت في يدها «عليها السلام»، وعمالها فيها لعدة سنوات، وكان ذلك في زمن النبي، وبمرأى ومسمع منه «صلى الله عليه وآله».. وفي ذلك تقرير وإقرار منه «صلى الله عليه وآله» لتصرفاتها.. وهذا يكفي لعدم جواز التعرض لها، والاستيلاء عليها من قبل أي كان من الناس، لأن ذلك بمثابة الرد على رسول الله «صلى الله عليه وآله». بل عليه هو أن يقيم البينة على ما يدّعيه.

---

(١) راجع: من لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٠٨ والكافي ج٧ ص٤٠٠ والإختصاص ص٥٨ و (ط دار المفيد) ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص١٤١ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٧٣ وأنساب الأشراف ج١ ص٩ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٤٦ و ٤٧ ومرآة العقول ج٢٤ ص٢٥٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٢٧٦ و (الإسلامية) ج١٨ ص٢٠١ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٨١ ومسند أحمد ج٥ ص٢١٦ وسنن أبي داود ج٢ ص١٦٦ وسنن النسائي ج٧ ص٣٠١ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٦٦ وج١٠ ص١٤٦ وتركة النبي لحماد بن إسحاق ص٩٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٤٨ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٣٧٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢٢٨ وج١٦ ص٣٦٧ والإصابة ج٣ ص١٧٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص١٣٩ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص١٦٥ و ١٦٦ وكفاية الطالب (الخصائص الكبرى) ج٢ ص٢٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٤٠٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٣.

٢ ـ إن هذه المطالبة والمرافعة بشأن فدك من قبل فاطمة «عليها السلام»، بعد كل ما جرى عليها قبل ذلك.. قد أظهرت أمراً عجيباً، وهو: أنها «عليها السلام» حين طلب أبو بكر الشهود لم تطلب من أحد من جميع أهل المدينة أن يشهد لها.. مع أن الناس يعرفون: أنها في يدها، وعمالها فيها منذ سنوات، فما هو السبب يا ترى؟!

ونجيب:

بأن ذلك لسببين هما:

الأول: إنها كانت تعلم: أن فدكاً لن تعود إليها، ولم تكن مطالبتها بها حرصاً على شيء من حطام الدنيا.. بل كانت تريد تعرية الناس المدَّعين لأنفسهم الصدق والوفاء، والعدل، والتقوى، والعمل بالأحكام ـ تريد تعريتهم ـ وإسقاط الأقنعة عن وجوههم، ولذلك نقول:

ربما كان من أهدافها هو إظهار غضبها من موقف كبار أهل المدينة، وأعيان الصحابة، بسبب عدم استجابتهم لنصرة الحق، حين زارتهم في بيوتهم، مع أنهم كانوا قد بايعوا علياً «عليه السلام» يوم الغدير بأمر من الله ورسوله.

كما أن الذين زارتهم في بيوتهم، واستجابوا في البداية، ووعدوه وإياها بالنصر، قد أخلفوا وعدهم ثلاث مرات، ولم يجب من أربعة وأربعين سوى أربعة فقط.

وربما كانت تريد أن تفهمهم أيضاً: أنها لا تثق بهم، ولا تركن إليهم بعد تكرر نكثهم.

وربما كان من أسباب ذلك: أنها «عليها السلام»، حتى لو أشهدت جميع

أهل المدينة، سواء في ذلك الفجار والأخيار.. فإن الغاصبين سوف يردون شهادتهم، ويتهمونهم بالكذب، ويقولون لهم: حضرنا كما حضرتم، وشهدنا ما شهدتم، وإنما تميلون مع الهوى والعصبية، وتريدون التنفيس عن كرهكم لنا حسداً وبغياً.

الثاني: أنها أرادت أيضاً أن تسجل اعتراضها على من وضع نفسه في موقع الحاكم والقاضي، وتعرف الناس بأنه ليس أهلاً للحكم في هذه القضية، وأنه يتحرى الباطل فيها.

أولاً: لأنه هو الخصم الغاصب والمعتدي، فهل يكون المعتدي والخصم هو الحكم والقاضي؟!

ثانياً: إنهم ليسوا أهلاً للقضاء لأسباب عديدة استخرجت شطراً منها في اختيارها للشهود، وقد أشار علي أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى المفاصل الكبرى والأساسية منها.

ونبين ما نرمي إليه هنا ضمن النقاط التالية:

١ ـ إنها «عليها السلام» كانت تعلم أنهم لن يرجعوا إليها فدكاً.. لا انصياعاً للحجة، ولا قبولاً بالحكم الشرعي، ولا رضى بشهادة الشهود.

٢ ـ بناء على هذا يجب أن يدفعوا ثمن هذا العدوان الفاضح غالياً في الدنيا والآخرة، ففي الآخرة الله يتولى ذلك.. وفي الدنيا: يكون هذا الثمن من سمعتهم وكرامتهم.

٣ ـ إن إشهاد هؤلاء الخمسة على هذا الأمر سوف يغري المعتدين والغاصبين بالتسرع في رد شهادتهم، وإظهار تعللات، وحجج يظنون أنها ستخدع الناس.

وإذ بها تتحول إلى خيالات خاوية، وأباطيل واهية، لا تسمن ولا تغني من جوع..

٤ ـ والشهود الخمسة، الذين جاءت بهم الزهراء «عليها السلام» هم:

ألف: علي «عليه السلام» وهو ممن شهد الله له بالطهارة والعصمة، والراد عليه راد على رسول الله، ومن أطاعه أطاع النبي، ومن عصاه فقد عصى النبي. وهو نفس النبي، وأخوه.

فكيف يمكن رد شهادته لمجرد كونه زوجاً لمن جاءت تطالب بها أخذوه منها بالقوة والغلبة؟!

وهل من يعصي النبي ويرد شهادة من هو نفس النبي، وأخوه، وهو من النبي والنبي منه، ـ هل ـ يبقى أهلاً للقضاء، أو للخلافة؟! أو أن من شرائط القضاء أو الخلافة أو حتى الأهلية لأي أمر صغر أو كبر هو العدوان على أقدس الناس، وهتك حرمتهم، وغصب أموالهم، وإحراق بيوتهم؟!

ب: و ج: ومن الشهود: الحسن والحسين «عليهما السلام»، اللذان صرح النبي «صلى الله عليه وآله» بإمامتهما، قاما أو قعدا، وبأنهما سيدا شباب أهل الجنة، وشهد الله تعالى لهما بالطهارة والعصمة في آية التطهير.. ألا يكفي هذا كله لإثبات أنهم صادقون مطهرون؟!

فرد شهادتهما تكذيب لشهادة الله سبحانه، ورسوله «صلى الله عليه وآله» لهما بالصدق، والطهارة، لأن أهل الجنة صادقون، فكيف بسيدي شباب أهل الجنة؟!

بل إن رد شهادتهما تحت طائلة محاباتهما لأمهما، وفيه تكذيب للقرآن،

وعدم وثوق بإخبار الله بطهارتها، وطهارة ابنيها، كأشد ما تكون الطهارة والعصمة.. فلو كان هذا الذي يرد شهادة الله ورسوله على صفة الصلاحية لأدنى مقام قبل ذلك لزالت هذه الصلاحية بنفس فعله في هذه الواقعة..

د: أم أيمن التي شهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لها بالجنة.. ومن كان من أهل الجنة لا يكذب لا في شهادته، ولا في غيرها.

هـ: أسماء بنت عميس، فإن كونها زوجة لأبي بكر لم يمنعها من الشهادة بالحق، وقد دعا النبي «صلى الله عليه وآله» لها بالخير، ودعاء النبي «صلى الله عليه وآله» مستجاب، فكيف تجرأوا على رد شهادتها، التي كان فيها درجة من المخاطرة فيما يرتبط بعلاقتها بزوجها.

٥ ـ بقي أن نشير إلى أن من المضحك المبكي أن يسجل هؤلاء على أم أيمن: أنها أعجمية لا تفصح[1]، فهل يريدونها للخطابة في الجماهير المحتشدة؟! وهل ذلك يعني رد شهادة كل من ليس عربياً؟! وما معنى قولهم: إنها لا تفصح؟! هل كانت عاجزة عن إفهام مقاصدها للآخرين، إلى حد أن أحداً لا يفهم ما تقول؟!

ولماذا لا يستعينون بمترجم، مثل: سلمان الفارسي «رحمه الله»؟!

٦ ـ إنهم حين استولوا على فدك، وأخرجوا عمال الزهراء منها لم يأتوا بمن يشهد لهم بما ادعوه.. كما أنهم حين استولوا على مقام الخلافة، وأبعدوا الخليفة الشرعي الذي كانوا قد بايعوه يوم الغدير، لم يأتوا بمن يشهد لهم

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣ ح٤٨ وج ٤٣ ص١٩٨ ح٢٩.

بصحة عملهم هذا.

مع أن شهادة الله ورسوله بصدق وعصمة أكثر هؤلاء الشهود، والعلم بأنهم جميعاً من أهل الجنة، كانت ماثلة للعيان، ولكنهم يردونها بحجة أن هذا ابن، وذاك زوج، وهذه خادمة، وتلك كانت متزوجة بقريب، وتلك أعجمية، وهكذا..

٧ ـ وقد أقر عمر بصحة الدلائل التي ذكرها علي «عليه السلام»، ولكنه أصر على إبطال شهادتهم، فوقع في التناقض المهين والمشين.

٨ ـ إن هذا الأمر قد تضمن الإيذاء لفاطمة التي قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله(١).

وفيه تكذيب لها، ومن كذَّبها فقد كذَّب الله ورسوله..

٩ ـ والأهم من ذلك كله: أنهم حتى بعد التذكير والبيان الواضح والصريح، واعتراف عمر بصحة ما قال أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أصروا

---

(١) راجع: غوالي اللآلي ج٤ ص٩٣ والصوارم المهرقة ص١٤٨ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٣٥٣ وج٤٣ ص١٧١ و ٢٠٢ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٣١ وراجع: كفاية الأثر ص٦٤ وشرح الأخبار ج٣ ص٣٠ و ٣١ و ٦١ والأمالي للمفيد ص٢٦٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٠٢ والأمالي للطوسي ص٢٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٢ والصراط المستقيم ج٢ ص١١٨ وج٣ ص١٢ والمحتضر للحلي ص٢٤٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٥٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٧٣ ونظم درر السمطين ص١٧٦ وتفسير القمي ج٢ ص١٩٦ وعن فضائل الصحابة ج٢ ص٧٥٥ ح١٢٤.

على مخالفة هذا الحق الصريح والواضح، وعدم المبالاة بما سمعوه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أوامر وزواجر، وتوجيهات.

١٠ ـ واللافت هنا: أن الغاصبين لم يردوا شهادة الحسن والحسين «عليهما السلام» لأجل صغر سنهما..

ولعل سبب ذلك: أنهم كانوا يعرفون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشركهما بأمر من الله في مباهلة النصارى وأشهدهما «صلى الله عليه وآله» على كتاب ثقيف، وقبل البيعة منهما تحت الشجرة، وجعل لهما مقام الإمامة وهما صغيران، كما أن الله تعالى قد أنزل فيهما وفي أبويهما آية التطهير، وغيرها.

الفصل الثاني

الحسنان عليهما السلام في وفاة أمهما..

الحسنان حزينان:

ذكر الأربلي:

أنه لما توفيت الزهراء «عليها السلام» كانت أسماء بنت عميس عندها، فبينما هي كذلك دخل الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقالا: يا أسماء، ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟!

قالت: يا ابني رسول الله، ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا.

فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني.

قالت: وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: يا أماه، أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت.

قالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، انطلقا إلى أبيكما علي، فأخبراه بموت أمكما.

فخرجا.. حتى إذا كانا قرب المسجد، رفعا أصواتهما بالبكاء..

فابتدرهما جميع الصحابة، فقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله، لا أبكى الله أعينكما، لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما، فبكيتما شوقا إليه؟!

فقالا: (لا) أوليس قد ماتت أمنا فاطمة «صلوات الله عليها».

قال: فوقع علي «عليه السلام» على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟! كنت بك أتعزى، ففيم العزاء من بعدك، ثم قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

ثم قال «عليه السلام»: يا أسماء، غسليها، وحنطيها، وكفنيها.

قال: فغسلوها، وكفنوها، وحنطوها، وصلوا عليها ليلاً، ودفنوها بالبقيع، وماتت بعد العصر(١).

ونقول:

يا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله:

نلاحظ: أن أسماء بنت عميس، وكذلك جميع الصحابة في المسجد يخاطبون الحسن والحسين «عليهما السلام» بـ «يا ابني رسول الله» «صلى الله عليه وآله»، وذلك تكريماً لهما، وإظهاراً لمزيد شرفهما بهذه الميزة لهما على سائر الناس..

وهذا الخطاب يسقط دعاوى أولئك الذين يحاولون قطع العلاقة بينهما وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» سعياً لتصغير شأنهما، وإنكاراً لفضلهما «عليهما السلام»، وانسياقاً مع منطق أهل الجاهلية، الذي يقول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

---

(١) كشف الغمة (ط تبريز) ج٢ ص٦٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٣ و (ط أخرى) ج١ ص٥٠٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٦ و ١٨٧ والعوالم ج٦ ص٢٧٨.

افتقادي فاطماً بعد أحمد:

وقد رأينا: أن المعلّق على كتاب بحار الأنوار الشريف يقول:

إن الصحيح في الشعر المتقدم: هو أن يقول:

وإن افتقادي واحداً بعـد واحـدٍ

لأن هذا ليس من نظم أمير المؤمنين، بل هو لغيره، وقد تمثل به «عليه السلام».. فهو لم ينشئ هذا الشعر، بل أنشده(١).

ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام، وإن كان محتملاً في نفسه، ولكنه لا يصل إلى درجة اليقين.. فلعله لعلي «عليه السلام»، ونسب إلى غيره، على ما عهدنا من الحرص من أقوام على توزيع أقواله «عليه السلام» على آخرين..

ثانياً: حتى لو علمنا: أن هذا الشعر ليس لعلي «عليه السلام»، لكن ذلك لا يمنع من أن يتصرف به المنشد المتمثل به، بالتصريح بالإسمين المباركين «فاطم وعلي» رعاية لما تقتضيه المناسبة.

ثالثاً: إن هناك من عبَّر بكلمة أنشأ، لا بكلمة أنشد(٢).

الخبر المفاجأة وحديث الإغماء:

ليس في هذا النص: أن أسماء قد مهدت بشيء لإخبار الحسن والحسين

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤٣ هامش ص١٨٧.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٤٣ هامش ص١٨٤ عن مناقب آل أبي طالب، وراجع ص١٨٠.

بوفاة أمهما.. فلماذا لم تمهد الأمر لهما قبل مفاجأتهما بخبر موتها «عليها السلام»؟! وإن كانت بعض المصادر قد ذكرت شيئاً من ذلك..

ولعل الأقرب إلى الإعتبار: هو ما روي عن ابن عباس: لما توفيت «عليها السلام» شقت أسماء جيبها وخرجت، فتلقاها الحسن والحسين، فقالا: أين أمنا؟!

فسكتت، فدخلا البيت، فإذا هي ممتدة، فحركها الحسين، فإذا هي ميتة، فقال: يا أخاه، آجرك الله في الوالدة، وخرجا يناديان: يا محمداه، يا أحمداه، اليوم جدد لنا موتك إذ ماتت أمنا.

وهذا هو المناسب في مثل هذا المقام، لكن ابن عباس أضاف قوله:

ثم أخبرا علياً «عليه السلام» وهو في المسجد، فغشي عليه حتى رش عليه الماء، ثم أفاق فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة، وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وا يتامى محمد[1].

وفي النص المتقدم عن الأربلي لم يقل: إنه «عليه السلام» أغمي عليه، بل قال: «فوقع علي «عليه السلام» على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد»؟![2].

على أننا قد أشرنا في هذا الكتاب إلى أن إغماء النبي والإمام لا يعني الدخول في غيبوبة تغلب على السمع والبصر.. بل هو كنوم النبي والإمام، فإنه تنام عيناه ولا ينام قلبه.. وإلا لاختلَّت شاهديته على الخلق.. مع أن الله

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٤ عن بعض كتب المناقب القديمة.

(٢) كشف الغمة (ط تبريز) ج٢ ص٦٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٣ و (ط أخرى) ج١ ص٥٠٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٦ و ١٨٧ والعوالم ج٦ ص٢٧٨.

تعالى قد أثبت هذا المقام لأنبيائه، كما أن هذا المقام ثابت للأئمة الطاهرين «عليهم السلام» بنص من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكن الرواي ينقل ما شاهده، وهو وقوعه إلى الأرض، فيظن أنه أغمي عليه.. ولاسيما إذا رآه ساكناً لا يتحرك.. خذ مثلاً على ذلك: أن علياً «عليه السلام» قد أصاب رجله في غزوة أحد سهم صَعُبَ إخراجه، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإخراجه حين اشتغاله بالصلاة، فأخرجوه من رجله، فقال بعد فراغه عن الصلاة : بأنه لم يلتفت بذلك(١).. فهذا ليس إغماءً، ولا أي نوع من أنواع الغيبوبة، بل هو انقطاع إلى الله.

بل إن الأنبياء والأئمة «عليهم السلام» يرون ويسمعون بعد موتهم، كما في حال حياتهم.. ونقرأ في زيارتهم: «أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي».

أين بيت فاطمة؟!:

تقول رواية الأربلي المتقدمة: إن الحسنين «عليهما السلام» خرجا في طلب أبيهما ليخبراه بموت أمهما «عليها السلام»: «حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهما جميع الصحابة الخ..».

ونلاحظ:

---

(١) راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٠٢ عن المناقب المرتضوية للكشفي الحنفي ص٣٦٤ وراجع: إرشاد القلوب ج٢ ص٢١٧ والحدائق الناضرة ج٧ ص٢٤١ـ٢٤٢ وأسرار الشهادة (ط سنة ١٣١٩هـ) ص٢٥٥.

أولاً: أن ظاهر هذا النص: أن الزهراء «عليها السلام» لم تمت في بيتها الذي في المسجد، بل ماتت في مكان آخر بعيد عنه، قالت الرواية: فلما قربا من المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء الخ..

فهل ماتت في بيت الأحزان الذي هيأه لها أمير المؤمنين «عليه السلام» في البقيع؟!

وفي بعض الروايات: أنها كانت تذهب إلى هناك، فلا تزال باكية، فإذا جاء الليل جاءها علي وأرجعها إلى منزلها(١).

أو أنها ماتت في بيت آخر اتخذه «عليه السلام» لها بعد أن فرضت السلطة عليها ترك بيتها الذي في المسجد، لأن بكاءها على أبيها كان يزعجهم ويضر بهم، لأن الخليفة إنما يدير الأمور من مسجد الرسول، والمسجد هو موضع تردد الناس للصلاة، وللقاء الخليفة ومراجعته في الأمور، وتجهيز الجيوش، وإرسال العمال إلى البلاد والتواصل معهم، وما إلى ذلك.

وكل من يأتي إلى المسجد، فإنه يبادر أولاً إلى السلام على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث دفن في بيت فاطمة «عليها السلام»، فإذا رأوها باكية ومهمومة مغمومة، فإنهم سوف يتعاطفون، ويستحضرون ما جرى عليها.. وهذا يضر بمصلحة الغاصبين، ويضعف من قبضتهم على ما اغتصبوه.

ثم إن عائشة استولت على بيت الزهراء «عليها السلام»، وصارت تتصرف فيه تصرف المالك، وقد ضربت حائطاً على قبر النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٧.

لمنع الناس من الأخذ من تراب القبر للتبرك به، وأبقت كوة فيه، فصار الناس يتناولون التراب من الكوة، فسدتها أيضاً..

ثم دفنت أباها في بيت الزهراء، وكذلك عمر من بعده.

هذا، وقد ذكرت رواية الأربلي المتقدمة: أن الزهراء «عليها السلام» قد ماتت بعد العصر، وفي الوقت الذي يزيد فيه توافد الناس إلى المسجد. وفي هذا الوقت لا يريد المتسلّطون أن تكون الزهراء عند قبر أبيها في المسجد، كما ألمحنا إليه.

ثانياً: إن رفع الحسنين «عليهما السلام» أصواتهما بالبكاء بالقرب من المسجد سببه أنهما أصبحا في الموضع الذي تحتشد فيه الذكريات أمام أعينهما فقد ولدا وعاشا مع أبويهما وجدهما في المسجد، وأكثر ما جرى لهما مع الجد، والأب والأم والأخ، وغيرهم كان في المسجد، وفيه قبر جدهما، وهو أعز ما في الوجود عليهما، ويريدان أن يخبرا أباهما بموت سيدة نساء العالمين، فمن الطبيعي أن تهيج بهم الأشجان والأحزان، ويرتفع صوتهما بالبكاء.

ثالثاً: إن ما ذكرته هذه الرواية، من أن جميع الصحابة كانوا في المسجد، وقد ابتدرا الحسنين «عليهما السلام» حين رفعا أصواتهما بالبكاء، يدل على موقع الحسنين «عليهما السلام» في القلوب.. ولأجل ذلك كانت السلطة حريصة جداً على أن تجعلهما وقوداً لنار الحقد التي أضرمت في بيت علي والزهراء والحسنين «عليهم السلام».

الحسنان يشاركان في التفسيل وفي الصلاة والتشييع لأمهما:

١ ـ وقد ذكروا: أن الإمام علياً «عليه السلام» أمر الحسن والحسين «عليهما

السلام»، حين تغسيل أمهما بأن يدخلا الماء(١).

٢ ـ قال «عليه السلام»: فلما هممت أن أعقد الرداء، ناديت: يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، يا حسن، يا حسين. هلموا تزودوا من أمكم، فهذا الفراق، واللقاء في الجنة.

فلما أقبل الحسنان «عليهما السلام»، وكلماها، يقول أمير المؤمنين «عليه السلام»: إني أشهد الله أنها قد حنَّت، وأنَّت، ومدَّت يديها، وضمتهما إلى صدرها ملياً. وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها، فلقد أبكيا ـ والله ـ ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب.

قال: فرفعتهما عن صدرها.

ثم ذكر «عليه السلام»: أنه عقد الرداء، ثم حملها على يده، وأقبل بها إلى قبر أبيها.

ثم عدل بها إلى الروضة، فصلى عليها في أهله ومواليه، وأصحابه، وأحبائه، وطائفة من المهاجرين والأنصار. ثم واراها، وألحدها في لحدها(٢).

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٥٣٤ و (الإسلامية) ج٢ ص٧١٧ وكشف الغمة ج١ ص٥٠٠ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٥ و ١٨٦ وج٧٨ ص٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٠٢ واللمعة البيضاء ص٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٦٥.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٩ ـ ١٨٠ باختصار، واللمعة البيضاء ص٨٥٩ و ٨٦٠ وراجع: الأنوار البهية ص٦٢ و ٦٣ والعوالم ج٦ ص٢٦١ والأنوار العلوية ص٣٠٥ ومجمع النورين للمرندي ص١٥١ ـ ١٥٤ وبيت الأحزان ص١٨٢.

٢ ـ عن ورقة بن عبد الله الأزدي، عن فضة «رحمها الله» قالت في رواية مطولة: «فأقبل الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما يناديان: وا حسرتاه، لا تنطفئ أبداً.. فقدنا جدنا محمداً المصطفى، وأمنا فاطمة الزهراء، يا أم الحسن، يا أم الحسين، إذا لقيت جدنا المصطفى فاقرئيه منا السلام، وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا..

فقال أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: إني أُشهِد الله أنها قد حنَّت وأنَّت، وذكر نحو ما تقدم آنفاً..

ثم قال: فرفعتهما عن صدرها، وجعلت أعقد الرداء..»[١].

وقريب من ذلك: ما روي عن أسماء بنت عميس..[٢] أيضاً.

الصلاة على الزهراء عليها السلام:

أما فيما يرتبط بالصلاة على السيدة الزهراء «عليها السلام»، فنقول:

١ ـ في رواياتنا: أن الذين حضروا دفن الزهراء «عليها السلام» وصلوا عليها هم: أمير المؤمنين، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، وعقيل، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وبريدة، ونفر من بني هاشم.

وفي رواية أخرى أضاف: العباس، وابنه الفضل أيضاً.

وفي رواية ثالثة أضاف: حذيفة، وابن مسعود[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٤ ـ ١٨٠ واللمعة البيضاء ص٨٥٤ ـ ٧٦١ والأنوار العلوية ص٣٠٢ ـ ٣٠٦ ومجمع النورين ص١٥١ ـ ١٥٤.

(٢) راجع: الزهراء بهجة قلب المصطفى ص٥٧٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٣ و ١٩٢ واللمعة

٢ ـ وقال محمد بن جرير، بن رستم الطبري ما يلي: «..فغسلها أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يحضرها غيره، والحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع في الليل، ومعه الحسن والحسين، وصلى عليها.

ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتها، ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم، ودفنها في الروضة، وعفى موضع قبرها»[١].

وظاهر كلامه: أن الذي غسلها هو أمير المؤمنين «عليه السلام» وحده، ولم يحضرها غيره، وأن الذين حضروا وفاتها هم الذين عددهم من أبنائها وبناتها، وأن الذي حملها إلى البقيع هو علي، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، وصلى عليها علي «عليه السلام».. والظاهر: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا يأتمان به.

٣ ـ وهناك روايات تقول: إن الذين صلوا على الزهراء هم: الحسنان، وعبد الله بن عباس، وسلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد.

فصلى علي «عليه السلام» معهم[٢].

البيضاء ص٨٦٣ و ٨٦٨ و ٨٦٩ وروضة الواعظين ص١٥١ و ١٥٢ ومجمع النورين للمرندي ص١٥٠ وغير ذلك.

(١) دلائل الإمامة (ط مؤسسة البعثة) ص١٣٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص٤٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧١ وج٧٨ ص٣١٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ والهداية الكبرى ص١٧٨ واللمعة البيضاء ص٨٥٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٣٩٣ ودلائل الإمامة ص١٣٣ واللمعة

ونقول:

لاحظ ما يلي:

لا يغسل الصدّيقة إلا صدّيق:

إن الإمام علياً «عليه السلام» هو الذي غسل فاطمة «عليها السلام»، وهي في قميصها(١)..

ولم تكشف(٢).

البيضاء ص٨٧٢ و ٨٨٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤ وج٤٣ ص١٩٩ و ٢٠٨ وج٧٨ ص٣١٠ ومجمع النورين للمرندي ص١٤٥ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٠٢ و ٢٩١ وبيت الأحزان ص١٧٧.

(١) اللمعة البيضاء ص٨٥٩ و ٨٦٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٩ والأنوار البهية ص٦٢ والأنوار العلوية ص٣٠٥ وبيت الأحزان ص١٨٢ ومجمع النورين للمرندي ص١٥٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٢ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٠٣ وكشف الغمة ج٣ ص٣٦٤ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢٤ واللمعة البيضاء ص٨٨٢ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص١٥٥ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٥٨٧ وتنقيح التحقيق للذهبي ج١ ص٣٠٥ والقول المسدد في مسند أحمد ص٧١ ونصب الراية ج٢ ص٢٩٦ ومسند أحمد ج٦ ص٤٦١ و ٤٦٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢١١ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٤١١ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٣٩٩ والخصائص الفاطمية ج٢ ص١٧٦ و ٥٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٤٦٣ وج٣٣ ص٣٨١ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٨ والعمدة لابن البطريق ص٣٨٩ وذخائر العقبى ص٥٤ والأنوار البهية ص٦٠ والموضوعات ج٣ ص٢٧٧ وأسد الغابة ج٥ ص٥٩٠ وتاريخ المدينة لابن شبة

وإنما غسلها علي «عليه السلام» بنفسه، لأنها صديقة لا يغسلها إلا صديق[١].

وعلي «عليه السلام» هو الصديق الأكبر، كما ذكرناه في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٢ ص٦٧.

ولكن الحسنين أيضاً من الصديقين المعصومين المطهرين، ولأجل الإشارة إلى ذلك أشركهما «عليه السلام» في نقل ماء غسلها «عليها السلام»، فكانا يُدخلان الماء إليه «عليه السلام».

وبعض المصادر ذكرت حضور الحسن والحسين «عليهما السلام»، وزينب، وأم كلثوم، وفضة، غسل الزهراء «عليها السلام» أيضاً[٢].

وقد أشركهما «عليه السلام» أيضاً في الصلاة على أمهما[٣]. مع أنهما كانا

ج١ ص١٠٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٩ وينابيع المودة ج٢ ص١٤١.

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٣٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٤ عن أبي الحسن الخزاز القمي في كتاب: الأحكام الشرعية، ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٥٣٣ و (الإسلامية) ج٢ ص٧١٧ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٥ واللمعة البيضاء ص٨٨٠.

(٢) دلائل الإمامة (ط مؤسسة البعثة) ص١٣٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص٤٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧١ وج٧٨ ص٣١٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ والهداية الكبرى ص١٧٨ واللمعة البيضاء ص٨٥٢.

(٣) كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٣٩٣ ودلائل الإمامة ص١٣٣ واللمعة البيضاء ص٨٧٢ و ٨٨٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤ وج٤٣ ص١٩٩ و ٢٠٨

بعمر ست إلى ثمان سنوات، وذلك لنفس السبب الذي دعا إلى إشراكهما في الغسل.. فإن تأكيد معنى الصديقية، والطهارة والعصمة فيهما، وممارسة شؤون الإمامة بصورة عملية مما تحتاج إليه الأمة في تربية وجدانها، وترسيخ اعتقاداتها.

كما أن هذه المشاركة بأنواعها تشريف وتكريم لهما، وإشادة عملية بفضلهما «صلوات الله عليهما».

المشاركون في الصلاة والتشييع والدفن:

قد يفهم من النصوص التي سلفت: أن الذين شاركوا في الصلاة على الزهراء قد شاركوا في دفنها «عليها السلام» أيضاً.

ونحن نشك في ذلك، فقد سمي لنا منهم تسعة عشر شخصاً من الرجال والنساء، وأضاف إليهم بعضهم نفراً من بني هاشم أيضاً، وبعض الروايات المتقدمة تقول: «فصلى عليها في أهله ومواليه، وأصحابه، وأحبائه، وطائفة من المهاجرين والأنصار.. ثم واراها، وألحدها في لحدها»(١).

وفي بعض الروايات: «أخرج علي الجنازة، وأشعل النار في جريد النخل، ومشى مع الجنازة بالنار، حتى صلى عليها ودفنها ليلاً»(٢).

وج٧٨ ص٣١٠ ومجمع النورين للمرندي ص١٤٥ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٠٢ و ٢٩١ وبيت الأحزان ص١٧٧.

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٩ ـ ١٨٠ باختصار، واللمعة البيضاء ص٨٥٩ و ٨٦٠ وراجع: الأنوار البهية ص٦٢ و ٦٣ والعوالم ج٦ ص٢٦١ والأنوار العلوية ص٣٠٥ ومجمع النورين للمرندي ص١٥١ ـ ١٥٤ وبيت الأحزان ص١٨٢.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٠٤ عن علل الشرايع.

فكيف يمكن أن يبقى هذا الأمر مستوراً، ولا يلتفت أحد إلى هذا التشييع الحاشد، الذي أشعل النار في جريد النخل، ومشى مع الجنازة ليلاً.. فإن شخصاً واحداً لو سمع جلبتهم، وصوت وطء أقدامهم، ورأى أنوار نيرانهم، سوف يبادر إلى إيقاظ الآخرين، ولفت نظر المستيقظين منهم إلى ما يجري، وسوف يجتمع الناس، ويلتحقوا بهم، وسيصل الخبر إلى الآخرين.. الذين لا تحب الزهراء أن يحضروا جنازتها.

كما أن اجتماع هذا العدد من الناس سوف يجعل من إخفاء قبرها أمراً صعباً للغاية.. ولاسيما مع امتداد الزمان، وتقادم العهد، ورغبة الناس بتداول الأمور الحساسة والخطيرة كهذا الأمر..

والذي نرجحه: هو رواية دلائل الإمامة للطبري، التي حصرت حضور الدفن بعلي والحسن والحسين «عليهم السلام»(١).

ويمكن الأخذ بالرواية الأخرى للطبري التي رواها أيضاً سليم بن قيس، وتحدثت عن وجود بعض آخر، كسلمان، وابي ذر، والمقداد، وعمار، فراجع(٢).

---

(١) دلائل الإمامة (ط مؤسسة البعثة) ص١٣٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص٤٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٧١ وج٧٨ ص٣١٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ والهداية الكبرى ص١٧٨ واللمعة البيضاء ص٨٥٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٣٩٣ ودلائل الإمامة ص١٣٣ واللمعة البيضاء ص٨٧٢ و ٨٨٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤ وج٤٣ ص١٩٩ و ٢٠٨ وج٧٨ ص٣١٠ ومجمع النورين للمرندي ص١٤٥ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٠٢ و ٢٩١ وبيت الأحزان ص١٧٧.

الوداع الأخير:

وحول طلب الإمام «عليه السلام» من الحسنين، وأم كلثوم وزينب، وسكينة وفضة: أن يتزودوا من أمهم، حين أراد أن يعقد الرداء نقول:

هنا عدة أمور تحتاج إلى إيضاح، نذكر منها ما يلي:

البنات أولاً:

إنه «عليه السلام» بدأ باسماء البنات، فذكر منهن أم كلثوم ثم زينب، ثم سكينة، ونستفيد من ذلك:

أولاً: لعل سبب ذكر البنات أولاً: أن شعور البنات بالحاجة إلى أمهنَّ ورعايتها، والكون في كنفها يكون عادة أقوى من شعور الأبناء، ووجل البنات من فقد أمهن أقوى، ورهبة موتها والاستيحاش من المستقبل بعدها يكون عندهن أشد مما يكون عند الأبناء.

ولكن هذا لا يعني: أن حزن الأبناء على أمهم أقل من حزن البنات، بل قد يكون العكس هو الصحيح، إذا كان الأبناء مثل الحسنين «عليهما السلام»، خصوصاً إذا كانت الأم مثل فاطمة «عليها السلام»، فيكون حزنهم أعظم، وحرقة شوقهم إليها آلم، بسبب عمق معرفتهم بمقامها.. وإدراكهم لفادح الخسارة بفقدها، وعظيم شعورهم بالرقة والأسى بسبب ما عانته، وما سيكون له من عواقب، وما سيؤدي ما جرى عليها من بلايا ونوائب.

ثانياً: رُوي عنهم «عليهم السلام»: أنه إذا أراد أحد توزيع شيء ما على الأولاد، فليبدأ بإعطاء البنات قبل الصبيان[١].

---

(١) هداية الأمة ج٧ ص٣٥١ والأمالي للصدوق ص٦٧٢ و ٦٧٣ وثواب الأعمال

ولهذا الإجراء فوائد وعوائد على نفوس البنات لا تخفى.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» لم يراع في دعوته للبنات أعمارهن، فلم يناد زينب ـ وهي الكبرى منهن ـ أولاً، بل جعلها متوسطة بين أختيها، ربما لأنه «عليه السلام» أراد أن يكون شعورهن متساوياً، فلا تشعر أي منهن: أنها تأتي في مرتبة ثانية أو ثالثة، ولو لأجل فارق السن.

رابعاً: إنه «عليه السلام» قد اعتبر فضة كاحدى البنات، واعتبر الزهراء بمثابة أم لها، لأنها كانت ترعاها وتعاملها كما تعامل الأم ابنتها.

وهذا ليس بالأمر الغريب على الزهراء «عليها السلام»، فقد بلغ حبها لأبيها، واهتمامها به، ورعايتها لشؤونه حداً جعل النبي «صلى الله عليه وآله» يصفها بأم أبيها..

ولعل هذه الحالة نفسها كانت تتجلى في تصرفات فاطمة «عليها السلام» مع مولاتها فضة «رحمها الله» أيضاً، وقد لاحظ ذلك منها علي «عليه السلام»، فاعتبرها كاحدى بناتها، وخاطبها بنفس هذا الخطاب.

وهذا تجسيد عملي لنظرة الإسلام إلى الناس، وأنه لا فضل عنده لعربي

للصدوق ص٢٠١ وروضة الواعظين ص٤٢٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٥١٤ و (الإسلامية) ج١٥ ص٢٢٧ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١١٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٢١ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٦٩ و ٩٤ و ١٠٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٢٦ وج٧ ص٤٨٤ وج١٠ ص٤٣٥ وميزان الحكمة ج٢ ص١١٨٨ ومعجم المحاسن والمساوئ ص٣٩٦ وإحياء علوم الدين ج٤ ص١٥٤.

على أعجمي إلا بالتقوى.

كما أنه إذا كان النبي وعلي «صلوات الله عليهما وآلهما» أبوي هذه الأمة، فلماذا لا تكون الزهراء «عليها السلام» بمثابة الأم لها أيضاً، بل هو الأمر الطبيعي والمتوقع منها؟!

خامساً: بالنسبة لذكر سكينة في جملة بنات الإمام علي «عليه السلام» في هذه الرواية، نقول:

قد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة الإمام الحسين ج١ ص٢٩٢ـ٢٩٦ عدة شواهد تدل على أن سكينة هذه هي إحدى بناته «عليه السلام».. ولكن ليس من بين تلك الشواهد تصريح: بأن سكينة هذه كانت من بنات الزهراء «عليها السلام»، سوى الخبر المتقدم الذي نقله العلامة المجلسي عن بعض الكتب التي ليست أصلاً يعول عليه.. فإنه ذكرها في جملة من ناداهن «عليه السلام» للتزود من أمهن.

ومن المعلوم: أن علياً «عليه السلام» لم يتزوج غير الزهراء في حياتها «عليها السلام».

مع ملاحظة: أن بقية الروايات أيضاً هي الأخرى ضعيفة سنداً، لكن ضعف سندها لا يدل على أنها مكذوبة ومختلقة من الأساس..

هذا الفراق:

إن قوله «عليه السلام»: «فهذا الفراق» قد يستثير سؤالاً يقول: إن الزهراء «عليها السلام» كانت قد فارقتهم قبل ساعات. فماذا أراد «عليه السلام»: «فهذا الفراق»؟!

ويجاب:

أولاً: لعل المقصود أنه قد دنا وقت فراق هذا الجسد بصورة تامة ونهائية، بدفنه وتغييبه في التراب.

ثانياً: إن الفراق التام لا يحصل بالموت وخروج الروح من الجسد، لأن روح الميت تبقى ـ في البداية على الأقل ـ قريبة منه، ويبقى لها نوع ارتباط بالجسد.. وهي تعرف وترى ما يجري حولها.. وتصل الحسنات إليها من خلال كيفيات التعاطي مع ذلك الجسد.. ولذا يستحب زيارة القبور، كما أن الأنبياء والأوصياء لهم زيارات خاصة نقرأ فيها: «أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي».

وصرحت الروايات: بأن الشهداء أحياء عند ربهم، فقد قال تبارك وتعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**(١).

حنَّت وأنَّت، ومدت يديها:

وتقدم: أن بعض الروايات عن علي «عليه السلام»، والتي لم تؤخذ من الأصول التي يعول عليها تقول: إنها «عليها السلام» حين خاطبها الحسنان «عليهما السلام»: «حنَّت، وأنَّت، ومدَّت يديها، وضمتهما إلى صدرها ملياً.. وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها، فلقد أبكيا ـ والله ـ

---

(١) الآيتان ١٦٩ و١٧٠ من سورة آل عمران.

ملائكة السماوات».

ونقول:

١ ـ تقدم عن قريب: أن علاقة الروح بالجسد لا تنقطع بالموت، وإن كانت تضعف في بعض تجلياتها.

وقلنا: إننا نقول في زيارتنا للأئمة «عليهم السلام»: «أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد سلامي».

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» لمن اعترض عليه حين خاطب قتلى المشركين في بدر، وهم في القليب: أنه كيف تخاطب أمواتاً؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «ما أنتم بأسمع منهم»[1].

هناك زيارة يقرؤها المسلم حين يزور المقابر.

وهناك قضية المقتول في عهد بني إسرائيل الذي لم يعرف قاتله، فأمرهم الله بذبح بقرة، وأن يضربوه ببعض أجزائها، ففعلوا، فأحياه الله، وأخبر بما جرى، ودلَّهم على قاتله، ثم عاد إلى ما كان عليه.

ونعلم: أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون..

---

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص١٠١ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٧ ص٢٠١ وعمدة القاري ج٨ ص٢٠١ ومسند أبي داود ص٩ وإثبات عذاب القبر ص٦٤ والتمهيد ج٢٠ ص٢٤٠ والدرر لابن عبد البر ص١٠٦ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٩٥ وتفسير الرازي ج١٤ ص١٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٤٢ والدر المنثور ج٥ ص١٥٧ ودلائل النبوة ج٣ ص٤٨ وراجع: تصحيح إعتقادات الإمامية ص٩٢ وبحار الأنوار ج٦ ص٢٥٤.

من أجل ذلك وسواه نقول:

لعل ما فعله الحسنان مع جثمان أمهما، وبكاءهما الشديد عندها، قد أسهم في انجذاب روح الزهراء «عليها السلام» إلى جسدها الشريف برهة يسيرة، لإظهار كرامتها «عليها السلام» ومقامها عند الله.

الفصل الثالث

وصايا الزهراء عليها السلام بالحسنين عليهما السلام ..

من وصايا الزهراء عليها السلام بالحسنين عليهما السلام:

١ ـ في رواية ذكرها المجلسي «رحمه الله» عن كتاب ليس من الأصول التي يعول عليها جاء فيها: أن الزهراء قالت لعلي «عليه السلام» قبل موتها:

«فإن أنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة يا أبا الحسن، ولا تصح في وجوههما، فيصبحان يتيمين، غريبين، منكسرين.. فإنهما بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما، فالويل لأمة تقتلهما وتبغضهما، ثم أنشأت تقول:

ابكني إن بكيت يا خير هادي ... وأسبل الدمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول أوصيك بالنسل ... فقد أصبحا حليف اشتياق

ابكني وابك لليتامى ولا تنس ... قتيل العدى بطف العراق

فارقوا فأصبحوا يتامى حيارى ... يحلف الله فهو يوم الفراق»[1]

لعل الصحيح: يخلف، بالخاء المعجمة.

٢ ـ وروى الطبري في دلائل الإمامة عن الإمام الصادق «عليه السلام»

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٨ و١٨٠.

عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال:

«..ثم أخذت عليَّ عهد الله ورسوله أنها إذا توفت لا أعلم أحداً إلا أم سلمة زوج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأم أيمن، وفضة.. ومن الرجال: ابنيها، وعبد الله بن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد، وأبا ذر، وحذيفة الخ..»(١).

ونقول:

ألف: بالنسبة للرواية الأولى نقول:

١ ـ لقد صرح المجلسي نفسه: بأنه نقلها من كتاب ليس من الأصول التي يعوَّل عليها.

٢ ـ ولا يمكننا القبول بأنها «عليها السلام» قد قالت لعلي «عليه السلام»، «ولا تصح في وجوهما»:

أولاً: لأنهما «عليهما السلام» لا يفعلان ما يوجب ذلك، فهما معصومان مطهران بنص آية التطهير..

ثانياً: لم نر علياً «عليه السلام» صاح في وجه أي طفل كان في كل حياته، فهل يصيح بوجه ريحانتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بعد أن أوصاه «صلى الله عليه وآله» بهما، فعن جابر بن عبد الله قال: «سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» قبل موته بثلاث: سلام عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليل ينهد ركناك،

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٠٨ ودلائل الإمامة للطبري ص١٣٣.

والله خليفتي عليك»[١].

فهل كانت الزهراء «عليها السلام» تتوقع أن يخالف علي «عليه السلام» وصية أبيها لأي سبب كان؟!

أم أن علياً كان سريع الإنفعال، فكان يحتاج إلى هذه التأكيدات التي لا مبرر لها؟!

ولو كان كذلك، فلماذا حين جندل عمرو بن ود، وأراد قتله، صار عمرو يسبّه، فتركه، وابتعد عنه قليلاً، ثم عاد إليه فقتله.. فلما سئل عن ذلك، ذكر أنه حين سبَّه ابتعد قليلاً، ثم عاد إليه.. وذلك ليكون قتله له خالصاً لوجه الله تعالى..

ثالثاً: ما معنى تفريع قولها: «فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين». فهل صياح أبيهما في وجههما يجعلهما كذلك؟! وكيف يكون ذاك سبباً لهذا؟!

رابعاً: لنفترض محالاً ما لا يمكن قبوله بوجه، فنقول: إن كان الحسنان قد فعلا ما يستحقان عليه التأديب، والردع، فكيف تنهى الزهراء علياً «عليهما السلام» عن ردعهما وتأديبهما؟! مع أنها مطهرة معصومة لا يصدر منها ما يخالف الشرع.

وكيف رضي «عليه السلام» بأن توجه له زوجته وصية مخالفة للشرع؟!

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٣ و ١٨٠ عن الأمالي للصدوق، ومناقب آل أبي طالب عن السمعاني في الرسالة، وأبي نعيم في الحلية، وأحمد في فضائل الصحابة، والنطنزي في الخصائص، وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام»، والزمخشري في الفائق.

وإن كان الحسنان لا يفعلان ما يستحقان به الصياح الرادع، فلماذا يصيح أبوهما في وجههما، وهو المطهر المعصوم؟!

ولماذا تجعله الزهراء مظنة لهذا الأمر؟!

خامساً: إننا نعلم: أن اليتيم هو من يفقد أباه، أما من يفقد أمه أو جده، فليس يتيماً.. ولا سيما إذا كان أبوه هو نفس النبي وأخوه، بنص آية المباهلة.

سادساً: لماذا اعتبرت الزهراء «عليها السلام» الحسن والحسين «عليهما السلام» غريبين أيضاً، وهما في موطنهما، وبين أهلهما وأقاربهما، وهما موضع تكريم وتعظيم بين الناس؟! أو أنها «عليها السلام» تتحدث عن نظرة الناس إلى من يكون بمثل سنهما، إذا ماتت أمه؟!

سابعاً: يلاحظ: أن الأبيات المنسوبة للزهراء «عليها السلام» فيها من الركاكة وضعف التركيب ما يجعلنا نشك في نسبتها إليها «عليها السلام».

ويظهر هذا الضعف بصورة جلية في البيتين: الثاني والرابع.

ب: بالنسبة لرواية دلائل الإمامة نقول: هي أكثر وضوحاً ونقاءاً..

غير أننا نشير إلى:

١ ـ أنها عدَّت الحسنين «عليهما السلام» اللذين قد لا يتجاوز عمرهما السبع أو الثمان سنوات ـ عدَّتهما ـ في جملة الرجال، ربما لأن القرآن ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تعاملا معهما كرجال، كما ظهر في آية المباهلة، وبيعة الرضوان، وغير ذلك مما قدمناه.

٢ ـ إنها ذكرت من الرجال أبا ذر، ولكن بصيغة الرفع بالواو، فقالت: «أبو ذر» مع أنه يجب أن يكون منصوباً بالألف، عطفاً على ابنيها المتقدم.

غير أن هذا، إنما هو في نسخة بحار الأنوار، أما دلائل الإمامة، ففيه: «أبا ذر»، وهو الصحيح، فظهر: أن تبديلها قد جاء من قبل النسّاخ.

وصية فاطمة بحوائطها:

روي: أن أبا جعفر «عليه السلام» أخرج سفطاً أو حقاً، وأخرج منه كتاباً فقرأه، وفيه وصية فاطمة «عليها السلام»، وهي التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

أوصت بحوائطها السبعة: العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، وما لأم إبراهيم، إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فإن مضى علي، فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين، فإلى الأكابر من ولدي.. شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب(١).

ونقول:

توضيحات:

ألف:

---

(١) الكافي ج٧ ص٤٨ و٤٩ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٤٤ و٢٤٥ وتهذيب الأحكام للطوسي ج٩ ص١٤٤ ودلائل الإمامة ص١٢٩ و١٣٠ وتذكرة الخواص ج٢ ص٣٥٤ و٣٥٥ ودعائم الإسلام ج٢ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٨٥ وكشف الغمة ج٢ ص٣٥٠.

١ ـ الحائط: البستان، جمعه حوائط.

٢ ـ السفط: وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه.

٣ ـ الحق، وعاء صغير، ذو غطاء، يتخذ من عاج، أو زجاج أو نحوه.

ب: إن هذه الحوائط السبعة كانت لمخيريق اليهودي.. الذي أسلم، واستشهد يوم أحد، وأوصى ببساتينه السبعة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأوقفها النبي «صلى الله عليه وآله» سنة سبع للهجرة، على فاطمة، وكان يأخذ منها لأضيافه وحوائجه(١).

ج: إن وصية فاطمة تعطي: أن هذه الحوائط موقوفة عليها، فلما دنت وفاتها جعلت الولاية عليها إلى علي «عليه السلام»، ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين «عليهما السلام»، ثم إلى الأكابر من ولدها.

فاطمة لعلي: تزوج أمامة:

ويقال: إن علياً «عليه السلام» تزوج أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، بوصية من الزهراء «عليها السلام»، فقد أوصته بذلك، وقالت: إنها تكون لولديّ مثلي(٢).

---

(١) راجع: وفاء الوفاء ج٣ ص٩٨٨. وراجع: شرح الأخبار ج٣ هامش ص١٩٠. ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٤٤ وتهذيب الأحكام ج٩ ص١٤٤ و ١٤٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٩ ص١٩٨ و ١٩٩ و (الإسلامية) ج١٣ ص٣١١ والحدائق الناضرة ج٢٢ ص١٦٢.

(٢) راجع: روضة الواعظين ص١٦٨ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٦٠ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٧٠ وعلل الشرايع ج١ ص١٨٨ وراجع: بحار الأنوار ج٢٨

أو قالت: «بنت أختي»، وتتحنن على ولديّ(١).

وعن ابن عباس: أن علياً «عليه السلام» قال أشياء لم أجد إلى تركهن سبيلاً.

إلى أن قال: وتزويج أمامة بنت زينب، أوصتني بها فاطمة(٢).

وفي بعض الروايات: أنها ولدت لعلي «عليه السلام» محمداً الأوسط(٣).

ونقول:

قد تحدثنا عن هذا الموضوع في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١ ص٢٦٧ ـ ٢٧٥. وكتاب: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث

ص٣٠٤ وج٤٣ ص١٨١ و ١٩١ و ١٩٩ وج٧٨ ص٢٥٣ و ٢٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣١٧ واللمعة البيضاء ص٨٦٨ و ٨٧٢ و ٨٧٥ والأنوار العلوية ص٣٠٣ ومجمع النورين ص١٥٠ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص٣٣٢.

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٧ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣١٧ واللمعة البيضاء ص٨٩٠ عن مصباح الأنوار ص٢٥٩. وراجع: مجمع النورين للمرندي ص١٤٨ وبيت الأحزان ص١٦٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٧٠ و (ط الأولى سنة ١٤٢٢هـ) ص٣٩٢ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٤.

(٣) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٢ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣١٧ وإمتاع الأسماع ج٦ ص٢٩٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١٢٢ والأنوار العلوية ص٤٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٦٧٥.

والتاريخ ج٦ ص٣٠٣ ـ ٣٠٩.

من أجل ذلك نكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

١ ـ إن حديث أمامة فيه كثير من الأخذ والرد، وفيه إشكالات على العديد مما قيل ويقال فيه.. الأمر الذي يوهن الإعتماد عليه، وقد ذكرنا شطراً وافراً من ذلك في كتابينا المشار إليهما آنفاً.

٢ ـ إن كان سبب وصية فاطمة علياً بالزواج من أمامة: هو أنها أرادت أن تكون أمامة بديلاً عنها في رفد أولادها بالحنان، فلماذا تأخر علي «عليه السلام» في الإقدام على هذا الزواج، ما يقرب من سنتين؟! فإن فاطمة «عليها السلام» قد استشهدت في الأشهر الأولى من السنة الحادية عشرة للهجرة، وأبو العاص ابن الربيع مات في السنة الثانية عشرة، وأوصى إلى الزبير[(١)].

وقد زوَّجها الزبير من علي «عليه السلام»، لأن أباها أوصاه بها[(٢)].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٨٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٥٨٤ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٢٥٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٤٣ والإكمال في أسماء الرجال ص١٥٠ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٨٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٩١ وج١٨ ص٣٩٨ وتهذيب الكمال ج٩ ص٣٢٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٤٠٠ وعيون الأثر ج٢ ص٣٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٢.

(٢) أسد الغابة ج٧ ص٢٠ و (ط دار الكتاب العربي ـ بيروت) ج٥ ص٤٠٠ والإصابة (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج٨ ص٢٤ والإستيعاب ج٤ ص٣٥١ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٨٨ والوافي بالوفيات ج٩ ص٢١٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٦٤ والكنى والألقاب ج١ ص١١٥. وراجع الهامش السابق.

فلماذا لم يتزوجها علي «عليه السلام» في حياة أبيها، ويخطبها إليه، ويكون أبوها هو الذي يزوجها؟!

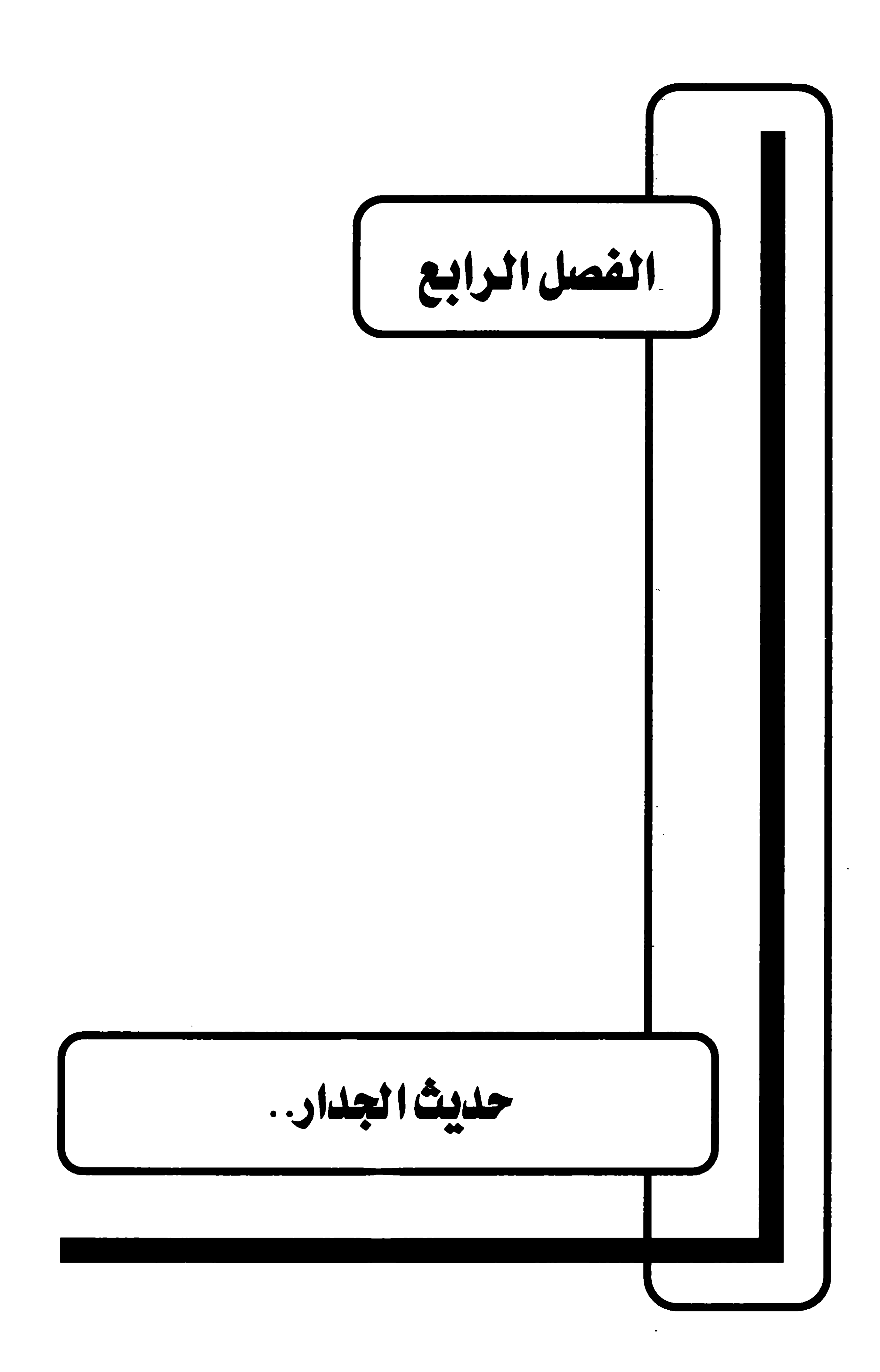
إلا أن يدَّعى: أنه خطبها منه فرده، ولما مات زوَّجه إياها الزبير، ولا شيء يدل على حصول شيء من ذلك، ولو حصل لتضافرت الجهود على نشر هذا الأمر، الذي سيكون مدعاة لشماتة الشامتين. وجعله من أسباب الطعن في علي وتوهين أمره، ورسم علامات الاستفهام حوله.

ويبقى هنا سؤال يقول:

لماذا ترك علي «عليه السلام» أولاده بلا رعاية ولا حنان طيلة تلك المدة؟!

غير أن لنا أن نناقش في حاجة الحسنين «عليهما السلام» إلى الحنان والرعاية، فإنهما قد كبرا وتجاوزا السن الذي يتوهم أنهما يحتاجان فيه إلى ذلك.

مع أن تاريخهما في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، وطريقة تعامل النبي والقرآن معهما، وكذلك ما جرى حين وفاة جدهما وأمهما، قد أوضح أنهما على درجة لا تجارى في الوعي والمسؤولية، والثبات والحكمة، والتدبير والعقل وما إلى ذلك.. وأي حنان يمكن أن يحصلا عليه من غير أبيهما، ومن غير أم سلمة، وغيرها من الصالحات المحبات لأهل البيت «عليهم السلام»؟!



الفصل الرابع

حديث الجدار..

الجدار الساتر:

أورد الراوندي رواية ترتبط بالحسنين «عليهما السلام»، وهي مروية عن الإمام الكاظم «عليه السلام». ونحن نلخصها على النحو التالي:

عن الحسين بن الحسن، عن أبي سمينة محمد بن علي، عن جعفر بن محمد، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم الجعفري، عن أبي إبراهيم «عليه السلام» قال:

خرج الحسن والحسين «عليهما السلام» حتى أتيا نخل العجوة للخلاء، فهويا إلى مكان، وولى كل واحد منهما بظهره إلى صاحبه، فرمى الله بينهما بجدار يستتر به أحدهما عن صاحبه.

فلما قضيا حاجتهما، ذهب الجدار، وارتفع من موضعه.

وصار في الموضع عين ماء، وإجانتان. فتوضيا، وقضيا ما أرادا.

ثم انطلقا حتى صارا في بعض الطريق، عرض لهما رجل فظ غليظ، فقال لهما: ما خفتما عدوكما؟! من أين جئتما؟!

فقالا: إننا جئنا من الخلاء.

فهمَّ بهما، فسمعوا صوتاً يقول:

(...) أتريد أن تناوي ابني محمد «صلى الله عليه وآله»، وقد علمت بالأمس ما فعلت.

(إلى أن قال:)

وأغلظ له الحسين «عليه السلام» أيضاً.

فهوى بيده ليضرب بها وجه الحسين «عليه السلام»، فأيبسها الله من عند منكبه.

فأهوى باليسرى، ففعل الله به مثل ذلك، فقال: أسألكما بحق جدكما وأبيكما لما دعوتما الله أن يطلقني.

فقال الحسين «عليه السلام»: اللهم أطلقه، واجعل له في هذا عبرة، واجعل ذلك عليه حجة. فأطلق الله يده.

فانطلق قدَّامهما حتى أتى علياً «عليه السلام»، وأقبل عليه بالخصومة، فقال: أين دسستهما؟!

وكان هذا بعد يوم السقيفة بقليل.

فقال علي «عليه السلام»: ما خرجا إلا للخلاء.

وجذب رجل منهم علياً «عليه السلام» حتى شق رداءه.

(ثم ذكر «عليه السلام»: أن الحسين «عليه السلام» دعا على ذلك الذي تجرأ على علي «عليه السلام»، وشق رداءه، واستجاب الله دعاءه بعد ذلك، ثم قال «عليه السلام»:)

فلما خرجا إلى منزلهما، قال الحسين للحسن «عليهما السلام»: سمعت

جدي يقول:

إنما مثلكما مثل يونس، إذ أخرجه الله من بطن الحوت، وألقاه بظهر الأرض، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وأخرج له عيناً من تحتها، فكان يأكل من اليقطين، ويشرب من ماء العين.

وسمعت جدي يقول: أما العين فلكم، وأما اليقطين فأنتم عنه أغنياء، وقد قال الله في يونس: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾[1].

ولسنا نحتاج إلى اليقطين، ولكن علم الله حاجتنا إلى العين، فأخرجها لنا، وسنرسل إلى أكثر من ذلك، فيكفرون، ويمتعون إلى حين.

فقال الحسن «عليه السلام»: قد سمعت هذا[2].

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، وهي التالية:

الرقابة الصارمة وأهدافها، ودلالاتها:

١ ـ صرحت الرواية المتقدمة: بأن مضمونها قد حدث بعد السقيفة بقليل.

٢ ـ ويفهم منها: أن ثمة رقابة صارمة من قِبَل الحكام على علي «عليه السلام»، وحتى على الحسن والحسين «صلوات الله وسلامه عليهما»..

---

(١) الآيتان ١٤٧ و ١٤٨ من سورة الصافات.

(٢) الخرائج والجرائح ج٢ ص٨٤٥ ـ ٨٤٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٣ ـ ٢٧٥ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٨٦ ـ ٣٨٩ و ٥٠٩ ـ ٥١١.

٣ ـ يفهم أيضاً: أن هذه الرقابة كانت معلنة وظاهرة، ولا يتخفون فيها، ولا يخجلون منها.

٤ ـ إن هناك جرأة كبيرة وعالية على علي «عليه السلام»، حتى إنهم ليخاصمونه ويتهمونه حتى في خروج ولديه إلى الخلاء.. بل إنهم يجاذبونه حتى يشقُّون ثوبه، كما تقول الرواية..

فهنا سؤلان:

أولهما: عن سبب هذه الجرأة عليه «صلوات الله وسلامه عليه»، وهو: قالع باب خيبر، وقاهر المشركين في حنين، وبدر وأحد، وحمراء الأسد، وذات السلاسل، وغير ذلك..

وهو أيضاً: قاهر اليهود في قريظة، والنضير، وخيبر..

الثاني: عن سبب رقابتهم له، وما الذي يخشونه منه..

ولهذين السؤالين جواب واحد، وهو:

أنهم يعلمون: أنه موصى من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»: بأنه إن لم يجد أعواناً على ظالميه، فلا يحاربهم..

وبذلك يعلم الجواب على السؤال الثاني، وهو: أنهم كانوا يخشون من أن يجد أعواناً.. لاسيما وأنهم لمسوا منه: أنه يسعى في هذا السبيل، ليكون معذوراً أمام الله: بأنه قد سعى ولم يجد أعواناً..

وقد أثبت لهم ذلك: زياراته «عليه السلام» مع فاطمة والحسنين «عليهم السلام» لأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان في بيوتهم.

وهذا يدل على مدى يقينهم بالتزام الإمام علي «عليه السلام» بوصايا

النبي «صلى الله عليه وآله»، وشدة انقياده لأوامره.

ما هذا الجحود؟!:

١ ـ إنهم يفعلون هذا كله، بالرغم من أنهم يرون المعجزة، بل المعجزات المتوالية من ولديه للحظات خلت.. فقد يبست يد ذلك الرجل اليمنى حين أراد أن يضرب وجه الحسين «عليه السلام»، ولعله ظن أن يباسها لعارض عادي عرض له، وليست كرامة للحسن والحسين «عليهما السلام» من الله..

فبادر إلى استعمال يده اليسرى، ليضرب بها الحسين «عليه السلام» فيبست اليسرى أيضاً..

ثم أطلقها له الإمام الحسين بكلمة واحدة، وهي قوله: «اللهم أطلقه».

ولكنه بقي مصراً على الخصومة والشكوى لعلي «عليه السلام»، وتشديد الخصومة معه.

فما هذا الجحود لآيات الله، وعدم البخوع لدلالات وبراهين أهل البيت «عليهم السلام»؟!

ويزيد هذا الأمر وضوحاً: أن ذلك الرجل قد سمع الهاتف يقول له: أتريد أن تناوئ ابني محمد؟!

ولكن ذلك لم يردعه، فأراد أن يضرب الحسين «عليه السلام»، فظهرت له «عليه السلام» معجزات ثلاث أخرى.

وبالرغم من ذلك كله، فإنه خاصم علياً «عليه السلام» في نفس هذا الأمر، بل إنهم جاذبوه «عليه السلام» حتى شقُّوا رداءه.. كما تقدم.

٢ ـ ونكاد نطمئن إلى أن هذا الرجل المهاجم كان يعرف: بأن للحسنين «عليهما السلام» مقاماً عظيماً عند الله تعالى، وأنه تعالى يستجيب دعاءهما، ولا يرد لهما طلباً.

وكان يعلم أيضاً: أنهما لا يردان طلب من أقسم عليهما بحق جدهما وأبيهما.

وبالرغم من أن الحسين «عليه السلام» كان يريد لهذا الرجل أن يعتبر، ويتراجع عن إصراره على مناوأة أهل بيت النبوة، فإنه كان يعلم: أنه لا يوفق لذلك، بسبب شدة عناده وإصراره..

فلم يكتف «عليه السلام» بقوله: «واجعل له في هذا عبرة».. بل أضاف إليه قوله: «واجعل ذلك حجة عليه».

وهذا ما حصل فعلاً، فإن ذلك الرجل بقي مصراً على الخصومة إلى حدّ أنه أقبل على علي «عليه السلام» بالخصومة، والإتهام العاري عن الشاهد، بل الشواهد متضافرة على بطلان وزيف هذا الإتهام.

ما أشبه الليلة بالبارحة:

ويذكرنا ما جرى لهذا الرجل المعاند هنا، بما جرى لسراقة بن جشعم الذي لحق النبي «صلى الله عليه وآله» ليقتله وهو في طريق الهجرة من مكة إلى المدينة.. فدعا رسول الله ربه، فساخت قوائم فرس سراقة، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطلقها ففعل..

فعاد إلى محاولة اللحاق، فساخت قوائم فرسه، فأطلقها النبي «صلى الله عليه وآله»..

وهكذا حصل في الثالثة(١).

الهاتف: ابنا محمد:

إن الهاتف قال لذلك الرجل: أتريد أن تناوئ ابني محمد؟!

فنسبهما إلى جدهما لا إلى أبيهما، ولعل الحكمة من ذلك:

أولاً: أن نسبتهما إلى جدهما أدعى لردع المهاجم، لأنه لو نسبهما إلى أبيهما، فربما ازدادت رغبة المهاجم بالبطش، لأن علياً «عليه السلام» هو المناوئ والخصم لهم، الذي اغتصبوا حقه، وحاولوا قتله، وإحراق بيته بجميع من كانوا فيه..

وكانوا يريدون فرض هيبتهم عليه وعلى أهل بيته، بل وعلى جميع بني هاشم ليصفو لهم الجو، لكي ييأس أهل البيت وينسحبوا من الساحة، ويكفوا عن التعريف بمظلوميتهم، والتنديد بما جرى عليهم.

يضاف إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قمع الشرك والكفر، وقتل: أعزاء، وآباء، وأبناء، وأقارب هؤلاء المناوئين.. ويرون: أن ثاراتهم عنده بالدرجة الأولى..

الحسين عليه السلام هو الذي تصدى:

وقد رأينا: أن الذي تصدى لذلك الرجل المهاجم هو الحسين «عليه السلام».. وقد حاول ذلك الرجل أن يضربه مرة بعد أخرى.

---

(١) الكافي ج٨ ص٢٦٣ وحلية الأبرار ج١ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج١٩ ص٨٨ ومرآة العقول ج٢٦ ص٢٥٥ والبرهان (تفسير) ج٢ ص٧٧٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٠١.

وأما الإمام الحسن، فبقي في موقع الراصد والمراقب.

وتصدي الإمام الحسين «عليه السلام» كان هو الأنسب، لأنه أصغر سناً، إذ لعله لم يتجاوز عمره الست سنوات..

ومن المعلوم: أن التعدي عليه من قبل ذلك المهاجم سيكون أبشع وأشنع.

ولكن سؤالاً يبقى بحاجة إلى جواب، وهو: لو لم تيبس يدا ذلك الرجل حين أراد ضرب الحسين «عليه السلام» في المرتين: الأولى، والثانية، ووقع المحذور، فماذا سيكون موقف علي «عليه السلام» من ذلك الرجل؟!

هل يبطش به، ويريه عواقب فعله؟! أو يصفح عنه؟!

أو يكتفي بالدعاء عليه؟!

أو يعتبره جاهلاً يحتاج إلى إرشاد وتعليم؟!

أو يكتفي بتأنيبه ولومه؟! أم ماذا؟!..

كل ذلك محتمل..

لكن ما نعرفه هو: أن التدخل الإلهي كان هو المطلوب، لكي تبقى الأجواء هادئة، ولا يفسح المجال لأي تحليل خاطئ، أو تأويل سقيم، أو إشاعة باطلة، أو غير ذلك، مما يمكن لأهل الأهواء أن يتشبثوا به، لإطلاق الشبهات، وترويج الضلالات، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

الجدار لماذا؟!:

وقد يتساءل المرء عن الحاجة إلى الجدار، الذي هو نتيجة تدخل إلهي مباشر، وبطريقة إعجازية، لا تحصل عادة إلا لغرض كبير وخطير.. ولاسيما

بعد أن أدار كل منهما ظهره للآخر، فقد انتفت الحاجة إلى الجدار.

ويمكن أن يجاب بما يلي:

١ ـ إن المصلحة في إقامة الجدار هو: التحرز من أن يراهما أحد من بعيد، ممن يكون بعده ساتراً لهما، ومانعاً عن الرؤية التفصيلية المحرمة شرعاً، ويعرف أنهما في حال التخلي، فإذا رأى أنه لا ساتر لأحدهما عن الآخر، فقد يتخذ من ذلك ذريعة لإشاعة مشروعيةالنظر للعورة.. ولاسيما بالنسبة للصبيين المميزين، ويستدل على ذلك: بما رآه، أو يتخذ ذلك وسيلة للتشنيع عليهما «صلوات الله وسلامه عليهما»، وتوهين شأنهما.

كما أن الجدار يقلِّل من احتمال رؤيتهما معاً من قبل أي ناظر من بعيد، بل يرى واحداً منهما في أغلب الأحيان، وهو الشخص الذي يكون إلى جهة الناظر، ويكون مقابل إحدى جهتي الجدار..

كما أن وجود الجدار يحدُّ من طموح خيال كل واحد منهما في تصوره لحالة الطرف الآخر..

وهذا وإن كان لا يحتمل في حق الحسنين المطهرين «عليهما السلام» من الرجس حتى في مرحلة التخيل أيضاً.. ولكنه تعليم مطلوب بالنسبة لسائر الناس.

مثلكما مثل يونس:

واللافت: أن الحسين «عليه السلام» يروي للإمام الحسن «عليه السلام» عن جدِّه النبي «صلى الله عليه وآله» حديثاً، ثم طبَّقه على ما جرى لهما في هذه

الواقعة، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: إن مثلهما مثل يونس «عليه السلام» إذ أخرجه الله تعالى من بطن الحوت، فاحتاج إلى شجرة يقطين، فأنبتها عليه، وأخرج له عيناً من تحتها.. فكان يأكل من اليقطين، ويشرب من ماء العين..

ونقول:

١ ـ في هذا الذي جرى معهما، رأينا: أنهما بعد أن خرجا من موضع أمنهما، وأنسهما لأجل التخلي، لم يحتاجا إلى بديل عن اليقطين.. وأما الماء، فقد احتاجا إليه، لا ليشربا منه، بل ليتوضيا فيه.

٢ ـ إن استغناء الحسنين «عليهما السلام» عن اليقطين يظهر امتيازهما في درجات القرب من الله على يونس «عليه السلام».

٣ ـ قد يكون في هذا الاستغناء عن اليقطين إشارة إلى أنهما «عليهما السلام» كانا في غنى عن الجدار، ويكون وضعه بينهما لإبطال تخيلات الآخرين، وأوهامهم.

أما يونس «عليه السلام»، فكان هو شخصياً بحاجة إلى اليقطين. كما أنه كان بحاجة لعين الماء لرفع العطش بالدرجة الأولى..

أما حاجة الحسنين «عليهما السلام» لعين الماء، فكانت لإسباغ الوضوء، لا لأجل رفع العطش.

٤ ـ كما أن الله تعالى قد أرسل يونس إلى مئة ألف أو يزيدون، فآمنوا، فمتعهم الله إلى حين.

أما الحسنان «عليهما السلام»، فسيرسلهما الله إلى أكثر من ذلك، لأن مهمة الحسنين هي هداية الأمة كلها.. ولكن الأمة سوف تكفر.. ويمتعها الله تعالى

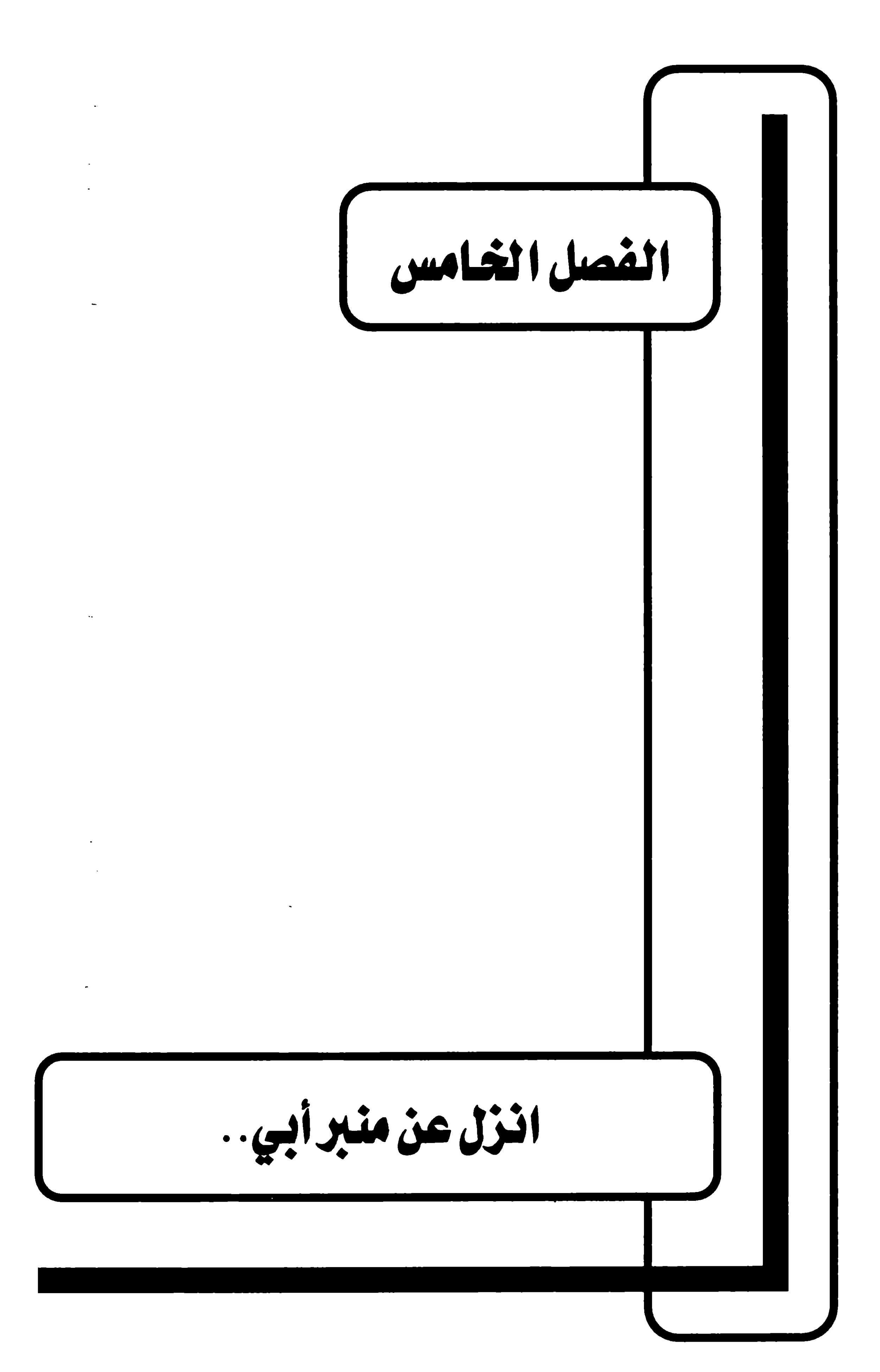
إلى حين.. وهذا يدل على أن ما يحتاجه الحسنان من الجهد في الهداية والرعاية سيكون أعظم، وسيكون تحملهما وصبرهما أقوى وأشد، وفي هذا مزيد فضل لهما، وفيه علو درجة واستحقاق للكرامة الالهية.

٥ ـ إن الذين كفروا من قوم يونس قد عادوا إلى الإيمان.. لكن الذين يكفرون من أمة الحسنين «عليهما السلام» لن يوفقوا للتوبة، فيمتعهم الله إلى حين.

٦ ـ وقال الإمام الحسين «عليه السلام»: «وسَنُرْسَل إلى أكثر من ذلك» يشير إلى أن مهمة الحسنين «عليهما السلام» هي مهمة الأنبياء، الذين يأتون الناس بدين الله فينكرونه، فيظهرون المعجزات، والكرامات فيجحدونها. وذلك لأن الإنحراف والضلال بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» سرعان ما يستشري ويستفحل، ويحتاج اقتلاعه إلى تضحيات جليلة، وإلى جهد هائل، وجهاد تبذل فيه الأموال، والأرواح، وتراق لأجله الدماء، وتسبى وتقتل الأطفال والنساء.

٧ ـ وقال الإمام الحسن للحسين «عليهما السلام» عن الحديث الذي حدثه به: «قد سمعت هذا».. فدل بذلك على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ذكر هذا الحديث لهما.. لكن يبدو أن كل واحد منهما سمعه على حدة..

٨ ـ لفت نظرنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام»: قد سمع الحديث بتمامه من أخيه، وسمع تطبيقاته له، ولم يعترض على شيء منها، ولم يعلق على الحديث من أوله إلى أخره بشيء.



الفصل الخامس

انزل عن منبر أبي..

إنه لمنبر أبيك:

١ ـ تذكر الروايات: أن الإمام الحسن «عليه السلام» جاء يوماً إلى أبي بكر، وهو يخطب على المنبر، فقال له: إنزل عن منبر أبي.

فقال أبو بكر: صدقت، إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبي.

فبعث علي «عليه السلام» إلى أبي بكر: إنَّه غلام حدث، وإنا لم نأمره.

فقال أبو بكر: إنا لم نتهمك(١).

---

(١) راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٠ و ٨٩ و ١٤٣ وتاريخ بغداد ج١ ص١٤١ عن أبي نعيم، وغيره، وأنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج٢ ص٢٦ و ٢٧ بسند صحيح عندهم والصواعق المحرقة ص١٧٥ و (ط أخرى) ص١٠٥ عن الدارقطني، ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٤٠ عن فضائل السمعاني، وأبي السعادات، وتاريخ الخطيب، وسيرة الأئمة الإثني عشر ج١ ص٥٢٩، وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٢٣ عن الدارقطني، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٢ ص٤٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٢٦ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص١٢٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٩٣ وينابيع المودة ج٢ ص٤٦٥ و (ط أخرى) ص٣٠٦ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٩٤ عن

ونسب ذلك إلى الإمام الحسين أيضاً[١].

والظاهر: أن قضية الحسين «عليه السلام» كانت مع عمر بن الخطاب كما ذكرناه في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله» والخلفاء الثلاثة بعده ص١١٤ و١١٥.

فذكر الحسين بدل الحسن فيما جرى مع أبي بكر يبدو أنه من تصحيفات الرواة، لتقارب الكلمتين في رسم الخط..

ويشهد على ذلك: الرواية التالية التي نذكرها بتمامها لما فيها من فوائد وعوائد:

٢ ـ حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى، عن عمرو بن أبي المقدام وزياد بن عبد الله قالا: أتى رجل أبا عبد الله «عليه السلام»، فقال له: يرحمك الله، هل تشيع الجنازة بنار، ويمشى معها بمجمرة وقنديل، أو غير ذلك مما يضاء به؟!

قال: فتغير لون أبي عبد الله «عليه السلام» من ذلك، واستوى جالساً، ثم قال: إنه جاء شقي من الأشقياء إلى فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله»،

الكنز وابن سعد، وأبي نعيم، والجابري في جزئه، والغدير ج٧ ص١٢٦ عن السيوطي، وعن الرياض النضرة ج١ ص ١٣٩ و (ط أخرى) ص١٨٨ وعن كنز العمال ج٣ ص١٣٢ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٦١٦ وحياة الحسن للقرشي ج١ ص٨٤ عن بعض من تقدم. والاتحاف بحب الأشراف ص٢٣.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٣٠٧ والجعفريات ص٣٥٠ و٢١٢ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٦٥.

فقال لها: أما علمت أن علياً قد خطب بنت أبي جهل؟!

فقالت: حقاً ما تقول؟!

فقال: حقاً ما أقول ـ ثلاث مرات ـ.

فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها، وذلك أن الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة، وكتب على الرجال جهاداً. وجعل للمحتسبة الصابرة منهن من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله.

قال: فاشتد غمُّ فاطمة «عليها السلام» من ذلك، وبقيت متفكرة هي حتى أمست وجاء الليل، حملت الحسن على عاتقها الأيمن، والحسين على عاتقها الأيسر، وأخذت بيد أم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثم تحولت إلى حجرة أبيها.

فجاء علي «عليه السلام»، فدخل في حجرته، فلم ير فاطمة «عليها السلام»، فاشتد لذلك غمه، وعظم عليه، ولم يعلم القصة ما هي.. فاستحيى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج إلى المسجد، فصلى فيه ما شاء الله، ثم جمع شيئاً من كثيب المسجد واتكأ عليه.

فلما رأى النبي «صلى الله عليه وآله» ما بفاطمة من الحزن أفاض عليه الماء، ثم لبس ثوبه ودخل المسجد، فلم يزل يصلي بين راكع وساجد، وكلما صلى ركعتين دعا الله أن يذهب ما بفاطمة من الحزن والغم، وذلك أنه خرج من عندها وهي تتقلب وتتنفس الصعداء، فلما رآها النبي «صلى الله عليه وآله» أنها لا يهنئها النوم، وليس لها قرار، قال لها: قومي يا بنية!

فقامت، فحمل النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن، وحملت فاطمة الحسين،

وأخذت بيد أم كلثوم.. فانتهى إلى علي «عليه السلام» وهو نائم، فوضع النبي رجله على رجل علي، فغمزه، وقال: قم يا أبا تراب، فكم ساكن أزعجته، ادع لي أبا بكر من داره، وعمر من مجلسه، وطلحة.

فخرج علي «عليه السلام»، فاستخرجهما من منزلهما، واجتمعوا عند رسول الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا علي، أما علمت أن فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني [ومن آذاني فقد آذى الله]، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟!

قال: فقال علي: بلى يا رسول الله.

قال: فقال: فما دعاك إلى ما صنعت؟!

فقال علي: والذي بعثك بالحق نبياً ما كان مني مما بلغها شيء، ولا حدثت بها نفسي.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: صَدَقت وصُدِّقْت.

ففرحت فاطمة «عليها السلام» بذلك، وتبسمت حتى رئي ثغرها، فقال أحدهما لصاحبه: إنه لعجب لحينه، ما دعاه إلى ما دعانا هذه الساعة!!

قال: ثم أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» بيد علي «عليه السلام»، فشبك أصابعه بأصابعه، فحمل النبي «صلى الله عليه وآله» الحسن، وحمل الحسين علي «عليه السلام»، وحملت فاطمة «عليها السلام» أم كلثوم، وأدخلهم النبي «صلى الله عليه وآله» بيتهم، ووضع عليهم قطيفة، واستودعهم الله ثم خرج وصلى بقية الليل.

فلما مرضت فاطمة «عليها السلام» مرضها الذي ماتت فيه.. أتياها عائدين، واستأذنا عليها، فأبت أن تأذن لهما، فلما رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً لا يظله سقف بيت حتى يدخل على فاطمة «عليها السلام» ويتراضاها.

فبات ليلة في الصقيع ما أظله شيء، ثم إن عمر أتى علياً «عليه السلام» فقال له: إن أبا بكر شيخ رقيق القلب، وقد كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الغار، فله صحبة، وقد أتيناها غير هذه المرة مراراً نريد الإذن عليها، وهي تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها فنتراضى، فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل.

قال: نعم.

فدخل علي على فاطمة «عليها السلام»، فقال: يا بنت رسول الله، قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، وقد ترددا مراراً كثيرة، ورددتهما ولم تأذني لهما، وقد سألاني أن أستأذن لهما عليك..

فقالت: والله لا آذن لهما، ولا أكلمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه مني.

قال علي «عليه السلام»: فإني ضمنت لهما ذلك.

قالت: إن كنت قد ضمنت لهما شيئاً، فالبيت بيتك، والنساء تتبع الرجال، لا أخالف عليك بشيء، فائذن لمن أحببت..

فخرج علي «عليه السلام»، فأذن لهما، فلما وقع بصرهما على فاطمة «عليها السلام» سلما عليها، فلم ترد عليهما، وحولت وجهها عنهما.

فتحولا واستقبلا وجهها، حتى فعلت مراراً، وقالت: يا علي جاف الثوب،

وقالت لنسوة حولها: حولن وجهي، فلما حولن وجهها حولا إليها.

فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله، إنما أتيناك ابتغاء مرضاتك، واجتناب سخطك.. نسألك أن تغفري لنا، وتصفحي عما كان منا إليك.

قالت: لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى أبي وأشكوكما إليه، وأشكو صنعكما وفعالكما، وما ارتكبتما مني.

قالا: إنَّا جئنا معتذرين، مبتغين مرضاتك.. فاغفري واصفحي عنا، ولا تؤاخذينا بما كان منا..

فالتفتت إلى علي «عليه السلام» وقالت: إني لا أكلمهما من رأسي كلمة حتى أسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن صدقاني رأيت رأيي.

قالا: اللهم ذلك لها، وإنَّا لا نقول إلا حقاً، ولا نشهد إلا صدقاً.

فقالت: أنشدكما بالله، أتذكران أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر علي؟!

فقالا: اللهم نعم.

فقالت: أنشدكما بالله، هل سمعتما النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها، فقد آذاني، ومن آذاني، فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟!

قالا: اللهم نعم.

فقالت: الحمد لله.

ثم قالت: اللهم إني أشهدك، فاشهدوا يا من حضرني أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي، فأشكوكما إليه بما صنعتما [به و] بي، وارتكبتما مني..

فدعا أبو بكر بالويل والثبور، وقال: ليت أمي لم تلدني..

فقال عمر: عجباً للناس، كيف ولوك أمورهم، وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب امرأة، وتفرح برضاها، وما لمن أغضب امرأة؟! وقاما وخرجا.

قال: فلما نعي إلى فاطمة «عليها السلام» نفسها أرسلت إلى أم أيمن وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها، فقالت: يا أم أيمن، إن نفسي نعيت إلي، فادعي لي علياً.

فدعته لها، فلما دخل عليها قالت له: يا ابن العم، أريد أن أوصيك بأشياء فاحفظها علي.

فقال لها: قولي ما أحببت.

قالت له: تزوج فلانة تكون مربية لولدي من بعدي مثلي، واعمل نعشاً رأيت الملائكة قد صورته لي.

فقال لها علي: أريني كيف صورته؟!

فأرته ذلك كما وصفت له، وكما أمرت به، ثم قالت: فإذا أنا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك.. أي ساعة كانت من ليل أو نهار، ولا يحضرن من أعداء الله وأعداء رسوله للصلاة علي.

قال علي «عليه السلام»: أفعل.

فلما قضت نحبها.. صلى الله عليها، وهم في ذلك في جوف الليل، أخذ

علي «عليه السلام» في جهازها من ساعته كما أوصته، فلما فرغ من جهازها، أخرج علي الجنازة، وأشعل النار في جريد النخل، ومشى مع الجنازة بالنار، حتى صلى عليها ودفنها ليلاً.

فلما أصبح أبو بكر وعمر عاودا عائدين لفاطمة، فلقيا رجلاً من قريش فقالا له: من أين أقبلت؟!

قال: عزيت علياً بفاطمة.

قالا: وقد ماتت؟!

قال: نعم، ودفنت في جوف الليل.

فجزعا جزعاً شديداً، ثم أقبلا إلى علي «عليه السلام»، فلقياه، فقالا له: والله ما تركت شيئاً من غوائلنا ومساءتنا، وما هذا إلا من شيء في صدرك علينا.. هل هذا إلا كما غسلت رسول الله «صلى الله عليه وآله» دوننا ولم تدخلنا معك؟! وكما علّمت ابنك أن يصيح بأبي بكر: أن انزل عن منبر أبي.

فقال لهما علي «عليه السلام»: أتصدقاني إن حلفت لكما؟!

قالا: نعم.

فحلف، فأدخلهما علي المسجد قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقد أوصاني وقد تقدم إلي: أنه لا يطّلع على عورته أحد إلا ابن عمه، فكنت أغسله والملائكة تقلبه، والفضل بن العباس يناولني الماء، وهو مربوط العينين بالخرقة، ولقد أردت أن أنزع القميص، فصاح بي صائح من البيت سمعت الصوت ولم أر الصورة: لا تنزع قميص رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولقد سمعت الصوت يكرره علي، فأدخلت يدي من بين القميص، فغسلته،

ثم قدم إلي الكفن فكفنته، ثم نزعت القميص بعدما كفنته.

وأما الحسن ابني، فقد تعلمان، ويعلم أهل المدينة: أنه كان يتخطى الصفوف حتى يأتي النبي «صلى الله عليه وآله» وهو ساجد، فيركب ظهره، فيقوم النبي «صلى الله عليه وآله» ويده على ظهر الحسن، والأخرى على ركبته حتى يتم الصلاة.

قالا: نعم قد علمنا ذلك.

ثم قال: تعلمان ويعلم أهل المدينة: أن الحسن كان يسعى إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ويركب على رقبته، ويدلي الحسن رجليه على صدر النبي «صلى الله عليه وآله» حتى يرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد، والنبي «صلى الله عليه وآله» يخطب ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبي «صلى الله عليه وآله» من خطبته، والحسن على رقبته.

فلما رأى الصبي على منبر أبيه غيره شقَّ عليه ذلك، والله ما أمرته بذلك، ولا فعله عن أمري.

وأما فاطمة، فهي المرأة التي استأذنت لكما عليها، فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله لقد أوصتني أن لا تحضرا جنازتها، ولا الصلاة عليها، وما كنت الذي أخالف أمرها ووصيتها إلي فيكما.

فقال عمر: دع عنك هذه الهمهمة، أنا أمضي إلى المقابر، فأنبشها حتى أصلي عليها.

فقال له علي «عليه السلام»: والله لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً، وعلمت أنك لا تصل إلى ذلك حتى يندر عنك الذي فيه عيناك، فإني كنت لا أعاملك

إلا بالسيف قبل أن تصل إلى شيء من ذلك.

فوقع بين علي «عليه السلام» وعمر كلام حتى تلاحيا [واستبسلا] واستبسل، واجتمع المهاجرون والأنصار، فقالوا: والله ما نرضى بهذا أن يقال في ابن عم رسول الله، وأخيه، ووصيه..

وكادت أن تقع فتنة، فتفرقا.

ونقول:

لنا مع الروايتين المتقدمتين وقفات بيانية عديدة هي التالية:

إيضاحات:

الصعداء: تنفس ممدود.

الصقيع: ما يسقط من السماء بالليل شبيه بالثلج.. ويكون ذلك بسبب شدة البرد.

جافاه: أبعده قليلاً.

الهمهمة: تنويم المرأة الطفل بصوتها.

ندر: سقط وشذ.

لاحاه: نازعه.

استبسل: صاول في الحرب، ووطن نفسه على الموت، وطرح نفسه في الحرب، وهو يريد أن يقتل لا محالة.

القطيفة: دثار مخمل. والمخمل: نسيج له وبر.

صدقت، وصدقت: أي أنك يا علي صدقت، فإن ذلك باطل. وأيضاً

صَدَقَتْ فاطمة «عليها السلام» فيما نقلته عن ذلك الشقي.

إنه لعجب لحينه: أي أننا حتى هذه اللحظة نرى أمراً عجيباً، لأننا لم نعرف سبب دعوة النبي «صلى الله عليه وآله» لنا في جوف الليل.

قضى نحبه: مات. والنحب: الموت، والأجل.

الغوائل: الدواهي، والشرور. وهو جمع غائلة.

الخلخال: سوار من فضة يلبس في الرجل.

حصل هذا في الجمعة الأولى:

ظاهر الرواية الأولى: أن هذا التحدي لأبي بكر قد حصل في أول جمعة بعد يوم وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، واغتصاب الخلافة من علي «عليه السلام»، وضرب زوجته وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها، وإشعال النار في باب بيتها بهدف إحراقه.

فقد جاء في النص الأول المروي عن الإمام الكاظم «عليه السلام» ما يلي: أنه لما استخلف أبو بكر صعد المنبر في يوم الجمعة، وقد تهيأ الحسن والحسين «عليهما السلام» للجمعة، فسبق الحسين فانتهى إلى أبي بكر، وهو على المنبر فقال له: انزل عن منبر أبي الخ..

ورواية الصدوق المتقدمة تؤيد: أن يكون الذي واجه أبا بكر هو الإمام الحسن «عليه السلام»، مع ملاحظة أن أكثر المصادر باستثناء كتاب الجعفريات تؤكد ذلك، مما يعني: أن التصحيف في رواية الجعفريات هو المسؤول عن هذا التغيير..

كما أن رواية الصدوق قد عللت هذه المبادرة من الإمام الحسن بالقول: «فلما رأى الصبي على منبر أبيه غيره شق عليه ذلك».

مع العلم: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يسكن في داخل المسجد، وليس للبيت باب إلا من داخل المسجد، فالمتوقع أن يرى الحسن «عليه السلام» أبا بكر على منبر أبيه في الجمعة الأولى، إذ لا سبب وجيهاً للتأخير، كما أن مهاجمة بيت الزهراء قبل ثلاثة أيام من يوم الجمعة تزيد من اهتمام ساكني ذلك البيت بما يجري حوله، ورصد ما يجري في المسجد باهتمام.

التهيؤ للجمعة:

وصرحت رواية الجعفريات: بأن الحسن والحسين كانا يتهيآن للجمعة.. فهل كانا يتهيآن لصلاة الجمعة خلف أبي بكر، بعد كل ما جرى عليهم حين توفي جدهما؟!

وهل يمكن تأييد هذا الاحتمال بقول تلك الرواية: إن علياً دخل إلى المسجد في تلك الحال، فوجد أبا بكر يبكي؟! فإن تلك اللحظة هي لحظة خطبة الجمعة ـ كما هو المفروض ـ فهل جاء «عليه السلام» هو الآخر، ليشارك في صلاة الجمعة خلف أبي بكر؟!

ونجيب:

أولاً: بأن التهيؤ للجمعة لا يعني الائتمام بأبي بكر، بل إن كل مؤمن يتهيأ للصلاة بإسباغ وضوئه، وتهيئة موضع صلاته، والتطيب، وغير ذلك. حتى لو كان يريد أن يصلي فرادى، أو أن يأتم بأبيه، أو أخيه.

ثانياً: لعل علياً «عليه السلام» دخل إلى المسجد، لأنه سمع شيئاً مما يجري

فيه، أو دخله ليصل منه إلى بيته، أو ليخرج منه إلى السوق، لأن باب بيته يفتح إلى داخل المسجد.

بل قد نرجح: أنه «عليه السلام» خرج ليذهب مع ولديه، وربما مع غيرهما أيضاً إلى مكان آخر ليصليا الجمعة هناك، لأنه لا يريد أن يثير بوجوده حساسية لدى الآخرين..

بل قد يكون دخوله للمسجد ليصلي فيه بين الناس، ولو من دون نية الائتمام، حتى لو طبق حركاته الظاهرية على صلاة غيره..

إقرار أبي بكر لا يحتمل الانكار:

١ ـ وقد صرحت الرواية: بأن أبا بكر قد اعترف وشهد بصدق الإمام الحسن «عليه السلام» فيما قال.. وهذا يؤكد صحة هذا القول..

ثم أكد ذلك بقوله: «إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي». فقد جاء بـ «إنَّ» المشددة التي هي بمثابة تأكيدين، ثم أكد كلامه باللام، ثم بالجملة الاسمية، ثم بنفي كونه منبر أبي أبي بكر.

فاجتمعت بذلك ست تأكيدات.

يضاف إليها: أن هذا الكلام قرره في البداية معصوم شهد الله تعالى له بالطهارة والصدق.

٢ ـ إن هذا الإقرار من أبي بكر لا سبيل إلى إنكاره.. لأنه حصل في صلاة الجمعة.. وفي مركز القرار، وموضع النشاط والحركة، وهو مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهو إقرار من صاحب العلاقة نفسه.

وهو إقرار من المالك لأزِمَّة الأمور، والذي وضع نفسه على رأس الهرم في جولة مفعمة بالقسوة والعنف.

وقد جاء الإقرار في أول صلاة جمعة تحصل بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث تتضاعف الرغبة في حضور تلك الصلاة، ليرى الناس كيف يدير المتغلبون الجدد أمور الأمة، وهم على ما هم عليه من قصور المعرفة، ومحدودية العلم، ومن جرأة غير مبررة على أقدس الناس، وعلى مخالفة الآيات والكلمات الصريحة للنبي، وعلى نكث بيعتهم التي أعطوها لعلي يوم الغدير تحت سمع رسول الله وبصره، وبتدبير منه..

كما أنها أول صلاة جمعة بعد ضربهم بنت نبيهم، واسقاط جنينها، وكسر جنبها، وإحراق بابها..

٣ ـ يلاحظ: أن عبارة الجعفريات قالت: إن الإمام الحسن قال لأبي بكر: «هذا منبر أبي، لا منبر أبيك»..

ولعل هذه العبارة أنسب من العبارة الأخرى التي تقول: إنه قال له: انزل عن منبر أبي.. فإنه لو قال له: انزل الخ.. لادَّعى المغرضون: أنه «عليه السلام» كان مدفوعاً إلى هذا التصرف من أبيه، الذي كان يود أن يكون هو الذي يخطب الناس على ذلك المنبر..

على أنه لو أمره بالنزول عنه، فإنه لن يطيعه، بعد أن ارتكب من أجل الوصول إليه أموراً عظيمة، أظهرت ما انطوت عليه النفوس من أضغان وأحقاد، وما كان يجيش في صدورهم من أطماع أضرت بسمعتهم.

وقد كان المطلوب: أن لا تصل الأمور إلى حدِّ التشنج والتحدي، بل يراد

الحصول على إقرار هادئ من أبي بكر بما أقرَّ به، لا يمكن الحصول عليه في أجواء الصخب والغضب، ليكون هذا الإقرار حجة على المكابرين، وليراجع الناس حساباتهم، ومواقفهم، ويحتكموا إلى وجدانهم..

وهذا ما حصل بالفعل، فإن أبا بكر قد بوغت بكلام الإمام، ولم يكن قد أعدّ له جواباً.. فأرغمه ذلك على الإقرار، ثم البكاء..

وبذلك يكون قد عالج الموقف بهذه الطريقة.. أي بأن يغلِّف جوابه بما يصرف الأذهان باتجاه آخر، فقد قال كلمته، ثم أتبعها بالبكاء ليظن بعض الناس: أن رقته البالغة، وعطفه على الإمام الحسن، وتذكره لمصابهم برسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي دعاه إلى التعامل بهذه الرقة، والوجد والحنان.. وكأنه كان يحسب أن الناس قد نسوا ما حصل لفاطمة «عليها السلام» قبل ثلاثة أيام، من ضرب، وإسقاط جنين، وغير ذلك..

ولعل من أهداف أبي بكر من إظهار هذه الرقة، ثم البكاء هو تبريد الأجواء، وامتصاص نقمة الناس عليه، وعلى كل من شارك في الهجوم على بيت الزهراء، وإحراقه، وضربها، وإسقاط جنينها.

كما أنه ربما كان يخشى أن يكون وراء هذا التصرف من الإمام الحسن «عليه السلام» تدبير خطير، يراد إيجاد مبرر للشروع فيه..

إنّا لم نأمره:

وقد ذكرت الروايات: أن علياً «عليه السلام» بادر إلى القول: «إنَّا لم نأمره» وهذه الكلمة تشير إلى أمور منها:

١ ـ أنه «عليه السلام» لم يوجه إلى ولده أية كلمة لوم، أو تأنيب.

٢ ـ أنه لم يشر إلى أنه أخطأ في تصرفه، أو تسرع، أو أن سن الطفولة هيمن عليه، أو ما إلى ذلك.

٣ ـ بل وجدناه في رواية الصدوق المطولة المتقدمة يعذره فيما فعل، بنحو يثبت صوابية وصحة ما أقدم عليه، وإدانة لمن استولى على ما ليس له، حيث قال: «فلما رأى الصبي على منبر أبيه غيره شق عليه ذلك».

٤ ـ إن الحسنين «عليهما السلام» كانا بفضل من الله وكرمه، يعرفان أهداف ما أقدم عليه أولئك الناس، ويدركان ما سيتركه ذلك من سلبيات، وعواقب على الدين والأمة..

ويدركان أن كل ما يسهم في إبطال تلك الآثار، وإفشال تلك الخطة، وحفظ الدين، وإحياء أمر أهل البيت «عليهم السلام» في وجدان الأمة، فتجب المبادرة إليه، ولكن مع مراعاة حساسية الوضع، وإبعاد الأمور عن أجواء التشنج، والإنفعال، وإثارة العصبيات، فإن ذلك ليس من مصلحة الإسلام ولا المسلمين.

٥ ـ يلاحظ: أن غاية ما فعله علي «عليه السلام» هو أنه نفى عن نفسه أنه أمر ابنه بفعل ذلك، ولكنه لم ينف عن نفسه رضاه به.

إيضاحات أخرى في رواية الصدوق:

وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض ما ذكرته رواية الشيخ الصدوق «رحمه الله» في علل الشرايع، وقد بقيت فيها أمور كثيرة أخرى لو أردنا الخوض فيها كما تستحق لطال بنا المقام.. ولذا لا محيص عن الإكتفاء ببعض ذلك، مع توخي الإختصار قدر الإمكان، فنقول:

خطبة بنت أبي جهل:

ظهر من الرواية: أن الفرية على علي «عليه السلام»: بأنه خطب بنت أبي جهل، التي قصد بها إيذاء فاطمة، والإيقاع بينها وبين علي «عليه السلام» انتهت بفضيحة المفترين، ومهدت السبيل لوضع ضابطة تكشف المحق من المبطل في المستقبل.

وهذه الضابطة هي التي ارتكزت إليها السيدة الزهراء لاثبات مظلوميتها، حيث قالت لعمر وأبي بكر حين مرضت مرض موتها وجاءا لاسترضائها بزعمهما: أنشدكما بالله، أتذكران أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر علي؟!

فقالا: اللهم نعم.

فقالت: أنشدكما بالله، هل سمعتما النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي، فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟!

قالا: اللهم نعم.

فقالت: الحمد لله.

ثم قالت: اللهم إني أشهدك، فاشهدوا يا من حضرني: أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلمكما الخ..

وقد ذكرنا هذا النص بطوله: لكي نوضح دلالته على ما يلي:

١ ـ إن حديث بنت أبي جهل قد مهد لهذا الموقف الواضح والصريح

من الزهراء «عليها السلام» تجاه من ماتت وهي واجدة عليهم.

٢ ـ إن ما ذكر في الرواية من أنه قد دخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها، ربما يصح تفسيره بأنه كان تدبيراً وتصرفاً إلهياً يهدف إلى تحريكها للذهاب إلى بيت أبيها «صلى الله عليه وآله»، ليرى ما هي فيه من الحزن والغم. ليجد الذريعة لإحضار المعنيين بهذا الأمر لاسماعهم هذا القرار الإلهي، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

أو أنه كان عليها أن تتعامل مع الناس وفي مختلف الشؤون بحسب ما تقتضيه ظواهر الأحوال، وكما يتصرف الأنبياء والأئمة في ذلك، فإنهم لا يتعاملون بعلم الشاهدية، أو بعلم الغيب في أمورهم الشخصية، إلا فيما فيه خدمة الدين والإسلام، ويكون من شؤون مقام النبوة والإمامة..

نقول هذا، وذاك لأن الإمام الصادق «عليه السلام» أشار بقوله: «وجعل للمحتسبة منهن من الأجر ما جعل للمرابط في سبيل الله».

ولأننا نعلم بمقتضى الآيات، والبيانات النبوية: أنها «عليها السلام» لا يمكن إلا أن تكون صابرة محتسبة، ولا يمكن أن تفرط بهذا الثواب العظيم من رب كريم.

٣ ـ ذكرت الرواية: أنها «عليها السلام» ذهبت إلى بيت أبيها، بعد أن صبرت الليل، وليس فيها: أنها شكت أمرها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وليس في الرواية أن النبي «صلى الله عليه وآله» سألها عن سبب حزنها وغمها.

بل إنه «صلى الله عليه وآله» حين سأل علياً عن أمر فاطمة لم يتهمه بشيء

محدد، بل ذكر عبارة مبهمة تقول: «فما دعاك إلى ما صنعت».

ويدل على ذلك: أن أبا بكر وعمر بعد كل هذا قد بقيا حائرين في سبب دعوتهما للحضور، حتى قال أحدهما للآخر: إنه لعجب لحينه!! ما دعاه إلى ما دعانا هذه الساعة.

٤ ـ إن إحضار أبي بكر وعمر، وطلحة في جوف الليل.. أمر مثير للإستغراب، ويثير الإهتمام، وأي حدث يترتب على هذا الإحضار، وكل كلمة تسمع ستبقى محفورة في الذاكرة إلى ما شاء الله.

٥ ـ وقد صدَّق النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» في أن شيئاً مما بلغها لم يكن، وصدق فاطمة «عليها السلام» في نقلها عن ذلك الشقي الشانئ ما يريد أن يكون مصدر أذى وفتنة.

٦ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين وجد علياً «عليه السلام» نائماً وضع رجله على رجل علي فغمزه، وقال: قم يا أبا تراب وكان «صلى الله عليه وآله» يحمل الحسن، فكان إيقاظه بهذه الطريقة هو الأيسر عليه، وليس في وضع رجله على رِجل علي أي غضاضة أو استهانة.. ولاسيما إذا كان ذلك بين أقرب الناس إلى بعضهم البعض.. وإنما وضعت الرِجل على الرِجل لا على عضوٍ أشرف منها

٧ ـ وللمرء أن يحتمل أن يكون طلحة هو الذي أخبر فاطمة «عليها السلام» بتلك الفرية، وأما أبو بكر وعمر، فلعله بلغهما طرف من هذا الأمر، أو أنهما تعاملا معه بما أوجب إحضارهما.. فأراد النبي أن يزيل التهمة بهذه الطريقة، وأن تكون هي المناسبة لتأسيس قاعدة حول من يؤذي فاطمة في

الحياة وبعد الممات.. فلما مات «صلى الله عليه وآله»، وجرى عليها ما جرى، من ضرب، وإسقاط جنين، وكسر ضلع، وإضرام نار على بابها لأجل إحراقها ومن كان معها، ظهر لها وجه الحكمة فيما جرى.

٨ ـ إن عمر يصرح: بأن محاولات الشيخين للدخول على فاطمة قد تكررت مراراً، ولكنها لم تأذن لهما..

٩ ـ يلاحظ: أن عمر يقول لعلي «عليه السلام»: «ندخل عليها فنتراضى» وكأنه يريد أن يوحي: أنه هو أيضاً غضبان من فاطمة «عليها السلام»، وأن مجيئه إليها إحسان وتواضع منه، بهدف تصفية القلوب..

بل قد يريدان بهذه المبادرة: أن يوهما الآخرين بأنهما ربما كانا مظلومين من قِبَلِهَا، وأنهما يتنازلان، ويثبتان بذلك حسن خلقهما، وتقواهما، وتسامحهما معها.

غير أن نصاً آخر قال: «يتراضاها»، وهو يدل على أن رضاها يحتاج إلى بذل، ولا يرد على هذا التعبير ما ذكرناه آنفاً.

١٠ ـ وحين دخل الرجلان على فاطمة سلما، فلم ترد عليهما بل حولت وجهها عنهما، مع أن رد السلام واجب إذا كان من ألقاه مسلماً.. فلماذا فعلت الزهراء المطهرة المعصومة ذلك، وما الذي منعها من رد السلام؟!

١١ ـ يلاحظ: أنها «عليها السلام» استدرجتهما لإعطاء وعد بأن يصدقاها القول فيما تسألهما عنه، فوعداها بذلك.

ولكنها لم تتعهد لهما بالرضا عنهما إن صدقاها، بل قالت: «فإن صدقاني رأيت رأيي».

ثم سألتهما عما جرى في تلك الليلة، حين دعاهما النبي «صلى الله عليه

وآله» في قصة بنت أبي جهل، حيث قال النبي «صلى الله عليه وآله»: فاطمة بضعة مني، وأنا منها، من آذاها فقد آذاني الخ..

١٢ ـ إن كلمات عمر لأبي بكر حول المرأة بعد رفض فاطمة «عليها السلام» الرضا عنهما قد أظهرت مدى احتقاره للمرأة، ولو كانت سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، وكانت ممن يرضى الله ورسوله لرضاها، ويغضب لغضبها.

١٣ ـ إن إشعال النار في جريد النخل قد حصل حين أراد علي دفن فاطمة «عليها السلام».. فلعل جثمانها كان في مكان قريب جداً من موضع الدفن، في الروضة في المسجد مثلاً، وقد مشى علي خلف جنازتها تلك الخطوات اليسيرة، ومعهم نار مشتعلة في جريد النخل، وكان المسجد آنئذ خالياً من الناس..

وقد جعل الإمام الصادق «عليه السلام» من هذا الأمر مناسبة للتذكير بما جرى عليها، ولتعريف السائل بجواب مسألته.

وبقية الرواية لا تحتاج إلى بيان..

السلمي يدّعي ما لا يصح:

روى الطحاوي عن حفص بن سليمان، عن عاصم (ابن أبي النجود)، قال: قال أبو عبد الرحمان (السلمي): قرأت على علي، فأكثرت، وأمسكت عليه، وكثرت.. وأقرأت الحسن والحسين حتى ختما القرآن[١].

---

(١) راجع: مشكل الآثار ج١ ص١١٤.

ونقول:

إن هذا الحديث غير صحيح لأسباب عديدة:

أولاً: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» من أهل البيت، وهم مطهرون بنص القرآن عن كل رجس ونقص، ومنه الجهل، فكيف إذا كان جهلاً بالقرآن، حتى احتاجا إلى رجل من سائر الناس ليعلمهما إياه؟!

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للناس عن أهل البيت: «لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم»(١).

---

(١) روضة المتقين ج١١ ص٢٥٠ وج١٣ ص١١٠ وملاذ الأخيار ج٨ ص٤٧٣ والصواعق المحرقة ص١٢٦ وبصائر الدرجات ص٦٩ و ٧٠ و ٧٢ والإمامة والتبصرة ص٤٤ والكافي ج١ ص٢٠٩ و ٢٩٤ والأمالي للصدوق ص٦١٦ وعيون أخبار الرضا ج١ ص١٨٢ و ٢٠٨ وكمال الدين ص٦٦٢ وتحف العقول ص٤٢٦ وكفاية الأثر ص٥٦ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص١٨٩ و (الإسلامية) ج١٨ ص١٣٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص١٤٣ و ٣٣٦ و ٣٤٠ وكتاب سليم بن قيس ص١٧٨ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٤١٥ والغيبة للنعماني ص٥٢ والمسترشد ص٤٠١ و ٤٦٧ والإرشاد ج١ ص١٨٠ والاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢١٩ و ٢٢١ وج٢ ص٢٢٤ وبحار الأنوار ج١١ ص٨٤ وج٢٢ ص٤٦٥ وج٢٣ ص١٣٠ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٥٣ وج٢٥ ص٢٢١ وج٣٠ ص٦٥ وج٣١ ص٤١٧ و ٤٢٢ وج٣٥ ص٢١١ وج٣٦ ص٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣٨ وج٤٩ ص١٨٠ ومرآة العقول ج٢ ص٤٢٤ وج٣ ص٢٧٩ والمعجم الكبير ج٥ ص١٦٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص١٨٨ وتفسير العياشي ج١ ص٢٥٠ وتفسير القمي ج١ ص٤ والبرهان (تفسير) ج١ ص٢١ و ٧٤ وج٢ ص١٠٦ و ١١١

ثالثاً: إذا كان الحسنان يحتاجان إلى معلم قرآن، فكيف جعل الله ورسوله لهما مقام الإمامة في ذلك الوقت المبكر. أي في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»؟! فإن التلميذ لا يكون أولى بالإمامة من أستاذه.

رابعاً: إن أبا عبد الرحمان السلمي لم يكن صحابياً، بل هو إنما روى عن علي وابن مسعود، واختلفوا في روايته عن عثمان[1]، فلماذا تأخر الحسنان هذه السنوات الكثيرة في قراءة القرآن حتى جاء أبو عبد الرحمان السلمي، وتعلم من أبيهما قراءة القرآن، ثم علَّمهما نفس ما تعلمه من أبيهما؟!

خامساً: إن ابن عباس قد ختم القرآن كله في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو إنما ولد سنة الهجرة، أو قبلها بثلاث سنين، فهل كان ابن عباس أفهم، وأحسن تلقياً منهما «عليهما السلام»؟!

سادساً: إن أبا عبد الرحمان السلمي كان مبغضاً لعلي «عليه السلام»، فعن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء، قال: قال رجل لأبي عبد الرحمان: أنشدك الله متى أبغضت علياً «عليه السلام»؟! أليس حين قسم قسماً بالكوفة، فلم يعطك ولا أهل بيتك؟!

قال: أما إذا نشدتني الله، فنعم[2].

وج٣ ص٢٢٧ وج٤ ص٤٤٥ و ٥٤٩ وج٥ ص٣٠١ وإرشاد القلوب ج٢ ص٣٠٦ وينابيع المودة ج١ ص٧٤ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢١ و ١٣٣ وج٢ ص٤٣٨ وج٣ ص٣٩٩.

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص١٧٢.

(٢) راجع: الغارات ج٢ ص٥٦٧ وذيول الطبري ص٦٦٣ والمنتخب من ذيل المذيل

مع أن بغضه لعلي لا مبرر له، لأن سببه تعامل علي بالعدل والإنصاف معه، فلم يخن المسلمين في أموالهم، ولم يعطه أموالهم من غير استحقاق منه.

فما معنى: أن يجعل الله لمبغض علي «عليه السلام» شرف تعليم خير الخلق بعده، وقد وصف النبي مبغضه «عليه السلام» بالمنافق، فكيف يجعل للمنافق يداً على المطهرين المعصومين؟! وقد روي عنهم «عليهم السلام» قولهم: «من تعلمت منه حرفاً، صرت له عبداً»[1].

سابعاً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أقرأ علياً القرآن، فلماذا لم يقرئ الحسنين «عليهما السلام» معه؟!

ولماذا لم تقرئهما أمهما، أو أبوهما علي «عليهم السلام»؟!

ثامناً: لماذا يقرئ علي القرآن رجلاً من سائر الناس، ونسي أن يضم ولديه إلى ذلك الرجل؟! أو لماذا لم يقرئهما على حدة قبله، أو بعده؟!

تاسعاً: لماذا لم يكن نفس أبي عبد الرحمان قد قرأ على الحسنين «عليهما السلام»؟!

وفي بعض المصادر: أن السلمي هذا قد علم ولداً للحسين «عليه السلام» سورة الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار، وألف حلة، وحشا فاه

من تاريخ الصحابة والتابعين للطبري (ط مؤسسة الأعلمي) ص١٤٧ وبهج الصباغة ج١٢ ص١٩٧ وراجع: بحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٠.

(١) غوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ وبحار الأنوار ج٧٤ ص١٦٥ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٤٠٤ وج٧ ص٣٦٠ والعلم والحكمة في الكتاب والسنة ص٤٢٠.

دراً[١].

عاشراً: أليس الحسنان من أهل البيت الذين زقوا العلم زقاً، كما أظهرته الأحداث الكثيرة في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبعده؟! مع أنهما «عليهما السلام» قد كانا صغيرين، وكانا أعلم من جميع البشر ما عدا النبي وعلي «عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والسلام».

ومن شواهد ذلك ما يلي:

سل أي الغلامين شئت:

ما رواه القاضي النعمان، بإسناده عن الإمام الصادق «عليه السلام»، ورواه جماعة عن غيره:

أن أعرابياً سأل أبا بكر، فقال: إني أصبت بيض نعام، فشويته، وأكلته وأنا مُحرم، فما يجب عليّ؟!

فقال له: يا أعرابي، أشكلت عليّ في قضيتك. فَدَلَّهُ على عمر، ودلَّه عمر على عبد الرحمن بن عوف. فلما عَجَزُوا قالوا: عليك بالأصلع.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: سل أي الغلامين شئت. (وأشار إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»).

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٢ وخاتمة المستدرك ج٩ ص٢٦٨ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٢٤٧ وج١٣ ص١١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٠ و ١٩١ والعوالم، الإمام الحسين ص٦٤ ولواعج الأشجان ص١٥ و ١٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٥ وج٤ ص٥١٣ وج٧ ص٣٥٩ والبرهان (تفسير) ج١ ص١٠٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٩.

فقال الحسن «عليه السلام»: يا أعرابي، ألك إبل؟!

قال: نعم.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن من النوق السلوب. ومنها ما يزلق(١).

فقال: إن يكن من النوق السلوب وما يزلق، فإن من البيض ما يمرق(٢).

قال: فسمع صوت: أيها الناس، إن الذي فهَّم هذا الغلام هو الذي فهَّمها سليمان بن داود(٣).

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى الأمور التالية:

١ ـ إن عجز أركان حزب السلطة عن جواب مسألة الأعرابي، قد اضطرهم

---

(١) السلوب: التي مات ولدها، أو القته لغير تمام، وأزلقت الفرس: أي ألقت ولدها قبل تمامه.

(٢) مرقت البيضة: فسدت.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٧٦ و ١٧٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٥٤ و ٣٥٥ عنه، وعن شرح الأخبار، وحياة الحسن «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٨٦ و ٨٧.

وقد ذكر القضية لكن بدون إحالة السؤال على الإمام الحسن «عليه السلام» كل من: ذخائر العقبى ص٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٢٠٧ وفرائد السمطين ج١ ص٣٤٢ و ٣٤٣ والغدير ج٦ ص٤٣ عن بعض من تقدم، وعن كفاية الشنقيطي ص٥٧ والرياض النضرة ج٢ ص٥٠ و ١٩٤ وفي هامش ترجمة أمير المؤمنين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي)، وتاريخ دمشق ج٤٩ ص٨٣ أو ٤٩٨ ترجمة محمد بن الزبير.

إلى إحالة ذلك الأعرابي إلى علي «عليه السلام» مع إسباغهم عليه «صلوات الله عليه» لقباً يجعل السامع يحسب أنه ليس من النبلاء الأجلاء، بل هو إنسان عادي، تقتحمه العيون، ويتندر به الناس، حيث لم يذكروا اسمه للأعرابي، بل ذكروه بوصف لا يخاطب به الرؤساء والعلماء، حيث قالوا له: «عليك بالأصلع».

لأنهم يعرفون: أن الأعرابي لا يعرف علياً، لا بشخصه، ولا بمقامه، ولا يعرف شيئاً عن فضائله، وعلمه وجهاده، وغير ذلك.. ولعلهم كانوا مصيبين في ظنهم هذا. وهذا ـ إن صح ـ فإنه يدفع الأعرابي إلى احتمال أن تكون إحالتهم هذه قد جاءت على سبيل التلاعب به.. وهذا يجعله لا يتوقع أن يسمع جواباً كافياً وشافياً منه.

٢ ـ قد يشهد لذلك: أن الرواية لم تذكر: أن الأعرابي قد طرح سؤاله على علي «عليه السلام»، إن فرض أن علياً «عليه السلام» هو الذي بادره بالكلام قائلاً: «سل أي الغلامين شئت. (وأشار إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»)»، إلا إذا كان الراوي قد حذف توجيه الأعرابي السؤال إليه، وحذف توجيه الراوي سؤاله إلى الإمام الحسن «عليه السلام».

٣ ـ ولنا أن نتوقع كم كانت دهشة ذلك الأعرابي عظيمة، حين بادره أحد الغلامين وهو الإمام الحسن «عليه السلام» بالجواب، حيث يفترض أن يكون عمره «عليه السلام» ما بين سبع إلى عشر سنوات، وعمر أخيه ما بين ست وتسع سنوات، وكان جوابه من دون تلكؤ، أو إمهال، أو تردد.

ولعله لو صبر إلى أن يوجه الأعرابي الكلام إليه، لكان الأعرابي قد تردد في توجيه السؤال إليه وإلى أخيه «عليهما السلام»، لظنه أنهم يهزأون ويتلاعبون

به، الواحد بعد الآخر.

٤ ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يذكر للأعرابي اسم الغلامين، ولا عرَّفه بنفسه، ولا باسمه «عليه السلام»، ولا ذكره أحد من الذين أحالوا الأعرابي عليه.

٥ ـ إن سكوت الإمام الحسين «عليه السلام» هنا كان هو المتوقع منه تأدباً مع أخيه الأكبر، وقد روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» قوله: «ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له، ولا تكلم محمد ابن الحنفية بين يدي الحسين «عليه السلام» إعظاماً له»(١).

وتكفي الحسين شهادة أبيه الضمنية له بمعرفته بجواب المسألة التي عجز عنها كبار القوم، فإن إرجاع الأعرابي إلى أي الغلامين يدل على يقينه «عليه السلام» بأن لدى أحدهما من العلم نفس ما لدى الآخر.

٦ ـ وقد يتخيل بعض الناس: أن جواب الإمام الحسن «عليه السلام» قد أصاب على سبيل الصدفة، وإنما قال الإمام الحسن ما قاله، لأنه جرى على لسانه، وخطر على باله، فتفوه به.

فبادر «عليه السلام» إلى الدخول في التفاصيل، والدقائق والخفايا لكشف معمياتها، وتبديد بعض الأوهام التي قد تراود بعض الأذهان. لكي تظهر المسوغات لإطلاق الحكم على هذا النحو.

فأجابه الإمام الحسن «عليه السلام» بما قطع الشك باليقين: أنه لا يلقي

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٩ والعوالم ج١٦ ص١٠٠.

الكلام على عواهنه، بل اعتماداً على مستندات وركائز قوية وحاسمة، وأنه يثبت صوابية الحكم الذي أصدره بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

٧ ـ وقد أكد هذه الصوابية الصوت الذي سمعوه ممن لم يروا شخصه، الذي دلهم على أن ثمة رعاية إلهية ومدداً وتعليماً ربانياً، وعلماً من ذي علم لمن هم بعمر الأطفال، مع حرمان مناوئيهم من شيوخ قومهم، والطامحين والطامعين بما ليس لهم من أدنى درجات هذه الرعاية، والعطايا الإلهية.

أذان بلال بطلب الحسنين عليهما السلام:

١ ـ إن بلالاً بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» والبيعة لأبي بكر، امتنع من الأذان، وقال: لا أؤذن لأحد بعد النبي «صلى الله عليه وآله».

ولكن الزهراء طلبت منه مرة أن يؤذن لها، فأجاب، وشرع في الأذان، لكنه لم يتمه خوفاً على حياتها، لما أصابها «عليها السلام» آنئذٍ، فقطع الأذان[1].

٢ ـ ولأنه أبى البيعة لأبي بكر، فإن عمر أخذ بتلابيبه وهدده، ثم قال له: لا أبا لك، لا تقمْ معنا.

فارتحل إلى الشام، وأقام بها[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٩٨ و ٢٨٣ والوافي ج٧ ص٥٧١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٥٧ والدرجات الرفيعة ص٣٦٥ والعوالم ج٦ ص٢٣٤ وبيت الأحزان ص١٦٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص١٥٣ عن كتاب أهل البيت لأبي علم (ط السعادة بمصر) ص ١٦٦.

(٢) خاتمة المستدرك ج٣ ص٢٨٩ والعقد النضيد ص١٤٩ وتعليقة البهبهاني (مطبوع مع منهج المقال) ص٧٢ و (ط أخرى) ص١٠٠ وقاموس الرجال ج٢ ص٣٩٩

٣ ـ ثم قدم إلى المدينة لزيارة قبر الرسول «صلى الله عليه وآله» لرؤيا رآها.

وفيما هو يناجيه، وإذا بالحسن والحسين قد أقبلا لزيارة جدهما وأمهما، فلما رآهما تجددت أحزانه، وأقبل إليهما يضمهما إلى صدره، ويقول: كأني بكما رسول الله.

والتفتا إليه، وقالا: إذا رأيناك ذكرنا صوتك، وأنت تؤذن لرسول الله، ونشتهي أن نسمعه الآن بعد غيابك الطويل.

وانطلق بلال من ساعته إلى سطح المسجد، تلبية لرغبة السبطين، فأجهش بالبكاء، وانطلق صوته من ناحية المسجد إلى كل بيت في المدينة: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فهز المشاعر، وارتجت المدينة من أصوات الباكين.

ومضى الذهبي يقول: فلما قال بلال: أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهن، وظن الناس أنَّ رسول الله قد بعث من قبره.

وما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بعد رسول الله من ذلك اليوم(١).

عنه، وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٥٧.

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج٢ ص٢٥٩ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٧ ص١٣٧ وسيرة الأئمة الاثني عشر للسيد هاشم معروف الحسني ج١ ص٥٣١ و ٥٣٢ وإعانة الطالبين ج١ ص٢٦٧ وتهذيب الكمال ج٤ ص٢٨٩ وراجع: أُسد الغابة ج١ ص٢٠٨ و (ط أخرى) ج١ ص٢٤٤ وقاموس الرجال ج٢ ص٢٣٩ وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ج٢ ص١١٨ وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ص٣٣٨ ودفع الشبه عن الرسول للحصني الدمشقي ص١٨٣ وسبل

ونقول: لاحظ ما يلي:

الإحتجاج بالإمتناع والمقاطعة:

١ ـ رأينا: أن بلالاً امتنع من الأذان في مسجد المدينة، لأنه رأى أن أذانه يؤذن بالرضا بالتعايش مع السلطة المغتصبة، ويطمئن الناس إليها.. ويسهل انسجامهم معها، وهو بمثابة تخلٍ عن حق أهل البيت، وتأييد لما ارتكبوه في حقهم.. وقد يحسب بعض الناس: أن الأمر لا يعدو كونه سحابة صيف انحسرت، وعادت الأمور إلى مجاريها، وكأن شيئاً لم يكن.

فأراد أن يسجل موقفاً إحتجاجياً تجاه المعتدين، والغاصبين بطريقة الإمتناع عن الأذان، وقال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ ويدل على أن هذا الإمتناع كان احتجاجياً: أنه لم يؤذن في المدينة بعد موت النبي «صلى الله عليه وآله» سوى مرتين:

إحداهما: حين طلبت الزهراء «عليها السلام» ذلك في حياتها.

والأخرى: حين طلب منه الحسنان «عليهما السلام» ذلك بعد وفاتها.. فقد بادر إلى إجابة طلبها، وطلبهما «عليهم السلام» من دون تردد أو تعلل، ولم تحتج الزهراء، ولا ابناها إلى تكرار الطلب، فضلاً عن أن يحتاجوا إلى الإصرار والإلحاح.

٣ ـ ويؤكد ذلك ويزيل كل شبهة وريب فيه: أن النص المتقدم برقم [٢] ذكر: أن عمر أخذ بتلابيب بلال وهدده، ثم قال له: «لا أبا لك، لا تقم معنا».

الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٥٩ ومنهج الرشاد للشيخ جعفر كاشف الغطاء ص٥٧٥.

فارتحل إلى الشام، وأقام بها..

وبذلك يكون بلال قد دفع الثمن غالياً على موقفه هذا، ونحن نعلم: أن هذا الذي جرى على بلال كان ظلماً آخر ارتكبوه في حق هذا الرجل الشهم، والمخلص، لأن من المعلوم: أن الأذان ليس من الأمور التي يلزم بها أحد من الناس، بل هو عمل عبادي اختياري، يطلب به الثواب من الله تعالى، فما معنى الإكراه عليه، ثم العقوبة القاسية بنفي هذا الرجل عن بلده إلى بلاد بعيدة ليس له فيها أهل ولا أصحاب، ولا شيء يعتاش به؟!

الأذان الثاني بعد استشهاد الزهراء عليها السلام:

وقد صرحت الرواية الأخيرة المتقدمة: بأن لقاء بلال بالحسنين «عليهما السلام» كان عند قبر الرسول «صلى الله عليه وآله» فقد كان بلال عند القبر يناجيه «إذ أقبلا لزيارة جدهما وأمهما..».

فهذه العبارة تدل على أمور، هي:

١ ـ أن موضع سكنى الحسن والحسين «عليهما السلام» كان في بيت آخر غير البيت الذي يفتح بابه إلى المسجد، وقد دفن فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد جاءا إليه في هذه الساعة للزيارة، لا لأنه بيت السكنى.

٢ ـ صرحت الرواية: بأن الحسنين جاءا لزيارة جدهما وأمهما، فدل ذلك على أن أمهما «عليهما السلام» كانت قد ماتت..

٣ ـ وأن هذا التعبير قد يدل على أن قبر الزهراء كان قريباً من قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا يحتاج إلى قصد مستقل، لعدم وجود مسافة معتد بها.

٤ ـ يلاحظ: أن الرواية قد حصرت زيارة النبي والزهراء بالحسنين «عليهما

السلام».. وأما بلال، فقد ذكرت: أنه كان يزور النبي «صلى الله عليه وآله» ويناجيه، ولم تشر إلى أنه بصدد زيارة غيره.

ولعل سبب ذلك: أن الزهراء «عليها السلام» حين توفيت كان بلال بالشام، فهو لا يعرف موضع قبرها. ولعله بلغه أنها دفنت ليلاً، ولم تأذن بحضور من ظلمها جنازتها، وأنها أمرت: بأن يعفى موضع قبرها، فلا يعرفه أحد..

٥ ـ صرحت الرواية: بأن مجيء بلال إلى مدينة كان بعد غياب طويل.

٦ ـ إن البكاء الذي هيمن على أهل المدينة عند سماعهم أذان بلال يدل على شعورهم بمرارة فقد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن ما جرى على أهل بيته، وعلى ابنته يوم وفاته، قد زادهم توجساً مما يحمله لهم المستقبل من غرائب وعجائب، حيث أدركوا ـ وإن كان بعد فوات الأوان ـ: أن الخطر الذي يتهددهم سيكون من سنخ الخطر الذي حل بأقدس وأطهر، وأتقى، وأعلم، وأفضل الناس، فإنه إذا كان هؤلاء قد حلَّت بهم هذه المصائب، فهل سيكون غيرهم في مأمن منها، أو تتحول إلى بركات عليهم؟! وسعادة ونجاح ونعيم لهم؟!

فهم ببكائهم على نبيهم، إنما يبكون على أنفسهم، وعلى تفريطهم الهائل في حق أنفسهم، وفي حق أهل بيت نبيهم.

٧ ـ إن هذا الأذان قد أظهر فشل السياسات التي كانت ترمي إلى تحويل تقديس الناس لنبيهم إلى مجرد عمل روتيني، لا يلامس المشاعر، ولا يستثير الوجدان، ولا يوقظ الضمير، أو يستنهض الهمم.. لأن هذا بزعمهم يضعف أمر أهل بيته، وتتضاءل نفوسهم، وتضعف به مكانتهم في النفوس.

كما أن ذلك يقلل من قيمة وتأثير كلمات ومواقف النبي «صلى الله عليه وآله»، وإرشاداته للناس لالتزام خط أهل بيته من بعده، والكون معهم، وفي طاعتهم، واعتبارهم أئمة الدين، ومراجع الحق.

وقد قال علي «عليه السلام»: «فلما رق أمرنا طمعت رعيان البُهم من قريش فينا»[١].

وقد ذكرنا نصوصاً عديدة تدل على استهدافهم مكانة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتوهين أمره، وتصغير شأنه في سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٧ ص٣٠ ـ ٣٢..

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد ص٣٢٤ والأمالي للطوسي ص٩ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٩٨ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٤٣٠ و ٥٨٢ ونهج السعادة ج١ ص٤٨٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج٢ ص٣٢٢ وج٣ ص٦٤ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٦١ وتقريب المعارف ص٢٤٢ وكشف الغمة ج٢ ص٤ وغاية المرام ج٦ ص١٠.

الفصل السادس

الإمام الحسن عليه السلام يظهر علمه..

أعرابي متمرد يعود إلى رشده:

حدَّث أبو يعقوب يوسف بن الجراح، عن رجاله، عن حذيفة بن اليمان قال: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جبل ـ أظنه حرى أو غيره ـ ومعه: أبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي «عليه السلام»، وجماعة من المهاجرين والأنصار.. وأنس حاضر لهذا الحديث، وحذيفة يحدِّث به.. إذ أقبل الحسن بن علي «عليهما السلام» يمشي على هدوء ووقار، فنظر إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: إن جبرئيل يهديه، وميكائيل يسدده، وهو ولدي، والطاهر من نفسي، وضلع من أضلاعي.. هذا سبطي، وقرة عيني. بأبي هو.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقمنا معه، وهو يقول له: أنت تفاحتي، وأنت حبيبي ومهجة قلبي..

وأخذ بيده، فمشى معه ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله ننظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو لا يرفع بصره عنه، ثم قال: [أما] إنه سيكون بعدي هادياً مهدياً..

هذا هدية من رب العالمين لي، ينبئ عني، ويعرف الناس آثاري، ويحيي سنتي، ويتولى أموري في فعله، ينظر الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك، وبرني فيه، وأكرمني فيه.

فما قطع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجرّ

هراوة له.

فلما نظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليه قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وإنه يسألكم من أمور، إن لكلامه جفوة..

فجاء الأعرابي، فلم يسلم، وقال: أيكم محمد؟!

قلنا: وما تريد؟!

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: مهلاً.

فقال: يا محمد، لقد كنت أبغضك ولم أرك، والآن فقد ازددت لك بغضاً.

قال: فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة.

فأومأ إلينا رسول الله: أن اسكتوا!

فقال الأعرابي: يا محمد، إنك تزعم أنك نبي، وإنك قد كذبت على الأنبياء، وما معك من برهانك شيء.

قال له: يا أعرابي، وما يدريك؟!

قال: فخبرني ببرهانك..

قال: إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي، فيكون ذلك أوكد لبرهاني.

قال: أويتكلم العضو؟!

قال: نعم، يا حسن قم!

فازدرى الأعرابي نفسه، وقال: هو ما يأتي، ويقيم صبياً ليكلمني!!

قال: إنك ستجده عالماً بما تريد.

فابتدره الحسن «عليه السلام» وقال: مهلاً يا أعرابي..

ما غبياً سألت وابن غبي بل فقيهاً إذن وأنت الجهول

***

فإن تك قد جهلت فإن عندي شفاء الجهل ما سأل السؤول

وبحراً لا تقسمه الدوالي تراثاً كان أورثه الرسول

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك، وخادعت نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله..

فتبسم الأعرابي وقال: هيه.

فقال له الحسن «عليه السلام»: نعم، إجتمعتم في نادي قومك، وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل وخرق منكم، فزعمتم أن محمداً صنبور، والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره..

وزعمت: أنك قاتله، وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك، وعمي عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر.. وإنك إنما جئت بخير يراد بك.

أنبئك عن سفرك: خرجت في ليلة ضحياء.. إذ عصفت ريح شديدة، اشتد منها ظلماؤها، وأطلت سماؤها، وأعصر سحابها، فبقيت محرنجماً، كالأشقر.. إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر، لا تسمع لواطئ حساً، ولا لنافخ نار جرساً.

تراكمت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها.. فلا تهتدي بنجم طالع،

ولا بعلم لامع، تقطع محجة، وتهبط لجة، في ديمومة قفر بعيدة القعر، مجحفة بالسفر.. إذا علوت مصعداً ازددت بعداً..

الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت، فإذا أنت عندنا، فقرَّت عينك، وظهر رينك، وذهب أنينك.

قال: من أين قلت يا غلام هذا؟! كأنك كشفت عن سويد قلبي، ولقد كنت كأنك شاهدتني، وما خفي عليك شيء من أمري، وكأنه علم الغيب.

[فـ] قال له: ما الإسلام؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. فأسلم وحسن إسلامه، وعلَّمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً من القرآن.

فقال: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأعرفهم ذلك؟!

فأذن له، فانصرف، ورجع ومعه جماعة من قومه، فدخلوا في الإسلام، فكان الناس إذا نظروا إلى الحسن «عليه السلام» قالوا: لقد أعطي ما لم يعط أحد من الناس(١).

إيضاحات:

الهراوة: العصا، أو الضخمة منها.

هيه: أي.. وماذا بعد؟!

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٣٣ ـ ص٣٣٦.

الأشقر: المراد به: الفرس الأشقر.

عدا طوره: تجاوز حده.

الخرق: ضعف الرأي، والجهل والحمق.

الصنبور: سعفة تنبت في جذع النخلة إذا أزيلت لم تنبت.

ليلة ضحياء: الليلة المضيئة.

أعصر السحاب: جاء بالإعصار.

إِحْرَنْجَمَ: همَّ على أمره ثم تراجع عنه.

الجرس: الصوت أو الخفي منه.

ديمومة: الأرض التي يدوم قفرها ويمتد.

السَّفْر: المسافر.

السلام: اللديغ، ونوع من الشجر.

الرين: الطبع السيء، والغشاء الغالب على القلب.

سويداء القلب: حبته.

الدوالي: جمع دالية: الناعورة يديرها ثور أو غيره..

المنجنون: الدولاب التي يستقى عليها. وهي مؤنثة.

ونقول:

تضمن النص المتقدم أموراً كثيرة، فائقة الأهمية، لا نرى أن بإمكاننا تسليط الضوء على أكثرها، فلا محيص من الإكتفاء ببعضها، وإيكال باقيها إلى الفرص السانحة، إن كان في العمر فسحة، فنقول:

هدوء ووقار:

عرفنا: أن هذه الرواية تتحدث عن الإمام الحسن بن علي «عليهما السلام» في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فلو فرضنا: أن ما تتحدث هذه الرواية عنه قد حصل في أواخر حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن عمر الإمام الحسن «عليه السلام» كان آنئذٍ حوالي سبع سنوات، وهو سن طيش الأطفال وعبثهم، وولوعهم باللعب، وامتلائهم بالحيوية، مع سرعة، وكثرة في الحركة، وعدم إستقرار.

ولكننا نجد الإمام الحسن «عليه السلام» يأتي إلى جده، وعنده ذلك الجمع، وهو يمشي بهدوء وسكينة ووقار وثبات، فلا أثر لطيش الأطفال، ولا نرى كثرة ولا سرعة في الحركة، ولا عبثاً، ولا ولوعاً باللعب. ولا غير ذلك.

وهذه هي سمات طفولة الأنبياء والأئمة «صلوات الله عليهم». فلتذهب أوهام الناس المخالفة لهذه الحقيقة أدراج الرياح..

ولتكن نظرتنا لخير الخلق، وأقدس الموجودات واضحة وراسخة، لا تنحرف عن الخط الصحيح لهم «عليهم السلام».. كما تدل عليه عشرات بل مئات الشواهد في حياتهم وتصرفاتهم، وسلوكهم، ونهجهم.

وقد أكد ذلك النبي الكريم هنا، حين نظر إليه، وقال: إن جبرئيل يهديه، وميكائيل يسدده.

بعض ما قاله صلى الله عليه وآله في حق ولده:

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد نص:

أولاً: على أن الإمام الحسن «عليه السلام» ولده، ليبطل مزاعم أتباع مفاهيم

الجاهلية: أن ابن البنت ليس ابناً، لأن الابن هو ابن الابن عندهم فقط.

ثانياً: قال عن الحسن «عليه السلام»: الطاهر من نفسي، في اشارة منه «صلى الله عليه وآله» إلى مضمون آية التطهير.

ثالثاً: لقد أشار «صلى الله عليه وآله» بهذه الكلمة إلى أنه جزء وبضعة منه.

رابعاً: أشار أيضاً: إلى أنه جزء يعتمد عليه في قوام البدن، وله أثره في تحمل أثقال الحياة، والنهوض بالمسؤوليات، كما يعتمد على الضلع.

بأبي هو:

ثم أتبع «صلى الله عليه وآله» هذه التوصيفات الجميلة والجليلة بقوله: «بأبي هو». فيأتي سؤال يقول:

كيف يفدي النبي أباه الذي هو أيضاً من الأنبياء بمقتضى حديث: «لم يزل الله يخرجني من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجني من صلب أبي، عبد الله»؟! وهل يمكن لأحد أن يفدي سبطه بنبي حتى لو كان إماماً؟!

وهل يليق بالنبي «صلى الله عليه وآله»: أن يتجرأ على مقام أبيه، ويظهر: أنه يفضل سبطه عليه؟! مع أن الله تعالى يقول: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[1].

وهل هذا القول من مفردات توقير الوالدين، ومن أعمال البر بهما، والتعظيم لهما؟!

ويجاب:

أولاً: بأن هذه التفدية قد جاءت في محلها، لأنها تريد التعريف بأمر يحتاج

---

(١) الآية ١٤ من سورة لقمان.

الناس إلى معرفته، وإلى الدلالة عليه، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعرف الناس: أن الإمام الحسن «عليه السلام» سيكون له أثر عظيم في حفظ الدين، وفي دفع الشبهات، وتقوية الحق، وإبطال الباطل، بحيث لا يقاس به حتى عبد الله بن عبد المطلب، فلو دار الأمر بين حفظ من له الأثر العظيم، وحفظ من ليس له أثر بهذه المثابة، فإن الواجب العقلي يقضي بفداء ذي الأثر الأضعف لصالح ذي الأثر الأهم والأعظم.

ثانياً: مع غض النظر عن الأثر وأهميته، فإن نفس جوهر الشخص، وصفاء باطنه، وخلوصه، وتقواه، وعلمه، وسائر مزاياه الرضية، إذا كان أرقى في ذلك كله من شخص آخر، فالترجيح يكون لصاحب هذه الميزات على ذاك الذي يكون تجليها فيه أضعف من تجليها في هذا.

ولأجل ذلك تتفاوت الجواهر في أثمانها، وفي الرغبة فيها بحسب تفاوتها في الصفاء والنقاء، وفي الجودة، والأصالة، وتميزها في صفاتها وسماتها في ذاتها.. وإذا ثبت أن عبد الله أبا رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان نبياً، تكون الرواية دالة على أفضلية الأئمة على الأنبياء «عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام»، بنحو الموجبة الجزئية.

الشعر المنسوب للإمام الحسن عليه السلام:

وقد وردت في الرواية ثلاثة أبيات، وجدنا: أن الأول منها من وزن وبحر شعري يختلف عن وزن وبحر البيتين التاليين.

وهذا أمر غير مألوف..

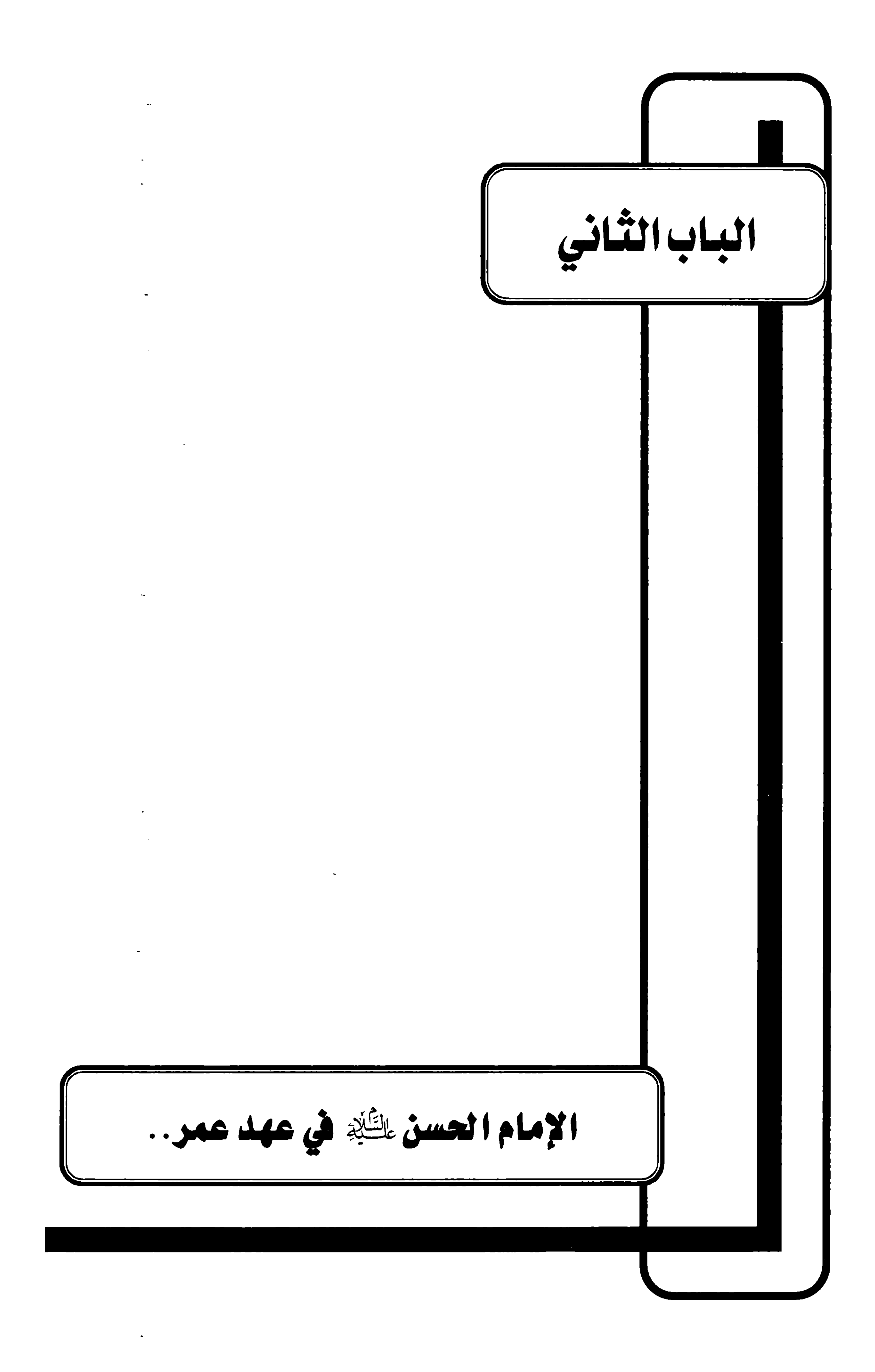
إلا إن كان قد قال البيت الأول.. وبعد برهة قال البيتين اللذين بعده، لا

على أنهما من توابع البيت الأول.. بل على معنى الإستقلال والإنفصال، فاختلف الوزن بينهما بسبب ذلك.

الإمام الحسن عليه السلام يخبر عن الغيب:

يلاحظ: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أخبر الأعرابي أمام النبي «صلى الله عليه وآله» وسائر الحاضرين: بأنه لا يبرح ذلك المجلس حتى يؤمن.. وهذا ما حصل بالفعل.

ولو أمكن اعتبار هذا القول مجرد محاولة التأثير النفسي على ذلك الأعرابي، فإن إخباره إياه بتفاصيل ما جرى في اجتماع المؤامرة في نادي قوم ذلك الأعرابي، وتعهد الأعرابي لهم بقتل النبي «صلى الله عليه وآله» وأنه قدم المدينة لهذا الغرض.. مما لا يمكن لأحد أن يناقش في أنه من الإخبار بالغيب الواضح والصريح.



الباب الثاني

الإمام الحسن عليه السلام في عهد عمر..

الفصل الأول

حديث المنبر، وزواج أم كلثوم..

بداية:

تقدم في فصل سابق: ما جرى بين الإمام الحسين «عليه السلام» وبين أبي بكر حين رأه على المنبر في يوم الجمعة، فقال له: هذا منبر أبي.

فاعترف أبو بكر له: بأنه منبر أبيه حقاً.

وكان ذلك أمام جمع المصلين في المسجد، وقد تكررت هذه الحادثة حين تولى عمر بن الخطاب الخلافة، ولكن الإمام الحسين «عليه السلام» كان هو المعترض على عمر..

وقد جرى بينه وبين عمر كلام، وأخذ ورد، حتى شكا عمر الأمر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وكان الحسن «عليه السلام» حاضراً، فنصر أخاه، وتدخل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهدَّأ الأوضاع، ولم يحصل عمر من شكواه على طائل.. سوى إسهام هذه الشكوى في إظهار الحق.

ونحن نورد الرواية التي تضمنت تفصيل ذلك هنا، ولكن بما أننا قد تكلمنا عما جرى بين عمر والإمام الحسين «عليه السلام» في الجزء السابع من سيرة الحسين في الحديث والتاريخ من ص٤٦ ـ إلى ص ٥٦.. فإننا سوف نقتصر في مقام البيان على ما يرتبط بالإمام الحسن فقط. والرواية هي التالية:

من علمك هذا؟!:

روي: أن عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذكر في خطبته: أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

فقال له الحسين «عليه السلام» من ناحية المسجد: انزل أيها الكذاب عن منبر أبي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا منبر أبيك.

فقال له عمر: فمنبر أبيك لعمري يا حسين! لا منبر أبي.

من علمك هذا؟! أبوك علي بن أبي طالب؟!

فقال له الحسين: إن أطع أبي فيما أمرني، فلعمري إنه لهاد وأنا مهتد به، وله في رقاب الناس البيعة على عقد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نزل بها جبرئيل «عليه السلام» من عند الله تعالى، لا ينكرها أحد إلا جاحد بالكتاب، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم.

وويل للمنكرين حقنا أهل البيت «عليهم السلام»، ماذا يلقاهم به محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إدامة الغضب، وشدة العذاب؟!

فقال عمر: يا حسين! من أنكر حق أبيك فعليه لعنة الله! أمَّرنا الناس فتأمَّرنا، ولو أمَّروا أباك لأطعنا.

فقال له الحسين «عليه السلام»: يا ابن الخطاب! فأي الناس أمرك على نفسه قبل أن تؤمر أبا بكر على نفسك، ليؤمرك على الناس، بلا حجة من نبي، ولا رضى من آل محمد؟!

فرضاكم كان لمحمد «عليه وآله السلام» رضى؟! أو رضى أهله كان له سخطاً؟!

أما والله لو أن للّسان مقالاً يطول تصديقه، وفعلا يعينه المؤمنون لما تخطَّيت رقاب آل محمد «صلى الله عليه وآله»، ترقى منبرهم، وصرت الحاكم عليهم بكتاب نزل فيهم، لا تعرف معجمه، ولا تدري تأويله، إلا سماع الآذان.. المخطئ والمصيب عندك سواء، فجزاك الله جزاك، وسألك عما أحدثت سؤالاً حفياً.

قال: فنزل عمر مغضباً، ومشى معه أناس من أصحابه حتى أتى باب أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل فقال: يا أبا الحسن! ما لقيت من ابنك الحسين؟! يجهرنا بصوت في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويحرِّض عليَّ الطغام، وأهل المدينة؟!

فقال له الحسن «عليه السلام»: مثل الحسين ابن النبي «صلى الله عليه وآله» يستحث بمن لا حكم له، أو يقول بالطغام على أهل دينه..

أما والله ما نلت ما نلت إلا بالطغام، فلعن الله من حرض الطغام!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: مهلاً يا أبا محمد! فإنك لن تكون قريب الغضب، ولا لئيم الحسب، ولا فيك عروق من السودان، اسمع كلامي، ولا تعجل بالكلام.

فقال له عمر: يا أبا الحسن! إنهما ليهمان في أنفسهما بما لا يرى بغير الخلافة.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: هما أقرب نسبا برسول الله «صلى الله عليه وآله» من أبيهما.

أما فأرضهما ـ يا بن الخطاب ـ بحقهما يرضى عنك من بعدهما.

قال: وما رضاهما يا أبا الحسن؟!

قال: رضاهما الرجعة عن الخطيئة، والتقية عن المعصية بالتوبة.

فقال له عمر: أدب ـ يا أبا الحسن ـ ابنك أن لا يتعاطى السلاطين الذين هم الحكماء في الأرض.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا أؤدب أهل المعاصي على معاصيهم، ومن أخاف عليه الزلة والهلكة، فأما من ولده رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا (لعل الصحيح: فلا) يحل أدبه، فإنه ينتقل إلى أدب خير له منه[١].

أما فارضهما يا ابن الخطاب!

قال: فخرج عمر، فاستقبله عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، فقال له عبد الرحمان: يا أبا حفص! ما صنعت وقد طالت بكما الحجة؟!

فقال له عمر: وهل حجة مع ابن أبي طالب وشبليه؟!

فقال له عثمان: يا ابن الخطاب! هم بنو عبد مناف الأسمنون، والناس عجاف.

فقال له عمر: ما أعد ما صرت إليه فخراً فخرت به، أبحمقك؟!

فقبض عثمان على مجامع ثيابه، ثم جذبه ورده، ثم قال: يا ابن الخطاب! كأنك تنكر ما أقول.

---

(١) لكن بعض الإخوة الأكارم احتمل أن تكون عبارة: «لا يحل أدبه» جملة منصوبة على الحال، وتكون الفاء في قوله: «فإنه ينتقل الخ..» هي جواب «أما». أي أن من ولده الرسول على حالة لا يحل معها أدبه، وهي كونه معصوماً مستغنياً عن التأديب.. فإنه ينتقل إلى أدب أرقى وأسمى منه.

فدخل بينهما عبد الرحمان بن عوف، وفرق بينهما، وافترق القوم(١).

ونقول:

من حرك الطغام والأراذل؟!:

حين جاء عمر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» شاكياً ولده الحسين اتهم الحسين «عليه السلام» بأنه حرض الطغام وأهل المدينة عليه..

مع أن ذلك غير دقيق، فاعترض عليه الإمام الحسن «عليه السلام».

أولاً: بأن من هو مثل الحسين «عليه السلام» في بنوَّته لرسول الله «صلى الله عليه وآله» التي تعني أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي رباه ونماه، وعلمه، وغرس في عمق وجوده الفضائل، وزينه بالتقوى، والعمل الصالح.. فمن يكون هذا حاله لا يستعين بالطغام والأراذل، ومن لا يلتزم ولا يراعي أحكام الله.

ثانياً: إنه «عليه السلام» سجل على عمر مؤاخذة أخرى وهي: أن عمر نفسه إنما حصل على موقعه في الخلافة باستعانته بالطغام والأراذل. وذلك حين هجم مع جماعة على بيت الزهراء يوم وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» وصنع ما صنع.

ثالثاً: ثم أطلق الإمام الحسن «عليه السلام» كلمة مبهمة في ظاهر الأمر، حيث تحتمل وجهين، فهي تشبه حديث المباهلة، حيث قال له: «فلعن الله من

---

(١) الإحتجاج ج٢ ص٢٩٢ و (ط النجف) ج٢ ص١٤ و ١٥ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٤٧ ـ ٥٠.

حرض الطغام».

فكأنه يقول له: أنت تدَّعي على الحسين «عليه السلام» الذي نص الله على عصمته وطهارته، ورباه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه حرض الطغام وأهل المدينة عليك، في أمر ليس لك فيه حق، ولا للطغام فيه حكم، أو رأي.. بل الحكم فيه لله ولرسوله.. وهو أمر الخلافة، وقد حكم النبي وقرر: أنها حق للحسين وأهل البيت «عليهم السلام».

ونحن نقول:

إنك حرَّضت الطغام علينا، وسلبتنا بمعونتهم الخلافة التي هي لنا دونك، فنحن نلعن من استعان بالطغام حقاً.

موقف علي عليه السلام من الإمام الحسن عليه السلام:

وقد بادر علي «عليه السلام» إلى مخاطبة الإمام الحسن «عليه السلام»، بطريقة فريدة، جعلت عمر في مأزق صعب جداً، كما سيتضح من البيان التالي:

١ ـ إنه «عليه السلام» بدأ كلامه بقوله: «مهلاً يا أبا محمد»، فقد يتوهم متوهم: أن كلمة مهلاً تعني: أنه سوف يلومه على كلامه هذا، ويعترض عليه فيما قال، ويفنده، وهذا يجعل عمر يتريث في مواصلة هجومه العنيف، والتفوه بالكلمات المؤذية..

٢ ـ ولكن قوله للإمام الحسن: «يا أبا محمد»، فيه تشريف وتكريم للإمام الحسن المخاطب به، فإن الخطاب بالكنية يعطي هذا المعنى.

٣ ـ ثم قال «عليه السلام»: «فإنك لن تكون قريب الغضب» ليدل على أن ولده لم يقل ما قاله عن انفعال، وغضب، أو حمية وعصبية، ولم يقله عن

نزوة طفولة، وعفوية واندفاع غير مسؤول، وغير محسوب العواقب، لأن عمره كان حينئذ ربما لم يتجاوز العشر سنوات، إذا كان قد طالب عمر بالنزول عن منبر أبيه، في أول مرة يراه يعتليه. أي بعد وفاة أبي بكر مباشرة.

٤ ـ ظهر مما تقدم: أنه «عليه السلام» قد قال ما قال لعمر عن فكر وتأمل، وتدبر، وتبصر، فهو ليس ممن يتسرع في الأمور..

ولأجل ذلك نفى «عليه السلام» عن ولده أن يكون قريب الغضب، فيستفز لأدنى كلمة يسمعها، أو شبهة، أو حركة لا تعجبه، ونفي هذا الأمر عنه قد جاء شاملاً للحال، وللمستقبل أيضاً حيث لم يقل له: لست قريب الغضب. لاحتمال أن يصير قريب الغضب في المستقبل، وقد أكد هذا النفي التام والشامل بـ «إنَّ الثقيلة»، وبقوله: «لن تكون» يكون قد نفى ذلك عنه في المستقبل حتى البعيد منه..

٥ ـ إنه قال له: «ولا لئيم الحسب». والحسب هو ما يعدُّه الرجل من مفاخر آبائه.

وقيل: الحسب والكرم: ما ينشئه الرجل لنفسه من الرفعة والشرف.. والمجد: ما يرثه من آبائه.

والإمام الحسن «عليه السلام» ليس لئيم الحسب فيما ورثه من آبائه، ولا فيما صنعه لنفسه، مما هو ماثل للعيان في الواقع العملي الخارجي.

وهذا يؤكد: أنه لم يكن ليخرج عن هذه الطريقة، بل يكون موقفه من عمر منسجماً معها.

٦ ـ كما أنه ليس في الحسن في داخل ذاته، ولا في طبعه، وخلقه، وتكوينه

الفكري والنفسي الراسخ في عمق وجوده ما تفيض ولو بصورة عفوية صدور فعل لئيم، أو غير منطقي منه، وذلك لأن الله تعالى قد خلقه في أحسن تقويم، وفي أعلى درجات الصفاء والخلوص، والطهر، ولم يزل الله ينقله من ساجد طاهر زاكٍ إلى مثله عبر الدهور والعصور، وهو ممن كان نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة، فمن أين يرث مساوئ الأخلاق، وتلويث الأعراق، وخبث الطبع، فإنه سليل النبيين، وصفوة الخلق أجمعين.

كما أنه ليس فيه عروق من السودان، وهم من أكثر الشعوب مظلومية، وتعرضاً للبلايا، والمصائب، والرزايا، لأن الناس يستضعفونهم فيستعبدونهم، ويعبثون بكل صفاتهم وسماتهم، ويلوثون أعراقهم بالقبائح التي يرتكبونها في حقهم بالقهر والظلم، والحرمان، و العدوان والبغي.

أما أهل بيت النبوة، فلم تتغير حالاتهم وطبائعهم بالممارسات الخبيثة، والتربية السيئة، وما إلى ذلك.. فمن أين يأتي الإمام الحسن ما يلوث طبعه، ويشين تصرفاته؟!

٧ ـ ونتيجة ذلك كله: أن ما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» ـ كما قرره أبوه «عليه السلام» ـ ليس فيه أية شائبة أو اختلال، بل هو عين الواقع، وجوهر الحقيقة، فلا لوم عليه فيه، ولا مجال للشكوى منه، والاعتراض عليه.

٨ ـ غاية ما هناك: أن هذا الذي قاله الإمام الحسن «عليه السلام» لعمر في الذب عن موقف أخيه، وإظهار حقيقة ما يمارسونه ضدهم من الكيل بمكيالين، ومن تعدِّيه على حقوقهم، وتهديده لهم هو امتداد لما جرى عليهم وعلى أمهم وأبيهم يوم وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لقد كان ما

قاله الإمام الحسن «عليه السلام» لعمر كافياً في هذه اللحظة، لأن الأمور لا تحتمل أكثر من ذلك.

ولذلك قال «عليه السلام» لولده: «اسمع كلامي، ولا تعجل بالكلام». أي فإن المطلوب والممكن قد تحقق.

٩ ـ وبذلك يعلم: أن ما قاله الإمام الحسن كان ضرورياً، وكان تأييد أبيه له هو البلسم الشافي، الذي لا بديل عنه، ولو أن الأمر انعكس: بأن بادر الإمام علي «عليه السلام» إلى قول نفس ما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» لوجدنا عمر، وكل حزبه يرونها فرصة للتشهير، ولإثارة المشاعر ضد علي «عليه السلام»، واتهامه: بأنه هو الذي أرسل الحسين «عليه السلام» إلى عمر، ليقول له ما قال..

ولكان عمر قد اتَّخذ من كلام علي هذا دليلاً على صحة حدسه.. في أن أباه هو الذي أرسله.. ولكان ذلك يعطيهم ذريعة لاتهام علي بأنه يثير الفتنة ويريد سفك دماء المسلمين، ولا يهتم لعواقب ذلك.. وسوف يكون ذلك محرجاً جداً لأنصار علي «عليه السلام»، وربما وجد فيه بعضهم عذراً للتخلف عن نصرته، أو للردة عن موالاته، والشك في حقانية موقفه، وسلامة قراراته..

لجوء عمر إلى التهديد:

١ ـ ولعل كل هذا الذي ذكرناه أو بعضه يجعلنا نفهم المأزق الذي وجد عمر فيه نفسه، فلجأ إلى التهديد والإستفزاز متوعداً بالعدوان على حياة الحسين «عليه السلام» متذرعاً بأن من يستهدف مقام الخلافة، فحياته سوف تكون ثمناً لها، وهذا التهديد إنما هو ليصرف الناس عن التأمل في مداليل الكلام

الذي جرى بينه وبين الحسين في المسجد، ثم بينه وبين أمير المؤمنين والإمام الحسن، حين جاء للشكوى، والتحريض على الحسين..

٢ ـ لكن علياً «عليه السلام» بقي هادئاً، وتابع كلامه، بعد هذا التهديد لولديه، بما زاد في كرب من لجأ إلى هذا الأسلوب لأنه «عليه السلام» قال له: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» أحق بالخلافة من عمر الذي جاء ليشكوهما إليه.. لأن عمر وأبا بكر يستدلان على الأنصار بأنهم أمس برسول الله رحماً، وأقرب إليه منهم، فالخلافة لهم دون الأنصار بما فيهم سعد بن عبادة الخزرجي.

فإن كان هذا هو المعيار، وليس هو الآيات، ولا حديث الرسول، ولا بيعة الغدير، فعلي أقرب من أبي بكر وعمر إلى النبي، فإنهما ابناه، وعلي ابن عمه.. كما أن الحسنين أقرب منهما، بل ومن علي أيضاً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنهما ابناه، فهما يطالبانه بحقهما في الخلافة.. وليس هذا تحريضاً للطغام ولأهل المدينة.

وقد كان يكفي عمر أن يرضيهما بإرجاع حقهما إليهما. وينتهي الأمر.. إلا إن كان عمر يريد أن لا يطالب الناس بحقوقهم، بل هو يهددهم بالموت إن فعلوا ذلك.

٣ ـ وأحسب أن عمر ظن في أول وهلة: أن المطلوب لعلي «عليه السلام» هو الإرضاء المادي ببذل مال، أو منصب، أو ما إلى ذلك.. فسأل علياً عما يرضيهما به. وهذا السؤال يستبطن الإقرار: بأن لهما حقاً، ويريد منه التعويض عنه. فاعتبر أن الأمور قد بدأت تسهل، وأن بوادر الحل قد ظهرت.

فجاءه الجواب الصاعق الذي يقول: إن إرضاءهما يكون بالتوبة، وإرجاع حقهما إليهما.

٤ ـ فأعاد عمر تهديده للحسنين، مشفوعاً بالطلب من علي «عليه السلام» أن يؤدب ولديه، فإن تعرضهما للسلطان الحاكم في الأرض يجعل حياتهما في خطر.

٥ ـ فأجابه علي «عليه السلام»: بأنه ليس من حقه تأديب الحسنين «عليهما السلام»، لأن التأديب إنما يكون للمتمرد والعاصي.. ومن يخشى عليه من تكرار زلته، فيكون بها هلاكه.

والحسنان لم تصدر منهما زلة، ولم يتمردا على أمر صدر لهما، بل هما قد طالبا بحقهما، الذي هو لهما من جدهما رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن تأديبه لهما، لمطالبتهما هذه يكون عدواناً عليهما، ولا يصح تأديب من يكون في أقصى درجات الصلاح والفلاح، والإستقامة، والأدب، فكيف إذا كان يتسامى في أدبه من مقام إلى مقام باستمرار.

٦ ـ ولا أدري ما يمكن أن يقال عن معتدٍ غاصب، يتوقع من ضحاياه، ومن الذين ظلمهم، واغتصب حقوقهم، واعتدى عليهم: أن يعاقبوا بأنفسهم أقدس المخلوقات، وأفضلهم، لمجرد أنهم طلبوا من ذلك الغاصب: أن يرجع إليهم حقهم!!

٧ ـ وقد لفت نظرنا أيضاً: مخاصمة عثمان، بعد أن اعترف له عمر بعجزه عن مقارعتهم الحجة بالحجة، فقال له عثمان: إن عليه أن يعترف بأن علياً وأهل بيته «عليهم السلام» لا يقاس بهم غيرهم في العلم والفضل، ولا يجاريهم أحد في الاحتجاج، إلا إن كان يريد أن يسلك طريق العناد واللجاج.. فثارت

ثائرة عمر، وانفجر في وجه عثمان، كما أوضحته الرواية.

زواج أم كلثوم من عمر:

قالوا: إن عمر تزوج أم كلثوم في السنة السابعة عشرة من الهجرة[1].

وأم كلثوم بنت علي وفاطمة «عليهما السلام»[2].

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٥٣٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٦٩ ونظم درر السمطين ص٢٣٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٠٨هـ) ج٧ ص٩٣ وحياة الإمام علي «عليه السلام» لمحمود شلبي ص٢٩٤ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٦٢ والإصابة ج٤ ص٤٩٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص١٦٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص١٥٤.

(٢) راجع في هذا الزواج المصادر التالية: تاريخ الإسلام للذهبي ج٢٦ ص١٣٦ وج٤ ص١٣٧ وذخائر العقبى للطبري ص١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٤٢ ونظم درر السمطين ص٢٣٤ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص١٥٧ و ١٥٩ وتفسير الثعلبي ج٣ ص٢٧٧ وأنساب الأشراف للبلاذري ص١٨٩ والسيرة النبوية لابن إسحاق ج٥ ص٢٣٢ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٤ وج٧٨ ص٣٨٢ عن الخلاف للشيخ الطوسي «رحمه الله»، والغدير للأميني ج٦ ص١٣٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤١٣هـ) ج٧ ص١٥٦ و ١٥٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٧٠ والمنمق ص٤٢٦ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٥٣٧ وغيرها. وإرشاد الساري ج٥ ص٨٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج٤ ص٢٦٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٣ ص١٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٣ قسم١ ص٢٤٠ و ١٩٠ و (ط دار صادر) ج٨ ص٤٦٣ ومجمع الزوائد ج٨ ص٣٩٨ وفتح الباري

وقد بحثنا هذا الأمر في كتابنا: «ظلامة أم كلثوم» وكتاب «ميزان الحق» ج٢، وكتاب الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٤، فأغنانا ذلك عن الدخول في تفاصيله هنا؛ وسوغ لنا الإكتفاء هنا ببعض ما يرتبط بالحسن والحسين «عليهما السلام»، فنقول:

هناك من قال: إن هذا الزواج قد تم قبل بلوغ أم كلثوم(١)..

وصرح آخرون: بأنها كانت صغيرة(٢).

وفي جميع الأحوال نقول:

قالوا: إن عمر خطب أم كلثوم أكثر من مرة، وكان علي «عليه السلام» في كل مرة يتعلل لرده بإحدى العلل..

وقد تعلل له في بعضها: بأن عليه أن يستأذن الحسن والحسين «عليهما

ج٦ ص٦٠ وج١٣ ص٤١ وكنز العمال ج١٢ ص٥٧٠ و ٥٧١ وج١٥ ص٧١٦ والخصائص الكبرى ج١ ص١٠٥ والتحفة اللطيفة ج١ ص٣٩٤ و ١٩ والمستطرف (ط دار الجيل ـ سنة ١٤١٣هـ) ص٥٤٨. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص١٠٦ وج١٩ ص٣٥١ وسنن سعيد بن منصور ج١ ص١٤٦ و ١٤٧ وعن تاريخ ابن عساكر ج٢ ص٨٠ والكافي ج٥ ص٣٤٦ ورسائل المرتضى (المجموعة الثالثة) ص١٤٩ و ١٥٠ ومرآة العقول ج٢٠ ص٤٤ و ٤٥ ووسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج٢٠ باب١٠ من أبواب عقد النكاح وأولياء العقد. وراجع: الصراط المستقيم ج٣ ص١٣٠ والشافي ج٣ ص٢٧٢ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٤ ص٣٦٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص١٥٣.

(١) شرح المواهب للزرقاني ج٧ ص٩ وج٩ ص٢٥٤.

(٢) راجع كتابنا: ظلامة أم كلثوم.

السلام»، والرواية هي التالية:

إن عمر بن الخطاب خطب إلى علي «عليه السلام» ابنته، فقال علي «عليه السلام»: إن لي أمراء حق أستأذنهم.

وفي رواية: إن لي أسدين حتى أستأذنهما. يعني: الحسن والحسين[١]. أو نحو ما ذكرناه..

ونقول: لاحظ ما يلي:

الاستئذان لماذا؟!:

لقد وصف علي «عليه السلام» الحسن والحسين «عليهما السلام»: بأنهما أميران، أو أسدان، لا بد من استئذانهما في أمر زواج أختهما أم كلثوم.

وهذه الكلمات تشير إلى أمور على درجة كبيرة من الأهمية، وبعضها يحتاج إلى بيان مثل:

١ ـ أن الولاية في أمر الزواج تكون للأب، لا للأخ على أخته، فما معنى تعليق علي «عليه السلام» أمر زواج ابنته على أذن أخويها؟!

٢ ـ هناك استشارة، وهي: طلب معرفة رأي المستشار في أمر بعينه، وينتهي الأمر عند هذا الحد، ويكون المستشير بعد ذلك هو صاحب القرار، سواء وافق رأي المشير أو خالفه، وليس لرضا المشير وسخطه أي أثر، وهذا

---

(١) راجع: ذخائر العقبى ص٢٦٤ و (ط مكتبة القدسي) ص١٦٩ والفتوحات الإسلامية لدحلان ج٢ ص٤٥٥ و ٤٦٦ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٢٨٥ والذرية الطاهرة للدولابي ج١ ص١١٤ و ١٥٩ والسيرة النبوية لابن إسحاق ص٢٣٢.

ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾(1).

وهناك استئذان بمعنى: أن للآذن دوراً في القرار، لأن المصلحة في الفعل مرهونة بإذنه ورضاه.. فإذا لم يأذن، فلا مصلحة في الفعل، أو أنها تكون منقوصة، أو ليست هي المطلوبة، بل قد يكون في الإقدام مع عدم الإذن مفسدة وضرر.

٣ ـ قد علَّق علي «عليه السلام» هنا أمر زواج ابنته على إذن أخويها، لا على مجرد استشارتهما، والاطِّلاع على رأيهما، فكيف نفسر ذلك؟! مع ملاحظة: أن عمر الحسنين «عليهما السلام» حين كان ذلك في السنة السابعة عشرة للهجرة هو ثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة.. أي أن رأيهما كان حاسماً ونافذاً بالنسبة لأختهما مع أنهما لم يبلغا الحلم.. تماماً كما هو الحال بالنسبة لنفوذ رأي أبيهما.

٤ ـ يمكن أن يقال في الجواب عن ذلك كله:

إن مقام الإمامة الثابت للحسنين «عليهما السلام» بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بلا فرق بين حال الصغر والكبر، هو الذي اقتضى ذلك.

وقد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «حق علي على هذه الأمة كحق (حق) الوالد على ولده»(2).

---

(1) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(2) فرائد السمطين ج١ ص٣٩٧ والأمالي للطوسي ج٢ ص٢٧٧ و (ط دار الثقافة) ص٤٥ و ٣٣٤ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٠٠ والعمدة لابن البطريق ص٢٨٠ و ٣٤٥ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١٣١ والمناقب للخوارزمي

ويقول: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[1]..

ص٢١٩ و ٢٣٠ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣١٠ ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص٤٨ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٧١ و ٢٧٢ وغاية المرام ص٥٤٤ ولسان الميزان ج٤ ص ٣٩٩ وميزان الإعتدال ج٣ ص٣١٦ والصراط المستقيم ج١ ص٢٤٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٧٣ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٥ و ١١ والغدير ج٧ ص٢٤٣ ومستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٧٢ وكتاب المجروحين لابن حبان ج٢ ص١٢٢ والكامل لابن عدي ج٥ ص٢٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٠٧ و ٣٠٨ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص١٨٠ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص٧٧ وبشارة المصطفى ص٤١٤ ونهج الإيمان ص٦٢٩ وكشف اليقين ص٣٠٠ وينابيع المودة ج١ ص٣٦٩ و ٣٧٠ وج٢ ص٧٦ و ٢٣٨ ومعارج اليقين ص٥٣ وغاية المرام ج٥ ص٢٩٦ و ٢٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٤٨٨ و ٤٩١ و ٤٩٢ وج١٧ ص٢٥ و ٢٦ و ٢٧ وج٢١ ص٥٧٧ وج٢٣ ص٢٧٢ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٩٤

(١) راجع: البرهان (تفسير) ج١ ص٣٦٩ ومعاني الأخبار ٥٢ و ١١٨ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٨٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص٩١ وعلل الشرائع ص١٢٧ وكمال الدين ص٢٦١ والأمالي للصدوق ص٦٥ و ٤١١ و ٧٥٥ والميزان ج٤ ص٣٥٧ وبحار الأنوار ج١٦ ص٩٥ و ٣٦٤ وج٢٣ ص١٢٨ و ٢٥٩ وج٢٦ ص٢٦٤ و ٣٤٢ وج٣٦ ص٦ و ٩ و ١١ و١٤ و ٢٥٥ وج٣٨ ص٩٢ و ١٥٢ وج٣٩ ص٩٣ وج٤٠ ص٤٥ وج٦٦ ص٣٤٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٣٨ والمراجعات ص٢٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٤٩ وج١٨ ص٣١١ و ٣١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٢٦٤ وج١٠ ص٤٥٥

ورأينا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أشرك معه في قصة المباهلة علياً، وفاطمة، والحسنين «عليهم السلام».. لأن العصمة والمسؤولية عن حقائق الدين مشتركة بينه وبينهم، ولأن علاقة الأمة بالنبي «صلى الله عليه

ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٠٠ وروضة الواعظين ص٣٢٢ وخاتمة المستدرك ج٥ ص١٤ والغارات للثقفي ج٢ ص٧١٧ و ٧٤٥ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٨٦ والعمدة لابن البطريق ص٣٤٥ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١٣٣ وسعد السعود ص٢٧٥ والعقد النضيد والدر الفريد ص٧٠ والمحتضر للحلي ص٧٣ والصراط المستقيم ج١ ص٢٤٢ و ٢٤٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٧ و ٧٤ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٧٦ و ٧٨٧ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص٨٠ و ٢٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٧ ص٢٤٣ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٥٩ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص٣٣٠ والصافي (تفسير) ج١ ص١٥٠ وج٤ ص١٦٥ و ١٦٦ وج٥ ص٥٢ وج٦ ص١٢ و ١٣ و ٥٢٠ ونور الثقلين ج٤ ص٢٣٧ و ٢٣٨ وكنز الدقائق ج١ ص٢٨٦ وج٢ ص٤٤٠ ومفردات غريب القرآن للراغب ص٧ وتفسير الآلوسي ج٢٢ ص٣١ وبشارة المصطفى ص٩٧ و ٢٥٤ ونهج الإيمان ص٦٢٥ و ٦٢٩ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج١ ص٧٤ و ١٢٨ وينابيع المودة ج١ ص٣٧٠ واللمعة البيضاء ص٨١ و ١٢٣ ومشارق أنوار اليقين ص٤٣ و ٢٨٩ وغاية المرام ج١ ص١٧٧ و ٢٥٠ وج٢ ص١٧٩ و ٢١١ وج٣ ص٧٠ وج٥ ص١١٨ و١٢٢ و ٢٩٩ و٣٠١ و ٣٠٣ وج٦ ص٦٦ و ١٥٥ و ١٦٦ و ١٦٧ وج٧ ص١٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص١٠٠ و ٢٢٧ و ٣٦٦ وج٥ ص٩٥ وج٧ ص٢١٦ وج١٣ ص٧٧ وج١٥ ص٥١٨ و ٥١٩ وج٢٠ ص٢٣٠ وج٢٢ ص٢٨٠ و ٢٨٢ و ٣٤٦ وج٢٣ ص٥٨٠ و ٦٢١.

وآله» تكون على حد علاقتها بعلي، وباقي الأئمة الطاهرين..

ولأن الإمام والنبي والمعصوم لا تصح مخالفتهم.

كما أنهم لا يختلفون في الرأي.

ورأيهم مصيب للواقع، وكاشف عنه، وإمامتهم الفعلية للأمة تقتضي مشاركتهم الحقيقية في شؤونها وما يحفظ اعتقاداتها، حين يقتضي الأمر ذلك.. فلا يصح اعتبارهما مجرد مستشارين، إذ لا مجال لرد رأيهما، أو الأخذ بغيره.

وهذا ما يقتضيه مقام النبوة ومقام الإمامة والعصمة فيهم..

يضاف إلى ذلك: أن لهم الولاية على الأمة.. فكما أن للنبي الولاية على الكبير والصغير، بل هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فكذلك الإمام.

وأما موضوع أفضلية النبي أو علي «عليهما الصلاة والسلام» على الحسن والحسين وفاطمة «عليهم السلام»، فلا يؤثر في صوابية الرأي منهم جميعاً، كما أن كشف الحقائق في دائرة النبوة والإمامة، والعلم، والعصمة، بدرجة واحدة، وعلى نسق واحد..

أما بالنسبة للأفضلية، فلها مجالاتها الواسعة في خارج هذه الدائرة.

فاشتراط إذن الحسن والحسين في زواج أم كلثوم مع وجود أبيها يشير إلى أن دخولهم في هذا الأمر يكون كشركاء تماماً، كما هو الحال في المباهلة وسواها، كما قدمناه.

ويكون من موقع الولاية على آحاد الأمة كلها.

٥ ـ وذلك كله يفسر لنا: سبب وصف أمير المؤمنين ولديه بالأميرين، لأن حكمهما نافذ، وأمرهما مطاع كالأمراء..

كما أن وصفهما بالأسدين، إن لم يكن مصحَّفاً عن أميرين.. من حيث إن الأسد يحصل على ما يريد، ولا يهاب أحداً، فمعاندته تكون مكلفة، بل مهلكة، كمعاندة الأمراء.. وهو بمثابة الآمر الذي لا بد أن ينفذ أمره، ويجري حكمه على كل أحد، فكذلك الحسنان «عليهما السلام».

٦ ـ وقد ظهر مما تقدم: أن سبب استئذان علي «عليه السلام» من ولديه هو ما يلي:

ألف: إقتضاء مقام الإمامة لذلك.

ب: إظهار معنى إمامتهما، والتنويه بمقامهما، والتعظيم لهما.

وعلم أيضاً: أن هذا الإستئذان لا يجب أن يصب في مصلحة علي «عليه السلام»، بل قد يكون لأمر يعود إلى الحسنين في إمامتهما، والتنويه بعظيم شأنهما.

وربما كان جعل الأمر مرهوناً بإذنهما، في مصلحة أختهما أيضاً.

روايات فيها تزوير:

وهناك روايات ذكرت موضوع استئذان الحسنين «عليهما السلام»، ولكنها تعرضت للدس، والتزوير، نذكر منها بعضها هنا، ونبيِّن مواضع الخلل والدس فيها، فنقول:

فضائل عمر على لسان الحسن:

قالوا: إن علياً «عليه السلام» حين اعتذر لعمر عن تزويجه ابنته أم كلثوم بصغر سنها، قال عمر: إن تعش تكبر.

فقال: إن لها أميرين معي.

قال: نعم.

فرجع علي إلى أهله، وقعد عمر ينتظر ما يرد عليه.

فقال علي: ادعوا الحسن والحسين.

فجاءا، فدخلا، فقعدا بين يديه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال لهما: إن عمر قد خطب إليَّ أختكما، فقلت له: إن لها معي أميرين، وإني كرهت أن أزوجها إياه حتى أؤمركما (لعل الصحيح: أؤامركما).

فسكت الحسين.. وتكلم الحسن، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا أبتاه، مَن بعد عمر؟!

صحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتوفي وهو عنه راض، ثم ولي الخلافة، فعدل.

قال: صدقت يا بني، ولكن كرهت أن أقطع أمراً دونكما الخ..[1].

ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً منها:

أولاً: إنها تصرح: بأن علياً «عليه السلام» قد رد عمر متذرعاً بصغر سن ابنته..

ولكن عمر لم يقتنع.. فاعتذر له: بأن عليه أن يستأذن ولديه في أمرها..

وقد لاحظنا: أن الرواية السابقة وصفتهما بالأميرين..

---

(١) ذخائر العقبى ص٢٦٦ و (ط مكتبة القدسي) ص١٦٩ و ١٧٠ عن ابن السمان، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٣٨.

وقد أشرنا فيما سبق إلى ما قد يكون من أسباب هذا التوصيف.

ولكن هذه الرواية جعلتهما أميرين لابنته، لا أميرين له هو «عليه السلام»، وتعبير هذه الرواية أولى وأنسب، إذ لا يعقل أن يكون الحسنان وليين لأبيهما، أو للنبي «صلى الله عليه وآله»، لا بمعنى ولاية مقام الإمامة، ولا بغير ذلك من المعاني، إلا فيما يرتبط بصلاة الميت، وتغسيله وتجهيزه، ونحو ذلك مما لا يليه من الإمام إلا إمام مثله..

وحتى الرواية التي جعلتهما أميرين له «عليه السلام»، فإنها يمكن الأخذ بها على معنى: أنهما لا يمكن مخالفتهما في أي أمر يقولانه، لأنهما يكشفان عن الحق والواقع الذي لا محيص عنه، فلا بد من إطاعتهما، والإنتهاء إلى رأيهما في كل شيء، تماماً كما هو حال الأمير المهيمن، والمطاع في الأمور كلها.. على أن كلمة: «لي أميران» لا تعني إمارتهما عليه، بل بمعنى: أن لهما مقام الإمارة في أنفسهما، لأن لهما حق الأمر والنهي.

ثانياً: ادَّعت الرواية: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يرى: أن عمر لا نظير له. كما ربما يفهم من قوله «عليه السلام»: يا أبتاه، مَنْ بعد عمر؟!

فإنه يدل على أنه يرى: أن لا أحد يوازي عمر في الفضل والمقام.

ثم استدل على ذلك بثلاثة أمور هي:

ألف: أنه صحب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» توفي، وهو راض عنه..

ج: أنه ولي الخلافة، فعدل.

فصدقه علي «عليه السلام» على ما قال..

وأقول:

١ ـ لا أدري كيف صارت هذه الأمور، سواء اجتمعت، أو تفرقت دليلاً على الفضل، والسؤدد، والكرامة؟! وكيف ميزت عمر عن سائر الناس، فلا يدانيه أحد؟!

والأمران الأولان ـ بغض النظر عن ثبوتهما وعدمه ـ موجودان في كثير من الناس.. فسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار.. وكثيرون غيرهم قد صحبوا رسول الله، ومات وهو عنهم راض.

٢ ـ إن الصحبة بمجردها لا تعني الصلاح.. وقد رأينا القرآن الكريم يتحدث كثيراً عن وجود أناس غير صالحين بين الصحابة، وكان من الصحابة من نفر بالنبي ناقته ليلة العقبة، ومنهم من نفاه النبي «صلى الله عليه وآله» عن المدينة، ومنهم من قَتَل، ومن زنى، ومن شرب الخمر، وأقيمت عليه الحدود.. ومنهم.. ومنهم..

٣ ـ وحين ثار خلاف بين خالد بن الوليد، وبين عمار بن ياسر وبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لا تسبوا أصحابي(١)، فدل ذلك على أن بعض من كان يعدُّ من أصحابه «صلى الله عليه وآله» آنئذ، لا يراه النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، ولم يؤهله عمله الصالح لهذا المقام، فالعمل الصالح هو الذي يأتي بوسام الصحبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

كما سيأتي أن ابن عمر لا يعتبر الحسن والحسين «عليهما السلام» صحابيين، فقد اعترض على أبيه، لأنه فضلهما عليه، محتجاً: بأن له صحبة، وليس لهما

---

(١) وقيل: إن ذلك كان بين خالد وعبد الرحمان بن عوف، كما في صحيح مسلم.

صحبة(١).

٤ ـ إن القول: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» مات وهو راض عن عمر فيه مجازفة، بعد أن قال عمر ـ فيما عرف برزية يوم الخميس ـ عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه ليهجر، لمجرد أنه طلب من الحاضرين: أن يأتوه بكتف ودواة، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً(٢).

٥ ـ ولو قلنا: إن النبي مات وهو راض عنه، فإننا نرى أنه بعد موت النبي قد أغضب فاطمة «عليها السلام»، بل ضربها، وكسر ضلعها، وأسقط

---

(١) المسترشد للطبري ص٢٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٧١ (وط الحيدرية) ج٢ ص٢٦٩ والصراط المستقيم للبياضي ج٢ ص٧٠ والبحار ج٣٨ ص٩.

(٢) الإيضاح ص٣٥٩ وتذكرة الخواص ص٦٢ وسر العالمين ص٢١ وصحيح البخاري ج٣ ص٦٠ وج٤ ص٥ و ١٧٣ وج١ ص٢١ و ٢٢ وج٢ ص١١٥ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٥٧ وج١٠ ص٣٦١ وراجع: ج٥ ص٤٣٨ والإرشاد للمفيد ص١٠٧ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٩٨ وراجع: الغيبة للنعماني ص٨١ و ٨٢ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٩٨ وفتح الباري ج٨ ص١٠١ و ١٠٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ والبدء والتاريخ ج٥ ص٥٩ والملل والنحل ج١ ص٢٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٤٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٩٢ و ١٩٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٥٦٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٥١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٦٤ وصحيح مسلم ج٥ ص٧٥ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٥٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤٤ ونهج الحق ص٢٧٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٦٢ وحق اليقين ج١ ص١٨١ و ١٨٢ ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص٦٣ ـ ٧٠ والصراط المستقيم ج٣ ص٣ و ٦ والمراجعات ص٣٥٣ والنص والإجتهاد ص١٤٩ و ١٦٣.

جنينها، وأضرم النار في بيتها، بهدف إحراقها، وإحراق زوجها علي، وولديها الحسن والحسين، وفضة.

فماتت «عليها السلام»، وهي واجدة عليه وعلى أبي بكر، كما يقول البخاري في صحيحه، وغيره.. وقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أغضبها فقد أغضبني.. وقد أوصت أن تدفن ليلاً، ولا يحضر أحد من هؤلاء القوم جنازتها، وأن يعفى موضع قبرها، فلا يعلم لها قبر إلى يومنا هذا.

٦ ـ وأما العدل الذي مارسه عمر حين تولى الخلافة، فهو أيضاً غير مجدٍ:

أولاً: لأنه حين دون الدواوين اعتمد طريقة ظالمة، خالف فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي طريقة التفضيل على أساس الإنتماء العشائري، وحرم الموالي وغيرهم من حقوقهم[١]. وفضل العرب على غيرهم، وفضل قريشاً على غيرها.

وكانت هذه السياسة هي التي أسست لحرب الجمل، حين أرجع علي الناس إلى ما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢]. وكانت أيضاً

---

(١) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٣ ص٢٢٨ وكتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٨ ص١١١ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٢٤ و ٨٢٨ وبحار الأنوار ج٣١ ص٣٥ وج٣٣ ص٢٦٢ والعثمانية للجاحظ ص٢١١ و ٢١٩ والإستغاثة لأبي القاسم الكوفي ج١ ص٤٥ ونفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص٥٦٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص٦٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٦٤ وبناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص٤٠٠ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٢٨٢.

هي التي أسست للتمييز العنصري، وكرسته على مستوى النظرية، والفكر، والممارسة، والمشاعر، وما إلى ذلك.

ومن مظاهر ظلمه: أنه ضرب من يلبس ثوباً جديداً(١).

وضرب أيضاً من أعطاه الله مسحة جمال(٢).

وضرب من يسأل عن معاني الآيات(٣).

وغير ذلك مما ينافي العدل في كثير من الموارد..

---

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج١٠ ص٤١٦ وتاريخ الخلفاء ص١٤٢ عنه، والغدير ج٦ ص١٥٧ وكنز العمال ج١٢ ص٦٦٨ وراجع ج٦ ص١٥٨ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٣٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص١١٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٣٤ والإصابة ج٣ ص٤٣٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٦ ص١٢٢.

(٢) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٧٨ (وفي ط أخرى) ص١٨٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٧٣ وكنز العمال ج٣ ص٨٠٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٦٩٠ والغدير ج٦ ص١٥٧ وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ص٢٧٩.

(٣) راجع في ذلك وغيره: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٤٦ ـ ١٤٨ وكشف الأستار عن مسند البزار ج٣ ص٧٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص١١٣ وحياة الصحابة ج٣ ص٢٥٨ و ٢٥٩ والغدير ج٦ ص٢٩٠ ـ ٢٩٣ عن المصادر التالية: إحياء علوم الدين ج١ ص٣٠ وسنن الدارمي ج١ ص٥٤ و ٥٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٣٨٤ وتفسير ابن كثير ج٤ ص٢٣٢ والإتقان ج٢ ص٥ وكنز العمال ج١ ص٢٢٨ و ٢٢٩ عن نصر المقدسي، والأصبهاني، وابن الأنباري، واللالكائي وغيرهم. والدر المنثور ج٦ ص١١١ و ٣٢١ وفتح الباري ج٨ ص١٧ وج١٣ ص٢٣٠ والفتوحات الإسلامية ج٢ ص٤٤٥.

بل إن نفس ولايته على الناس، انطلقت من ظلم هائل بلغ حد الضرب، والجرح، والإحراق، وإسقاط الأجنة، وغير ذلك مما جرى على علي وفاطمة والحسنين مع أن الحق لعلي «عليه السلام»، وهو المنصوص عليه من الله ورسوله.. وكان المسلمون، بما فيهم عمر بن الخطاب وفريقه قد بايعوه يوم الغدير، قبل موت النبي «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً.

فحتى لو فرضنا أن عمر قد توخى العدل في بعض الحالات، ولكن ذلك لا يجعل الحق المغتصب بالقوة، وبارتكاب ما لا يجوز ارتكابه حلالاً أو مشروعاً، فإن ما بني على باطل لا يكون إلا باطلاً.

على أن العدل المرضي لله، والذي يستدر مثوبته هو ذلك الذي يقصد به وجه الله.. فكيف إذا كان هذا العدل ثمرة لظلم فاحش وهائل.. مورس على أقدس الخلق، وأعلمهم وأتقاهم وأفضلهم، وأحبِّهم إلى الله، فهل يصح التقرب إلى الله تعالى بعدل كهذا؟!

لا صبر على هجرانك يا أبتاه:

وثمة نص آخر يكاد يكون صريحاً في فرض علي «عليه السلام» لرأيه على ابنيه في أمر زواج ابنته، فهو يقول:

إن عمر خطب أم كلثوم، فقال له علي «عليه السلام»: إنها تصغر عن ذلك.

فقال عمر: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي، فأحببت أن يكون لي من رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبب ونسب.

فقال علي «عليه السلام» للحسن وللحسين: زوِّجا عمكما.

فقالا: هي امرأة من النساء، تختار لنفسها.

فقال: (فقام ظ) علي «عليه السلام» مغضباً، فأمسك الحسن «عليه السلام» بثوبه، وقال: لا صبر لي على هجرانك يا أبتاه.

قال: فزوجاه(١).

ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً غير مستساغة، هي:

١ ـ إن رفض الحسن والحسين «عليهما السلام» تنفيذ أمر أبيهما تزويج أختهما من عمر فيه إساءة لا يمكن أن تصدر ممن نص الله تعالى على طهارته وعصمته في آية التطهير..

٢ ـ تنص الرواية على أن علياً «عليه السلام» غضب من موقف ولديه، ومن جوابهما، فكيف يغضب من تصرف من طهره الله في كتابه. فإن طهارتهما تقتضي صحة قولهما.

٣ ـ إن طهارة أبيهما بنص الآية تقتضي أنه لا يخطئ أيضاً، ولا يسيء في قول ولا فعل، فلماذا رفضا إطاعته فيما أمرهما به، وهو محض الصواب..

---

(١) راجع: حياة الصحابة ج٢ ص٥٢٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٦ ص٥٣٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٦٤ و (ط دار الفكر) ج٧ ص١١٤ والصواعق المحرقة ص١٥٧ والمعجم الأوسط للطبراني ج٦ ص٣٥٧ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٧٢ عنه، وعن البزار، قال: وفي المناقب أحاديث نحو هذا.

وكيف يمكن أن يكون ولداه مصيبين، ويكون هو المخالف لهما مصيباً أيضاً؟!

٤ ـ إذا كانت أم كلثوم تصغر عن سن الزواج، كما صرحت به هذه الرواية بالذات، فضلاً عن روايات أخرى، ولعلها لم تكن قد بلغت الثمان سنوات، فما معنى قول الحسن والحسين لأبيهما، هي امرأة من النساء تختار لنفسها؟!

فإن التي تكون صغيرة بعمر الثمان سنوات تحتاج غالباً إلى مرشد ومساعد، ولا تترك لتستقل برأيها، وقد جاء حكم الشرع مطابقاً لما تقتضيه هذه الحاجة، فإن الأحكام إنما تعالج ما يكون فيه غالبية تقتضي العلاج، ومع ذلك:

فإن ذلك يدعونا إلى طرح الأسئلة التالية:

ألف: هل كان «عليه السلام» يريد أن يُكره ابنته على الزواج من عمر بن الخطاب؟!

ب: هل أراد بما أظهره من غضب: أن يخضع ولديه لإرادته؟! وبالتالي يسلب حرية الإختيار من ابنته أيضاً.

ج: هل إيكال الحسن والحسين «عليهما السلام» الأمر إلى أختهما يعني أنهما يريان أنه لا ولاية لأبيهما عليها؟! فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتدخل أبوها في شأنها؟! ولماذا يغضب إذا لم ينفذ الحسنان أمره الذي لا يحق له أن يمضيه في أمر الزواج؟!

د: وهل كان الحسنان أعلم من أبيهما بما يحق له، وما لا يحق له؟!

٥ ـ قلنا أكثر من مرة: إن الحسين «عليه السلام» ما تكلم بين يدي أخيه

الحسن إعظاماً له، ولا تكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين إعظاماً له[١].

فما بال الحسن والحسين «عليهما السلام» معاً يتمردان على أبيهما وهو خير خلق الله بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بطريقة غير معقولة ولا مقبولة!!

وهل كان الحسن والحسين يقدِّر كل منهما أخاه أكثر من تقديره لأبيه؟! بل يريان: أنه لا بأس بأن يهان أبوهما، وتعصى أوامره، بطريقة لا يرضاها عاقل أو جاهل؟!

وسيأتي أيضاً: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يستحي أن يتكلم، أو أن يخطب في محضر أبيه، فما معنى أن يوجه لأبيه هذه الإهانة هنا؟!

٦ ـ قد تقدم معنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان قد واجه عمر بن الخطاب في محضر أبيه، انتصاراً للإمام الحسين حين جاء يشتكيه إلى أبيه لأنه قال له «عليه السلام»: انزل عن منبر أبي..

وهنا أيضاً قد تكرر ذلك منه.

وهذا يدل على أنه لم يكن يوقر أباه وأن هذا دأبه وديدنه.

ونجيب:

بأن ذلك الموقف من الإمام الحسن لا غبار عليه، فقد كان انتصاراً للمظلوم، ولا يحتاج في ذلك إلى الاستئذان من أبيه..

بل لعله لو طلب من أبيه أن يأذن له لاعتبروا ذلك شاهداً على أن ثمة

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٩ والعوالم ج١٦ ص١٠٠.

تفاهماً بين الأب وابنيه على هذه التصرفات والمواقف.. وهذا ما لا ينبغي فسح المجال لتوهمه.

٧ ـ أما قوله «عليه السلام» لولديه: زوجا عمكما.. فلا نجد ضرورة له في هذا المورد، فإن وصفه بالعمومة لهما لا يتلاءم مع إرادته إحراقهما يوم السقيفة، ولا مع مواقفه الأخرى معهما، وقد ذكرنا بعضها فيما سبق..

اجعلي أمرك بيده:

ورووا: أنه لما تأيمت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب «عليه السلام» من عمر بن الخطاب دخل عليها الحسن والحسين أخواها، فقالا لها: إنك من عرفت، سيدة نساء العالمين، وبنت سيدتهن، وإنك والله لئن أمكنت علياً من رقبتك (رمّتك) لينكحنك بعض أيتامه، ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتصيبِنَّه.

فوالله ما قاما حتى طلع علي يتكئ على عصاه..

فجلس، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر منزلتهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة، وآثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقرابتكم منه.

فقالوا: صدقت رحمك الله، فجزاك الله عنا خيراً.

فقال: أي بنية، إن الله قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدي.

فقالت: أي أبه، والله إني لامرأة أرغب فيما ترغب فيه النساء، فأنا أحب أن أصيب ما يصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي.

فقال: لا والله يا بنية، ما هذا من رأيك، ما هو إلا رأي هذين.

ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلاً منهم، أو تفعلين.

فأخذا بثيابه، فقالا: اجلس يا أبه، فوالله، ما على هجرانك من صبر، اجعلي أمرك بيده.

فقالت: قد فعلت..

فقال: فإني قد زوجتك من عون بن جعفر.

وإنه لغلام.. ثم رجع إليها فبعث إليها بأربعة آلاف درهم، وبعث إلى ابن أخيه، فأدخلها عليه(١).

قال ابن إسحاق: فما نشب عون أن هلك، فرجع إليها علي، فقال: يا بنية، اجعلي أمرك بيدي..

ففعلت، فزوجها محمد بن جعفر(٢).

ثم يذكر في ذخائر العقبى: أنه زوجها بعبد الله بن جعفر أيضاً(٣).

ونقول:

ذكرنا هذا النص في كتاب: ميزان الحق، وفي كتاب: ظلامة أم كلثوم،

---

(١) راجع: الذرية الطاهرة للدولابي ص١٦٢ و ١٦٣ وأسد الغابة ج٥ ص٦١٥ والدر المنثور في طبقات الخدور ص٦٢ والإصابة ج٤ ص٤٩٢. وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٠١ و ٥٠٢ وذخائر العقبى ص١٧٠ و ١٧١ وسيرة ابن إسحاق ص٢٥٠ وراجع: فاطمة الزهراء للعقاد ص٢٤.

(٢) السيرة النبوية لابن إسحاق ص٢٥٠ و (تحقيق محمد حميد الله) ص٢٣٤ وذخائر العقبى ص١٧١ والذرية الطاهرة ص١٦٣.

(٣) راجع: ذخائر العقبى ص١٧١ والذرية الطاهرة ص١٦٣.

فمن أراد التوسع في البحث فيمكنه الرجوع إلى ذينك الكتابين، وما يعنينا هنا: هو ما يرتبط بالحسن والحسين «عليهما السلام»، فنقتصر على ما يلي:

١ ـ بما أن هذه الرواية لا حظَّ لها من الصحة، للأسباب التي سنشير إليها، إن شاء الله.. فقد آثرنا أن نذكرها هنا، ونشير إلى وجوه بطلانها.. ولولا ذلك، لكان ينبغي أن نذكرها في أوائل عهد عثمان.

٢ ـ تصف الرواية أم كلثوم: بأنها سيدة نساء العالمين، مع أن أختها زينب أفضل، وأعلم منها، ومن سائر النساء بعد أمها فاطمة «عليها السلام». مع أننا لم نرهم قالوا عنه: إنها سيدة نساء العالمين..

٣ ـ ما المبرر لهذه الخشونة في التعابير عن علي «عليه السلام»، والقسوة في الحديث عنه، فإن هذا الأسلوب لا يشبه أهل البيت في أدبهم، والتزامهم طهر الكلمة، ورقة التعبير، وسلامته من أية شائبة، أو عائبة.

فالمطهر تطهيراً لا يذكر أباه بأسلوب كهذا، ولا يحرِّض أخته على أبيها بهذه الطريقة، فيقول: «لئن أمكنت أباك من رمتك (أو رقبتك) لينكحنَّك بعض أيتامه».

٤ ـ كما أن سيدة نساء العالمين لا تخاطب أباها بهذه الطريقة الفاضحة التي تعبِّر عن تهالكها في حب الدنيا، ولا ترد لأبيها طلباً.

٥ ـ إن ما قاله الحسنان «عليهما السلام» لأختهما يتضمن معصية لله واضحة، وفاضحة لهما، لأنهما يأمرانها بما فيه عقوق للوالد، والمعصية للإمام، والتمرد على من هو نفس رسول الله، ومن هو مثله في كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.. وهل هذا التحريض على الأب الولي، والإمام من مفردات البرّ

به، والإكرام والطاعة له؟!

أليس هذا الذي يوصي به الحسنان «عليهما السلام» أختهما من مفردات الأمر بالمنكر؟! ولماذا يذكران أباهما كما يذكران أي رجل غريب، فيقولان: «لئن أمكنت علياً من رقبتك» عوضاً عن قولهما: أبانا، وأباك؟!

٦ ـ هل كانت أم كلثوم هي التي أمكنت علياً «عليه السلام» من رقبتها؟! أم أن الله تعالى هو الذي أمكنه منها بما فرضه للوالد على أولاده من أحكام، وبما ألزمه به من معاملة للأولاد، حيث ألزمه برعاية شؤونهم، وأمره: بأن يفقههم في الدين، ويعلمهم القرآن، ويحسِّن أسماءهم مثل حق طاعته، ولزوم وحرمة عقوقه.. فضلاً عما تقتضيه إمامته، وكونه أولى بالناس من أنفسهم، وقد قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنت ولي كل مؤمن من بعدي[١] ولم

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص٧٤٨ ـ ٧٧٦ و (تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني ـ ط١ سنة ١٤٢٢هـ ق. ١٣٨٠ هـ ش) ص١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠٢ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٤١ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٥ و ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣١٢ و ٣٢٢ و ٣٤٣ و ٣٨٠ و ٤٢٣ و ٤٢٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٤٤٩ و ٤٩٠ وشرح الأخبار ج١ ص٩٣ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٣٠٠ و ٤٦٤ وج٢ ص٢٥٥ والغيبة للنعماني ص٧٥ و ٧٨ و ٨٥ والمسترشد ص٦٢٤ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٤٠ وج٢٢ ص١٤٨ و ١٤٩ وج٢٣ ص٣٢٠ وج٢٨ ص١٢٧ وج٣٠ ص٥٨٨ وج٣١ ص٤٢٩ و ٤٣٠ و ٦٥٤ ـ ٦٥٥ وج٣٣ ص١٤١ ـ ١٥٩ و ١٧٥ و ١٨٣ و ١٨٤ وج٣٦ ص٢٥٤ و ٢٧٨ وج٣٧ ص٨٦ و ٨٧ وج٣٨ ص١١١ و ١٢١ و ١٤٩ ـ ١٥٠ و ٢٤٢ و ٢٩٦ ـ ٢٩٧ و ٣١٤ و ٣٢٥ و ٣٣٣ وج٤٠ ص٥١ و ٧٦ و ٨٣ وج٦٩ ص١٥٢ وينابيع المودة ج١ ص٣٤١ ـ ٣٤٩

وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص١٥٨ و ١٥٩ وتنبيه الغافلين ص٦٧ وكشف الغمة ج١ ص٨١ و ١٧٧ و ٢٩٨ ونهج الإيمان ص٢٣٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨١ و ٤٨٢ والعدد القوية ص٢٤٥ وكشف اليقين ص٣٣ و ٢٥٢ والولاية لابن عقدة ص١٩٨ ـ ٢٠٢ وغاية المرام ج٢ ص١٠٦ و ١٠٨ ـ ١٠٩ و ٢٤٤ ـ ٢٤٦ و ٣٥٥ ـ ٣٥٦ و ٣٥٨ وج٣ ص١٠٧ و ١٠٨ و ٣٣٥ ـ ٣٣٧ وج٥ ص٣٠ وج٦ ص٢٦٦ وراجع: روضة المتقين ج١١ ص١٩٩ والأمالي للطوسي ص٥٦٢ والأمالي للصدوق ص٥٠ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢٥٣ و ٢٥٤ وكمال الدين ص٢٦٠ و ٢٧٧ و ٢٧٩ وكفاية الأثر ص٣٢١ والمجازات النبوية ص٢١٨ والمناقب لابن المغازلي ص١٨٦ و ١٩٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص٣٣٢ و ٣٣٣ وج٢ ص٣٣٦ و ٣٣٩ و ٣٤٢ والإحتجاج ج١ ص٢١٤ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٥٩ و ٢٥١ وج٣ ص١٤ والعمدة لابن البطريق ص٨٦ و ١٨٤ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٣٩ والتحصين لابن طاووس ص٥٥٣ و ٦٣٣ و ٦٣٦ والطرائف ص٦٥ والعقد النضيد ص١١٣ والصراط المستقيم ج٢ ص٥٨ وج٣ ص٢٣٣ والمحتضر للحلي ص١٠٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٣ و ٤٨ و ٧٧ و ١٠٩ و ١١٢ و ٢٩٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٠ ـ ٣١ و ٤٣١ و ٤٤٢ وحلية الأبرار ج٢ ص٧٣ و ١١٣ وخصائص الوحي المبين ص١١٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٧٧ وج٢١ ص١٣١ و ١٣٧ وج٢٢ ص١٩٣ و ١٩٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ عن در بحر المناقب (مخطوط) ص٧٨ وعن التبر المذاب (نسخة مكتبة المرعشي) ص٣٥ وعن مرآة المؤمنين ص٣٨ وعن تهذيب خصائص النسائي (ط بيروت) ص٤٦.

وراجع: سنن الترمذي ج٥ ص٦٣٢ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٢٩٦ ومسند أحمد ج١ ص٣٣١ و ٤٣٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٤ وفضائل الصحابة للنسائي ص١٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٠ وعمدة القاري ج١٦ ص٢١٤ وتحفة الأحوذي

يستثن أم كلثوم من هذه الولاية.

فضلاً عما جعله الله تعالى له من حق الولاية على ابنته في أمر زواجها.. فتسمح له بالتدخل فيه لمصلحة ابنته..

إلا إن ادَّعى أحد جزافاً: أن هذا الحق ثابت لجميع الآباء، باستثناء علي

ج١٠ ص١٤٦ و ١٤٧ ومسند أبي داود ص١١١ و ٣٦٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٠٤ والآحاد والمثاني ج٤ ص٢٧٩ والسنة لابن أبي عاصم ص٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٨٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٥ و ١١٣ و ١٣٢ و ١٣٣ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٦٤ و ٨٧ و ٩٧ و ٩٨ ومسند أبي يعلى ج١ ص٢٩٣ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٤ والمعجم الكبير ج١٢ ص٧٨ و ج١٨ ص١٢٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٩١ والرياض النضرة ج١ ص٢٢٣ وج٣ ص١٢٩ و ١٧٥ ونظم درر السمطين ص٧٩ و ٩٨ وموارد الظمآن ج٧ ص١٣٤ وكنز العمال ج١١ ص٦٠٣ و ٦٣٦ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٥٩٩ و ٦٠٨ وج١٣ ص١٤٢ وفيض القدير ج٤ ص٤٧١ والكامل لابن عدي ج٢ ص١٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٠ و ١٠٢ و ١٩٨ و ١٩٩ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص١٩٩ وأسد الغابة ج٤ ص٢٧ وميزان الإعتدال ج١ ص٤١٠ والإصابة ج٤ ص٤٦٧ و ٤٦٨ والمناقب للخوارزمي ص١٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٩٦ ومطالب السؤول ص١٠٢ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣١ وج١١ ص٧١ والوافي بالوفيات ج٢١ ص١٧٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨١ ومعارج الوصول ص٣٣ وجواهر المطالب ج١ ص٢١٢ وينابيع المودة ج١ ص٤٢ و ١٧١ و ١٧٢ و ٣٤٧ وج٢ ص٨٦ و ١٥٩ و ٤٩٠ وج٣ ص٣٦٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩ ص١٧١ وفلك النجاة ص١٩٨ و ١٩٩.

«عليه السلام».

٧ ـ ما معنى قولهما لأختهما: «والله لئن أمكنت علياً من رقبتك (رمتك) لينكحنَّك بعض أيتامه»؟!

فهل كانا يريان: أن زواج أختهما بيتيم منقصة لها؟!

وهل نسيا وأختهما معهما الحث في الآيات، وفي كلمات الرسول «صلى الله عليه وآله» على رعاية الأيتام، وقضاء حاجاتهم، وتدبير شؤنهم، فكيف إذا كان الأيتام من الأرحام، ثم كانوا أبناء شهداء في سبيل الله؟!

ولماذا لا يهتم الحسنان وأختهما بثواب الله، ونيل رضوانه؟!

وما المانع من تزويج اليتيم إذا كان كفؤاً، مرضياً دينه وخلقه؟!

وإذا كان ذلك اليتيم قد بلغ مبلغ الرجال، فقد زال يتمه بالبلوغ..

٨ ـ إن نسبة هذا القول للحسن والحسين «عليهما السلام»، لا تتوافق مع ما حكاه الله تعالى عنهما في سورة «هل أتى» من إيثارهما اليتيم والمسكين، والأسير بطعامهما على مدى ثلاثة أيام متوالية، وبقيا بلا طعام يصومان النهار، ويقضيان الليل على شرب الماء، فأنزل الله تعالى فيهما وفي أمهما وأبيهما سورة «هل أتى».

إلا إن كان هدف الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها، هو تكذيب النص القرآني، أو التشكيك في أن يكون الحسنان «عليهما السلام» من المعنيين به.

٩ـ ما معنى أن يقولا لأختهما: «ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتصيبنَّه»؟! هل المراد أنها تصيب هذا المال العظيم من خلال المهر الكثير

الذي تأخذه؟! بقرينة قولها: «بنفسك»، ثم قولها هي لأبيها: «أحب أن أصيب ما يصيب النساء من الدنيا»..

أليست كثرة المهر مما أمر الشارع بالتجافي عنه، وصرح: «بأن قلة المهر من أسباب السعادة»؟!

ولماذا يفتحان شهية أختهما للحصول على المال العظيم؟!

وما حاجة المرأة إلى المال العظيم، ما دام زوجها هو الذي ينفق عليها، وبعد ذلك أبوها، أو أولادها؟!

ولماذا لا يرغبانها بالستر، والتعاون مع الزوج، والزهد والقناعة؟!

ألم يذم الله من يحب المال حباً جماً، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله؟!

وهل تحتاج الدنيا إلى ترغيب الناس بها؟!

أليس الناس يرغبون بها بصورة طبيعية؟! وإنما يحتاجون إلى كبح جماحهم، وصدهم عن الإنغماس، والإستغراق فيها.

١٠ ـ لقد ذكر «عليه السلام» لولديه حبه لهما، وأنه قدمهما «عليهما السلام» على سائر أولاده، وقد صدقوه في ذلك.

فلماذا إذن يتآمران عليه، ويحرضان ابنته على رفض طلبه؟!

١١ ـ ويأتي بعد ذلك كله: أن علياً «عليه السلام» عليه أن يخبر ابنته: بأن الله تعالى قد جعل أمرها بيدها، ويجب أن تجعله بيده.. فلماذا «عليه السلام» يريد تحويل أمرها إليه، هل لأنه لا يثق بصحة خيارها؟! لقصور فكرها عن ذلك، فإن كان هذا هو السبب، فإن الأمر ينتقل إليه بصورة تلقائية، ولا حاجة

إلى أن تجعله هي له.

كما أنه إذا كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فيمكن أن يستفيد من ولايته هذه بصورة تلقائية. فلا حاجة إلى أن تجعل له ما هو مجعول له من قبل الله تعالى.

وإذا كان الأمر لها بصورة حصرية، إلا أن تتنازل عنه بملء اختيارها، فلماذا يغضب «عليه السلام»؟! ولماذا يهدد بمقاطعة أولاده؟! فإنهم حتى لو أغروها بالاحتفاظ بحقها دونه فليس له أن يغضب، وليس له أن يقاطعهم، فإنهم لم يفعلوا ما فيه معصية، ولاسيما مع اعترافه هو: بأن الله قد جعل أمر ابنته بيدها دونه.

١٢ ـ إنه «عليه السلام» بمجرد أن سمع جواب ابنته برفض طلبه، بادر إلى الحلف بالله: بأن ما سمعه منها، إنما أخذته من أخويها..

وبغض النظر عن علم الشاهدية الذي لدى الإمام، فإن من الجائز أن يكون «عليه السلام» كان عارفاً برأي ابنته، ورأي أخويها من الأسباب العادية المتوافرة لديه.. وهذا يجعله يعتقد: بأن ابنته أسلم فكراً، وأقرب إلى السعي لنيل رضا أبيها من أخويها..

وهذا انتقاص من مقام الحسن والحسين «عليهما السلام».

إذ كيف يمكن أن أن نتصور هذا في حقهما، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وهما مطهران، وإمامان معصومان، يفترض أن يكونا على صواب في كل فعل وقول؟! أليست أختهما أولى منهما بالتطهير والعصمة، إذا صح الزعم بأنها أسلم فكراً، وأشد رغبة بنيل رضا أبيها من الحسن والحسين «عليهما السلام»؟! فلماذا طهرهما الله من الرجس دونها؟!

١٣ ـ كيف يقسم علي «عليه السلام» على هجران ولديه، بعد إقراره بأن أمر ابنته بيدها، وهما لم يزيدا على إظهار الرغبة: بأن تحتفظ بحقها هذا، فهجرانه «عليه السلام» لهما يكون من قطيعة الرحم المحرمة، فكيف يقدم المعصوم المطهر على فعل الحرام، ويقسم بالله تعالى على ذلك؟!

١٤ ـ ذكرت الرواية: أنه «عليه السلام» زوَّجها من عون بن جعفر، فلما هلك، زوَّجها من محمد بن جعفر.. وهذا لا يصح، فقد صرحت الرواية: بأن هذه القصة قد حصلت في عهد عثمان، بعد موت عمر بن الخطاب سنة ٢٣ للهجرة، وحتى كثير من المؤرخين يقولون: إن عون بن جعفر، ومحمد بن جعفر قد استشهدا سنة ١٧ للهجرة، وهي سنة زواج أم كلثوم بعمر بن الخطاب.

ولو أخذنا بالرواية القائلة: إن عوناً وأخاه محمداً استشهدا في كربلاء، فيرد على هذه الرواية:

أولاً: كيف يكون محمد الشهيد في كربلاء قد تزوجها بعد استشهاد أخيه عون، مع أنهما استشهدا في يوم واحد؟! وأين هي عدة الوفاة؟! وكيف يكون المزوِّج حينئذٍ هو أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي استشهد قبل كربلاء بعشرين سنة؟!

ثانياً: إن صح قول الرواية المتقدمة: إن علياً «عليه السلام» زوجها من عون، بعد موت عمر، ثم استشهد عون في كربلاء، فيرد عليه: أن عوناً كان في أوائل خلافة عثمان، بل قبل ذلك أيضاً رجلاً كاملاً، ولم يكن غلاماً، لأن كلمة غلام تطلق على الصبي الصغير، وعلى الشيخ الكبير، ولم يكن عون غلاماً بكلا المعنيين.

ملحق: الصلاة على أم كلثوم..

الصلاة على أم كلثوم:

زعموا: أن أم كلثوم توفيت سنة أربع وخمسين للهجرة(١).

وأن عبد الله بن عمر هو الذي صلَّى عليها، قدَّمه الإمام الحسن «عليه السلام»..

وعند ابن عساكر: أن الذي قدمه هو الإمام الحسين «عليه السلام»(٢).

وقيل: صلى عليها سعيد بن العاص والي المدينة من قِبَل معاوية، وصلى

---

(١) مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء (تأليف ياسين خير الله الموصلي، المتوفى سنة ١٢١٣هـ) ص١٩٨ وأعيان الشيعة ج١٣ ص١٢.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤٩٢ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٦٤ و ٤٦٥ وإفحام الأعداء والخصوم ج١ ص١٦٥ والذرية الطاهرة ص١٦٤ والدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٦٢ ونور الأبصار (ط سنة ١٣٨٤هـ) ص١٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٩٢ و ٤٩٣ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٦٢ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص ٣٠ وأخبار الزينبات ص١٢٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٨ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٢٨ وأنساب الأشراف ج١ ص٤٠٢.

خلفه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأبو هريرة(١).

ونقول:

إن ذلك كله موضع ريب، وذلك لما يلي:

أولاً: قالوا: إن أم كلثوم كانت في كربلاء، سنة ستين (أو إحدى وستين) وتذكر بعض النصوص أن الحسين «عليه السلام» خاطبها مع نساءٍ أخريات حضرن كربلاء أيضاً(٢).

وقد سبيت، وخطبت الناس بالكوفة(٣)..

فكيف تكون قد ماتت سنة أربع وخمسين، وصلى عليها والي المدينة سعيد بن العاص؟!

ثانياً: إذا كانت قد ماتت سنة أربع وخمسين، أو بعد واقعة كربلاء، فكيف يكون الإمام الحسن «عليه السلام» قد شارك في الصلاة عليها خلف سعيد

---

(١) ذخائر العقبى ص١٧١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٦٥ وسنن النسائي ج٤ ص٧١ والذرية الطاهرة ص١٦٤ و ١٦٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٣٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٨ و ١٩٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٩٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (ط مصر) ج٤ ص١٣٨ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص٣١٠ والعلل لابن حنبل ج١ ص١٤١ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٣٦٧ ونيل الأوطار ج٤ ص١١٠ و ١١١.

(٢) العوالم ص٢٥٢ و ٩٤٦ وراجع: الدمعة الساكبة ج٤ ص٣٥١ ومعالي السبطين ج٢ ص٢٢ وذريعة النجاة ص١٣٩ وينابيع المودة ج٣ ص٧٩ واللمعة البيضاء للتبريزي ص٣٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٣٣.

(٣) الملهوف ص٦٣ ومثير الأحزان لابن نما ص٦٦.

بن العاص؟! فإن الإمام الحسن «عليه السلام» قد استشهد بسم معاوية إما سنة ٤٩ أو ٤٨ أو سنة خمسين أو سنة إحدى وخمسين.

ثالثاً: إذا كانت قد حضرت واقعة كربلاء وسبيت، فكيف شارك الحسين «عليه السلام» أيضاً في الصلاة عليها؟!

رابعاً: ما هذا الاختلاف في اسم من صلى عليها؟! هل هو سعيد بن العاص، أو عبد الله بن عمر، أو مروان بن الحكم؟!

وبعدما تقدم نقول:

١ ـ نظن: أن المطلوب هو: منح مروان وسعيد، وعبد الله بن عمر، ومعاوية أيضاً وجاهة، وموقعاً من شأنه أن يخفف من قبح ما ارتكبوه في حق علي وأهل بيته «عليهم السلام»، ويظهر أن الأمور عادت إلى مجاريها، وأن الشيعة يبالغون في انتقاداتهم لمناوئي أهل البيت «عليهم السلام».

٢ ـ إن الوالي إذا حضر تشييع جنازة، فإن عدم صلاته عليها يعدُّ موقفاً عدائياً منه، في حين أنه هو يصرّ ويحرص على فرض هيبته وسلطته في هذا الشأن على الناس، وخصوصاً من له مشكلة معه..

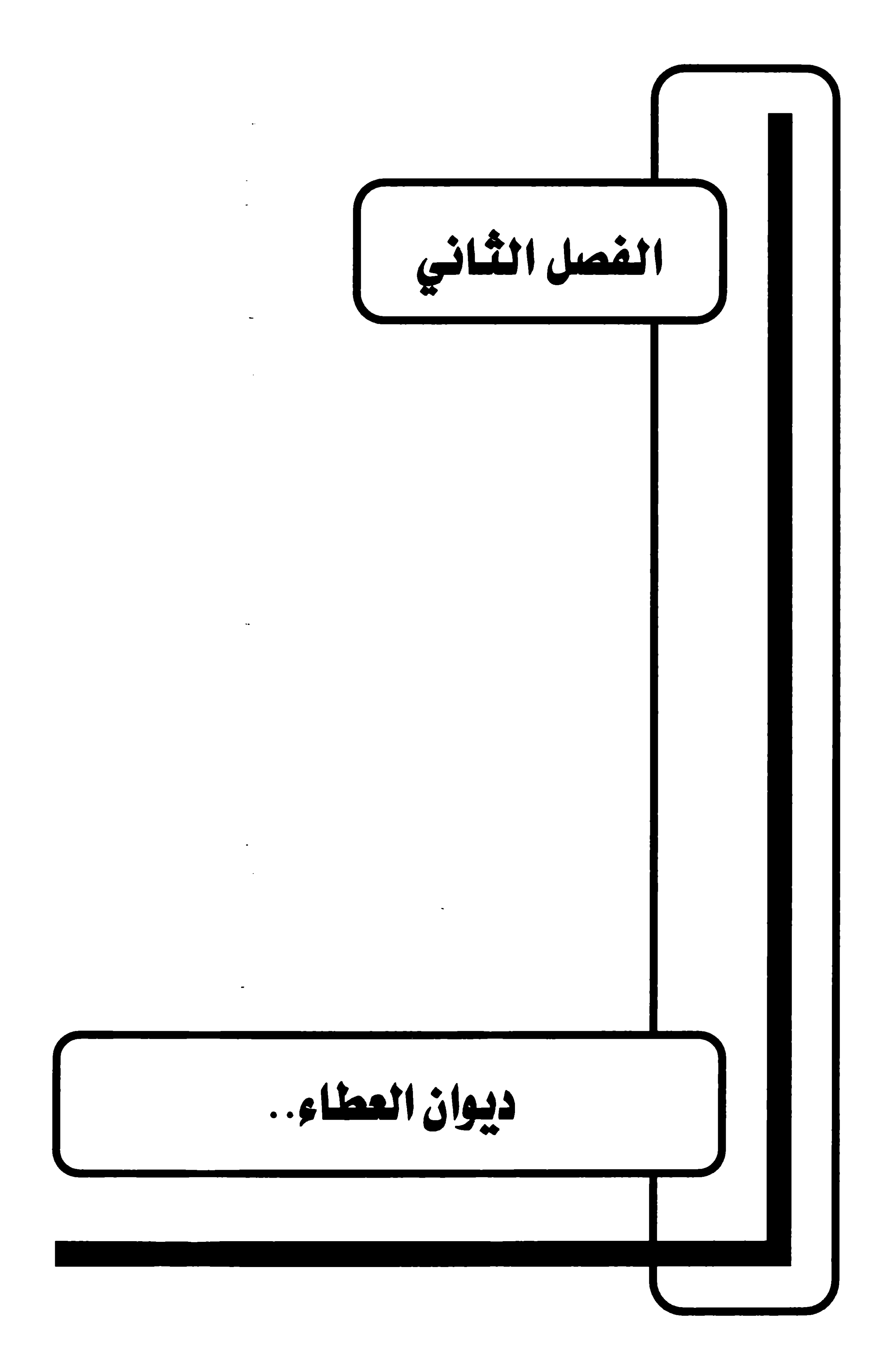
وقد كشف ما نسبوه إلى الإمام الحسين «عليه السلام» هذه الحقيقة، حيث ذكروا أنه قال في هذا المورد عن مروان: «لولا السنة ما تركته يصلي عليها»، فإن المقصود بالسنة هنا: هو ما سنَّه الأمراء لأنفسهم، وحملوا الناس عليه.. إذ ليس في سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن الحاكم والأمير هو الذي يصلي على الجنائز.. ولاسيما إذا كان من الظالمين والجبارين.

٣ ـ إن حضور الحسن أو الحسين، أو غيرهما من الأئمة الطاهرين «عليهم

السلام» في جملة المصلين على الجنازة خلف شخص، لا تعني ائتمامهما بذلك الشخص، لأن الإئتمام يحتاج إلى نية، ولا دليل على حصولها منهما.. فلعلهما يصليان على الجنازة بالأصالة والإستقلال، من دون ائتمام بأحد.

بل لعلهما حين يكونان معاً في الصلاة على إحدى الجنائز.. يأتم أحدهما بأخيه، لا بالمتغلب القاهر بسلطانه.

٤ ـ إن صلاة غيرهما على الجنازة قد لا تعني الإكتفاء بتلك الصلاة، إذ ربما صلى على الجنازة أهلها قبل إخراجها، ثم يأتي ذلك المتغلب فيصلي عليها مع من يريد المشاركة، ولا ضير في ذلك..



الفصل الثاني

ديوان العطاء..

بداية:

كان النبي «صلى الله عليه وآله» يساوي في العطاء بين الناس، وعلى ذلك جرى أبو بكر في أيام خلافته، فلما تولى عمر بن الخطاب أراد في السنة الخامسة عشرة[1] أن ينشئ ديوان العطاء، فميَّز بين الناس، وجعلهم طبقات، وميَّز المهاجرين على الأنصار، وميَّز عائشة على سائر نساء النبي، «صلى الله عليه وآله»، وفضل القرشيات على غيرهنَّ، وأعطى: جويرية، وصفية، وميمونة أقل من سائر نسائه «صلى الله عليه وآله» لأنهن قد جرى السبي عليهن[2].. وميز العرب على غيرهم، وأهل بدر على غيرهم أيضاً.

فلما تولى أمير المؤمنين «عليه السلام» أرجع الناس إلى ما كانوا عليه في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فغضب مناوئوه، فكانت حرب الجمل..

البدء بعلي أو الحسنين عليهم السلام:

وبعدما تقدم نقول:

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٥٠٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٣ ص١٠٨ ونهاية الأرب ج١٩ ص٣٣٤.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٠٠ و ٣٠٤ و ٣٠٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٣٣٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٥٠٣.

قال اليعقوبي: دوَّن عمر الدواوين، وفرض العطاء.. فكان أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف، والحسن بن علي في ثلاثة آلاف، والحسين بن علي في ثلاثة آلاف(١).

لكن هناك من قال: إنه ألحق الحسنين «عليهما السلام» بأبيهما، وجعل عطاءهما مثل عطائه: خمسة آلاف، خمسة آلاف(٢).

قال شهر بن حوشب: لما دون عمر الدواوين، بدأ بالحسن والحسين، فدعا الحسن فأعطاه عطاءه، وأقعده على حجره، أو قال: [على] فخذه، وقبل بين عينيه، وحثا في حجره حتى ملأه.

ثم دعا الحسين، فأعطاه عطاءه، وأقعده على حجره أو فخذه، وقبل ما

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٥٣.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبعة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٣٩٢ و ٢٩٦ و ٣٩٣ و (ط الأعلمي) ج٣ ص٢٩٦ و ٢٩٧ وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٦١ وترجمة الإمام الحسين من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٣٠ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٥ و ٢٣٢ عن الداراوردي، وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٣٨ وج١٤ ص١٧٦ وذخائر العقبى ج٢ ص وكنز العمال ج١٣ ص٦٥٨ وج٣ ص٥٩٤ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٥٩٤ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٩ و ٢٨٥ والبداية والنهاية ج٨ ص٣٦ والسنن الكبرى ج٦ ص٥٦٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٦١٥ ومسند البزار ج١ ص٤٠٩ والخراج لأبي يوسف ص٤٣ وفتوح البلدان ج٣ ص٥٥٠ و ٥٥٦ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٣٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٠٥ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١٢٧ والأموال لأبي عبيد ص٣٢٠.

بين عينيه، وحثا في حجره حتى ملأه.

فقال عبد الله بن عمر: قدمتهما عليَّ، ولي صحبة، وليس لهما صحبة، ولي هجرة وليس لهما هجرة؟!

فقال: أسكت لا أم لك! أبوهما خير من أبيك، وأمهما خير من أمك(١).

ونقول:

تستوقفنا في هذه النصوص أمور عديدة، نذكرها كما يلي:

ثلاثة آلاف أو خمسة؟!:

قد يقال: إن اختلاف الروايات في مقدار ما خصص للحسن والحسين «عليهما السلام»، هل هو خمسة آلاف أو ثلاثة؟! قد لا يكون ذا أهمية، فلعله أعطاهما في البداية ثلاثة، ثم زادهما إلى خمسة، ليظهر بذلك شدة احترامه لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. فقد كان بحاجة ماسة إلى هذا الإظهار، ولاسيما بعد قوله عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن الرجل ليهجر، أو نحو ذلك.

بالإضافة إلى ما ارتكبوه بحق ابنة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخيه، وسبطيه الحسن والحسين بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».. بالإضافة إلى استلاب فدك منها، ومن أولادها «صلوات الله وسلامه عليها وعليهم».

عمر الحسنين عليهما السلام:

١ ـ تقدم: بأن عمر قد دوَّن الدواوين في السنة الخامسة عشرة، وهذا يدل

---

(١) المسترشد للطبري ص٢٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٧١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٦٩ والصراط المستقيم ج٢ ص٧٠ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٩.

على أن عمر الحسن والحسين «عليهما السلام» كان إحدى عشر، واثنتي عشرة سنة، كما أن رواية المسترشد، وابن شهرآشوب، وغيرهما تصرح: بأن عمر حين أثبت اسم الحسن والحسين «عليهما السلام» في الديوان أقعدهما في حجره، (أو على فخذه)، وقبَّل ما بين عينيهما وهذا يشير إلى صغر سنهما..

كما أن عبد الله بن عمر حين اعترض على أبيه في قسمه، قال له: «قد علمت سبقتي في الإسلام وهجرتي، وأنت تقدم عليَّ هذين الغلامين[١]. فوصف ابن عمر للحسنين «عليهما السلام» بالغلامين يدل على ذلك أيضاً..

٢ ـ يضاف إلى ذلك قول المعتزلي مدافعاً عن عمر: وقد فضَّل الحسن والحسين على كثير من المهاجرين، وهما صبيان، ما جاهدا، ولا بلغا الحلم بعد[٢].

٣ ـ وقد وصفهما عمر بالغلامين أيضاً: حينما جيئ من اليمن بحلل، فقسمها، ولم ينل الحسنان «عليهما السلام» شيئاً منها، فرأى عمر الإمام الحسن خارجاً من بيته الذي في المسجد، فقطب عمر، فسئل عن سبب ذلك، فقال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس، وليس عليهم منها شيء، كبرت عنهما، وصغرا عنها[٣].

---

(١) تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٤ والإمام الحسين للعلايلي هامش ص٣٠٩ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٢٩ عن حقائق عن آل البيت والصحابة، للشيخ يونس إبراهيم السامرائي (ط المكتبة العصرية صيدا) ص٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط الأعلمي سنة ١٤٢٥هـ ق) ج١٢ ص٣٣٢.

(٣) تهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٠٦ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٣٠ وكنز العمال ج١٣ ص٦٥٨ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٦٥٨ و ٦٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٣٠

وهذا يدل على عدم صحة قول البعض: إن تدوين الدواوين كان في سنة عشرين للهجرة[١].

لماذا بدأ بعلي والحسنين عليهم السلام؟!:

قد يظن ظان: أن بدأ عمر في العطاء بعلي، أو بولديه «عليهم السلام» يدل على سلامة علاقة عمر بهم، ولو من جهته هو على الأقل، فضلاً عما في ذلك من تكريم وتعظيم، واحترام.. وقد كان بإمكانه أن يتجاهل هذا الأمر، ويبدأ بمن شاء من الناس.

فلماذا يبالغ الشيعة في التشهير به، ويعتبرونه مناوئاً لعلي «عليه السلام» وأهل البيت، ويتهمون مناوئيهم: بأنهم لا يحبونهم «عليهم السلام»، وأنهم يبغون لهم الغوائل، ويقصدونهم بالسوء؟!

ولماذا لا نقول: إن ما جرى بينهم وبين علي «عليه السلام» في أمر الخلافة لم تكن له خلفيات سيئة، بل هو مجرد اختلاف في الرأي، لا يفسد في الود قضية، مع ملاحظة: أن اختلاف الرأي في أمر له جنبة دينية، قد يتخذ صفة العنف والخروج عن حدّ الإعتدال.. بدافع حفظ ضوابط الشريعة، وصيانة مصالح العباد؟!

ونجيب:

بأن ذلك غير دقيق، بل غير صحيح، وذلك لما يلي:

أولاً: إن ذلك إنما يدل على سلامة العلاقة من جهة عمر، إذا علمنا علم

وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٧٧.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط الأعلمي) ج٣ ص١٩٦ وفتوح البلدان ج٣ ص٥٥٠.

اليقين: بأن أهدافه من التقديم ليست، سوى التكريم والتعظيم.. وهذا ما لا يمكن إثباته، إن لم نقل: إن عكسه هو الثابت..

فالاستدلال بأمر مبهم في غاياته وأهدافه على أمر بهذه الخطورة غير سليم، وبعيد عن الإنصاف، فكيف إذا كانت الشواهد متضافرة على ضد هذا الادِّعاء؟!

ثانياً: إن عمر قد خالف نهج النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر العطاء، القائم على المساواة بين الناس، واتجه إلى سياسة التمييز والتفضيل على أساس قبلي عنصري، مغلف بعناوين وشعارات براقة وخادعة.. مع أن نفس هذه العناوين كالهجرة والجهاد، والقرشية، والعربية والمولوية، كانت حاضرة في زمن النبي أيضاً..

وإنما لجأ إلى سياسة التمييز هذه لأنه كان يتوخى منها: استقطاب عناصر النفوذ والقوة، وإذكاء العصبيات العشائرية، وإثارة الشهية للأموال والمناصب، والنفوذ، والحصول على الإقطاعات والولايات، وما إلى ذلك.. لكي يسهم ذلك كله في حماية السلطة، وتمكينها من الإستمرار والبقاء، ومصادرة كل قوة لأصحاب الحق، وبث اليأس في نفوسهم، وحمل الناس على قطع علائقهم بهم، وتغيير مساراتهم لصالح الغاصبين والمتسلطين..

ولعله كان يخشى من إنتفاضة علي «عليه السلام» ضد هذه السياسة، وتذهب مقاصد عمر منها أدراج الرياح، وإذا أصر عمر على المضي فيها، فربما تترك معارضة علي أثرها في النفوس.

ولكن علياً «عليه السلام» كان يعلم أن عمر لن يتراجع عن نهجه هذا، وسيجد من يناصره فيه، من المستفيدين وأهل الدنيا.. فكان «عليه السلام» يرى

أن السكوت المؤقت أصلح.. وسيأتي اليوم الذي يعيد فيه الأمور إلى نصابها، ويتذكر الناس نبيهم، ويظهر من هو على هدى النبوة، ولم يغير ولم يبدل. ولكنهم كافأوه على ذلك بحرب شعواء، وفتنة عمياء في حرب الجمل.. وهذه الحرب كانت شاهد صدق على مدى مظلوميته «عليه السلام».

ثالثاً: إن نكث بيعة يوم الغدير، ونسبة النبي إلى الهجر، والمنع من كتابة الكتاب في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله»، ومخالفة نصوص الكتاب وكلمات الرسول في ولاية علي «عليه السلام»، ثم ضرب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكسر جنبها، وإسقاط جنينها، وإضرام النار في بيتها لإحراقها، وإحراق علي والحسنين، وسائر من فيه، وغصب فدك، وغير ذلك.

إن ذلك كله، ليس مجرد اختلاف في الرأي، بل هو ينم عن أنه أمر قد دبِّر بليل، ويدل على أنهم لا يهتمون بمخالفة نصوص أقدس كتاب، وهو القرآن، وأعظم رسول وأفضل الموجودات، وهو النبي وأهل البيت «عليهم أفضل الصلاة والسلام».. هذا فضلاً عما في ذلك من تمرد على الشريعة والدين، وظلم للأمة في حقوقها، وفي مستقبلها، ومصيرها..

رابعاً: لو كان الأمر مجرد اختلاف في الرأي، فلماذا ينكث عمر بيعة قام بها النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير؟!

ولماذا يتهم النبي بالهجر، والجنون؟!

ولماذا إحراق الأنفس، وإسقاط الأجنة؟!

ولماذا؟! ولماذا؟!

ولماذا لا يرجع عمر إلى قول النبي «صلى الله عليه وآله»، له ولغيره عن

أهل بيته «عليهم السلام»: «لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم»(١).

خامساً: هل يكون حفظ ضوابط الشريعة، وصيانة حقوق العباد بإغضاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإغضاب الله، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبره: بأن إغضاب فاطمة في حياته وبعد مماته إغضاب له.. ومن أغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقد أغضب الله تعالى.

---

(١) روضة المتقين ج١١ ص٢٥٠ وج١٣ ص١١٠ وملاذ الأخيار ج٨ ص٤٧٣ والصواعق المحرقة ص١٢٦ وبصائر الدرجات ص٦٩ و ٧٠ و ٧٢ والإمامة والتبصرة ص٤٤ والكافي ج١ ص٢٠٩ و ٢٩٤ والأمالي للصدوق ص٦١٦ وعيون أخبار الرضا ج١ ص١٨٢ و ٢٠٨ وكمال الدين ص٦٦٢ وتحف العقول ص٤٢٦ وكفاية الأثر ص٥٦ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص١٨٩ و (الإسلامية) ج١٨ ص١٣٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص١٤٣ و ٣٣٦ و ٣٤٠ وكتاب سليم بن قيس ص١٧٨ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٤١٥ والغيبة للنعماني ص٥٢ والمسترشد ص٤٠١ و ٤٦٧ والإرشاد ج١ ص١٨٠ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢١٩ و ٢٢١ وج٢ ص٢٢٤ وبحار الأنوار ج١١ ص٨٤ وج٢٢ ص٤٦٥ وج٢٣ ص١٣٠ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٥٣ وج٢٥ ص٢٢١ وج٣٠ ص٦٥ وج٣١ ص٤١٧ و ٤٢٢ وج٣٥ ص٢١١ وج٣٦ ص٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣٨ وج٤٩ ص١٨٠ ومرآة العقول ج٢ ص٤٢٤ وج٣ ص٢٧٩ والمعجم الكبير ج٥ ص١٦٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص١٨٨ وتفسير العياشي ج١ ص٢٥٠ وتفسير القمي ج١ ص٤ والبرهان (تفسير) ج١ ص٢١ و ٧٤ وج٢ ص١٠٦ و ١١١ وج٣ ص٢٢٧ وج٤ ص٤٤٥ و ٥٤٩ وج٥ ص٣٠١ وإرشاد القلوب ج٢ ص٣٠٦ وينابيع المودة ج١ ص٧٤ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢١ و ١٣٣ وج٢ ص٤٣٨ وج٣ ص٣٩٩.

وهل يصح التقرب إلى الله بما يغضبه، ويبعد الفاعل عنه؟!

وهل نسي عمر، أو غاب عن بال سائر من أعانه أو أيده، فيما فعل أنه لا يطاع الله من حيث يعصى؟!

العصبية والعنصرية:

قلنا: إن وضع عمر للدواوين كان على أساس قبلي، عشائري وعرقي.. فقد بدأ بذكر العرب على قدر أنسابهم، فلما انقضت العرب، ذكر العجم[١].

وفضل عائشة على سائر نساء النبي «صلى الله عليه وآله» كما تقدم.

وفضل القريشيات من نساء النبي «صلى الله عليه وآله» على غيرهن[٢]. وفضل العربية على من مسها السبي.

وقد قال ابن شاذان «رحمه الله»: «فلم تزل العصبية ثابتة في الناس منذ ذلك إلى يومنا هذا»[٣].

ابن عمر يعترض على أبيه:

تقدم: أن ابن عمر اعترض على أبيه حين دوَّن الدواوين، لأنه فرض له أقل مما فرض للحسن والحسين «عليهما السلام»، وقال: قدمتهما عليَّ، ولي صحبة، وليس لهما صحبة، ولي هجرة وليس لهما هجرة؟!

فقال: أسكت لا أم لك!

---

(١) راجع: اقتضاء الصراط المستقيم ص١٥٩.

(٢) العثمانية للجاحظ ص٢١١.

(٣) الإيضاح لابن شاذان ص٢٥٢.

أبوهما خير من أبيك، وأمهما خير من أمك(١).

ونقول:

في هذا النص أمور تحتاج إلى بيان، وهي التالية:

تعريف الصحابي عند ابن عمر:

١ ـ تقدم في الفصل السابق، في حديث تزويج أم كلثوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين بلغه أن خالداً سبّ عمّاراً، قال منتصراً لعمار: «لا تسبوا أصحابي».. في إشارة منه «صلى الله عليه وآله» إلى صحبة عمار له دون خالد.

٢ ـ وقلنا: إن ابن عمر أيضاً قد قرر: أنه هناك من لا يطلق عليه أنه صحابي، بالرغم من أنه عاش كل حياته مع النبي، ولو كان ابن النبي «صلى الله عليه وآله» بالذات، وهما الحسنان «عليهما السلام»، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» صرح بإمامتهما، ولهج القرآن بطهارتهما وعصمتهما، والثناء عليهما في العديد من السور والآيات.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» عاملهما كما يعامل أكمل الرجال، وأفضلهم، فبايعاه تحت الشجرة، وأشركهما في المباهلة، وفي أمور أخرى تقدم الإلماح إليها أكثر من مرة.

ومع ذلك كله، تجد ابن عمر ينفي صفة الصحبة عن ابن النبي، الذي هو أقدس الناس بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام» ولعلّه ـ

---

(١) المسترشد للطبري ص٢٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٧١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٦٩ والصراط المستقيم ج٢ ص٧٠ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٩.

أعني ابن عمر ـ نظر إلى أن عمرهما «عليهما السلام» حين مات النبي «صلى الله عليه وآله» كان سبع وثمانيَ سنوات، فلم يبلغا الحلم حين وفاة جدهما «صلى الله عليه وآله».

فإن كان هذا هو السبب، فهو يعني: أن جميع من لم يبلغ الحلم في عهد النبي، ليس بصحابي، مثل ابن عباس وغيره.. ولم نجد أحداً اعترض على كلام ابن عمر هذا، ولم يصححوا له مفهومه عن الصحابة، ولا ناقشوه في تعريفه للصحابي.

٣ ـ ويجب أن يلقي هذا بظلاله على تعريف الصحابي المعتمد عند أهل السنة، فإن أخذوا بالرواية المتقدمة عن خالد وعمار، فعليهم أن لا يطلقوا هذا الوصف إلا على من هم مثل عمار في التقوى، والخلوص، والإخلاص، والإستقامة، والمحبة، والإنسجام والرضا عنه من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وإن أخذوا بقول ابن عمر، فعليهم ألا يذكروا من لم يبلغ الحلم في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عداد الصحابة.

٤ ـ إن الصحبة لا تكفي بمجردها، إن لم يكن معها علمٌ، وتقوى، واستقامة، وفضل، وسؤدد، وفهم، وشجاعة، وسخاء، وبراعة، وعطاء، وما إلى ذلك.

فقد يصاحب الجاهل العالم، والغبي الذكي، والشقي التقي، والصحيح السقيم، ولا يتأثر هؤلاء بأي ممن يصاحبه.

ولا يستطيع ابن عمر أن يقيس نفسه إلى الحسن والحسين في العلم والفهم،

والفضل، والإستقامة، والسداد والرشاد..

وقد شهد القرآن في العديد من الآيات بمزايا الحسنين «عليهما السلام»، وكذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وظهر علمهما، وفهمهما وعظيم فضلهما، وكثير من مزاياهما التي لا تجارى، ولهج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك كله، في كثير من مواقفه وكلماته.. ولم ينزل في ابن عمر شيء، ولا تحدث عنه النبي «صلى الله عليه وآله» بما يكون عشر معشار ما تحدث به عن الإمامين الحسنين «عليهما السلام»، بل قد ردَّه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر وأُحد، واستصغره، وأجازه في الخندق(١).

---

(١) الإصابة ج٢ ص٣٤٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٢٤٧ و (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٥٠ والطبقات الكبرى (ط الأعلمي) ج٤ ص١٤٣ والعلل لابن حنبل ج٢ ص٤٠٥ والتعديل والتجريح للباجي ج٢ ص٨٩٦ والخلاف للطوسي ج٣ ص٢٨٣ والمؤتلف من المختلف بين أئمة السلف للطبرسي ج١ ص٥٦٩ وجامع الخلاف والوفاق ص٦٣ و ٣٠٨ والمجموع للنووي ج١٧ ص٣٦٣ و ٤٤١ وفتح الباري ج٧ ص٢٢٦ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٤٧٥ و ٤٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣١ ص٨٧ و ٩٤ و ٩٥ وج٦١ ص٤٢٢ و ٤٢٣ وغريب الحديث لابن سلام ج٣ ص٢٩٠ والمبسوط للطوسي ج٢ ص٥ وغنية النزوع ص٢٥١ وتذكرة الفقهاء (ط. ج) ج٩ ص٢٧١ و (ط. ق) ج١ ص٤٣٧ و ٤٣٨ وكتاب الأم للشافعي ج٤ ص١٦٤ و ١٧١ وج٦ ص١٤٣ و ١٥٩ وج٧ ص٣٦٢ ومختصر المزني ص١٥٢ وفتح الوهاب ج١ ص٣٥٠ ومغني المحتاج ج٢ ص١٦٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج٤ ص٥١٣ وإعانة الطالبين ج٣ ص٨٣ والمبسوط للسرخسي ج٦ ص٥٤ وج١٠ ص١٧ والمغني لابن قدامة ج٤ ص٥١٤ وكشاف القناع ج٣ ص٥١٧ ونيل الأوطار

وأما العلم، والتفقه في الدين فحسب ابن عمر أنه كما قال أبوه: لم يحسن أن يطلق زوجته[1].

ج٥ ص٣٧٠ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٧٥ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٣ ص١٥٨ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص٣٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٥٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٨٣ وج٦ ص٥٥ و ٣٥٢ وج٩ ص٢١ وعمدة القاري ج١٣ ص٢٤٠ وج١٤ ص٥٨ وعون المعبود ج٨ ص١٢٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٧٣٤ وج٨ ص٤٢ و ٣٨٩ و ٤٨٩ و ٥٠١ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٠٥ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢١٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٩ و ٣٠ والحد الفاصل للرامهرمزي ص١٨٩ وسنن الدارقطني ج٤ ص٦٤ ومعرفة السنن والآثار ج٥ ص١٦٣ وج٦ ص٤٠٢ و ٤٩٨ وكشف المشكل لابن الجوزي ج٢ ص٥٢٥ و ٥٢٦ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ج٢ ص١١٢ ونصب الراية ج٤ ص٢٨٤ والإحكام لابن حزم ج٥ ص٦٨٨ وتهذيب الكمال ج١٥ ص٣٣٩ و ٣٤٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٣١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٩٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٧ و ١٠٧ ودلائل النبوة ج٣ ص٣٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٩ و ١٨١ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص١٠٦.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٢٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٣ ص٢٩٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٨٣ و ٣٨٤ وج٣١ ص٧٧ و ٧٨ و ٣٥٤ و ٣٥٦ و ٣٨٥ و ٣٩٤ وج٤٩ ص٢٧٩ والإحتجاج ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار النعمان) ج٢ ص١٥٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص٦٥ ونيل الأوطار ج٦ ص١٦٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٣٣٠ و ٣٣٤ والغدير ج٥ ص٣٦٠ وج١٠ ص٣٩ وفتح الباري ج٧ ص٥٤ وكنز العمال ج٢ ص٦٨١ والشافي في الإمامة ج٣ ص١٩٧ وتقريب المعارف ص٣٤٩ وقرب الإسناد

هجرة ابن عمر:

وذكر ابن عمر: أن له هجرة وليس للحسنين هجرة، فلماذا يقدَّمان عليه في العطاء؟!

وهذا الكلام من ابن عمر عجيب..

فأولاً: إن ابن عمر قدم المدينة وعمره عشر سنوات، فإن كان سبب نفي صفة الصحبة لرسول الله عن الحسنين «عليهما السلام»: أن النبي مات ولم يكن الحسنان قد بلغا الحلم.. فلماذا يوصَف بالمهاجر من قدم المدينة وهو بعمر عشر سنوات، أي أنه لم يبلغ الحلم أيضاً، إلا إن كانت باء ابن عمر تجرّ، وباء غيره لا تجرُّ؟!

ثانياً: إن الهجرة الفاضلة هي التي تكون إلى الله ورسوله، فهل كانت هجرة ابن عمر إلى الله ورسوله؟!..

إن هذا يحتاج إلى إثبات.. لاسيما وأنه كان لا يزال صغيراً، وهو يحتاج إلى من يهاجر به، ولا شيء يثبت أنه كان هو الذي أراد الهجرة، وهو الذي اتخذ القرار فيها.. فلعل من هاجر به هو الذي اتخذ هذا القرار بهدف حفظه، أو لأن فرص العيش له في المدينة متوفرة أفضل مما هو في مكة، أو لغير ذلك من أسباب.

ويشهد لذلك: أن الرضيع لا يُعدّ مهاجراً، ولا يُنال ثواب المهاجرين.

ص١٠٠ والإيضاح لابن شاذان ص٢٣٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٩٢٢ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٩٠.

جواب عمر لابنه:

وعن جواب عمر لابنه نقول:

إنه لم يكن جواباً موفقاً، لأنه لم يرَ أن امتياز الحسنين «عليهما السلام» كان لصفاتهما الفضلى.. من العلم، والعقل، والدين، والطهارة، والعصمة، وما إلى ذلك.. ولأجل ثناء الله تعالى عليهما في العديد من الآيات، ولا لأجل شهادات النبي لهما بالإمامة والكرامة وبالفضل، والعقل، والدراية، والحكمة، والعلم، والمقام عند الله..

بل ذكر أن امتيازهما هو بأبيهما، وأمهما، وجدهما.. وهي ميزاتٌ خارجة عن ميزاتهما الذاتية، وكأن عمر يريدُ بتجاهله لميزاتهما الذاتية أن يوحي بأنه يوافق ابنه على ما ادَّعاه لنفسه من امتيازاتٍ له على الحسنين «عليهما السلام».

أي أن المطلوب هو تكريس ما ادَّعاه ابنه لنفسه من فضائل مصطنعة ـ ثبت خلافها ـ لكي يرتفع بها مقامه، ثم هو يتغافل عن الصفات والسمات الذاتية للحسنين «عليهما السلام»، بالرغم من أنها ثابتة لهما بنص من الله ورسوله ولا يشير لشيء منها، لكي يحط من مقامهما قدر الإمكان.. فتقترب مكانة ولده من مقام الحسنين «عليهما السلام» ويتساوى بنظر القاصرين، والغافلين.

نصوصٌ لها نفس السياق:

وهناك نصوص أخرى تدخل في هذا السياق، نذكر منها ما يلي:

١ ـ **قال ابن عباس:** كان ابن الخطاب يحب الحسن والحسين، ويقدمهما على ولده، ولقد قسم يوماً، فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم.

فعاتبه ولده، وقال: قد علمت سبقي في الإسلام، وهجرتي، وأنت تفضل عليَّ هذين الغلامين؟!

فقال: ويحك يا عبد الله، ائتني بجد مثل جدهما، وأب مثل أبيهما، وأم مثل أمهما، وجدة مثل جدتهما، وخال مثل خالهما، وخالات مثل خالاتهما، وعم مثل عمهما، وعمة مثل عمتهما.

جدهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبوهما علي، وأمهما فاطمة، وجدتهما خديجة، وخالهما إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم، وعمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب[1].

٢ ـ ونص آخر عن ابن عباس يقول: لما فتح الله المدائن على أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أيام عمر، أمرهم بالأنطاع فبسطت في المسجد، وأمرهم بالأموال فأفرغت عليها.

ثم اجتمع أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأول من بدر إليه الحسن بن علي، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني حقي مما أفاء الله على المسلمين.

فقال: بالرحب والكرامة. وأمر له بألف درهم، ثم انصرف.

فبدر إليه الحسين بن علي، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني حقي مما أفاء الله على المسلمين.

---

(١) تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٤ والإمام الحسين للعلايلي هامش ص٣٠٩ عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٢٩ عن حقائق عن آل البيت والصحابة، للشيخ يونس إبراهيم السامرائي (ط المكتبة العصرية صيدا) ص٦٣.

فقال: بالرحب والكرامة. وأمر له بألف درهم.

فبدر إليه ابنه عبد الله بن عمر، فقال: الخ..(١).

٣ ـ روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»، أنه قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس، فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون.

فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة، يتخطيان الناس ـ وكان بيت فاطمة في جوف المسجد ـ وليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صارٌّ بين عينيه.

ثم قال: والله ما هنأني ما كسوتكم!

قالوا: لِمَ يا أمير المؤمنين! كسوت رعيتك، وأحسنت.

قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس، وليس عليهما منها شيء. كبرت عنهما، وصغرا عنها.

ثم كتب إلى صاحب اليمن: أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل. فبعث إليه بحلتين، فكساهما(٢).

وذكر الزهري هذه القضية، وقال: فبعث إلى اليمن، فأتي لهما بكسوة،

---

(١) الرياض النضرة ج٢ ص٣٤٠ عن ابن السمان في الموافقة.

(٢) تهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٠٦ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٣٠ وكنز العمال ج١٣ ص٦٥٨ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٦٥٨ و ٦٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٧٧.

فقال: الآن طابت نفسي[١].

وفي شرح نهج البلاغة للمعتزلي:

عن السدي: أن عمر كسا أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلم يرتض في الكسوة ما يستصلحه للحسن والحسين «عليهما السلام»، فبعث إلى اليمن، فأتى لهما بكسوة فاخرة، فلما كساهما قال: الآن طابت نفسي[٢].

الخلفاء وحب الحسنين عليهما السلام:

ذكرت الرواية المتقدمة عن ابن عباس: أن عمر كان يحب الحسن والحسين «عليهما السلام»، ويقدمهما على ولده:

وقيل: إن عثمان ابن عفان أيضاً كان يكرم الحسن والحسين «عليهما السلام» ويحبهما[٣] وقد نجد مفردات أخرى تحاول تكريس هذا المعنى في الأذهان.

غير أننا نقول:

أولاً: لا حاجة إلى التذكير: بأن من يعمد إلى جمع الحطب وجعله على باب بيت، والشروع في إحراق ذلك البيت على ساكنيه، وفيه: الحسن وأخوه، وأمه، وأبوه، وهم خير الخلق، وأقدس الموجودات.. لا لذنب أتوه، سوى

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٧٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٨٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٠١ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٠٦ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٣٠ وشرح نهج البلاغة (ط الأعلمي سنة ١٤٢٥هـ ق) ج١٢ ص٣٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ج١٢ ص٢١٥.

(٣) البداية والنهاية ج٨ ص٣٦ و ١٥٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤١.

أنهم لم يعلنوا رضاهم بنكث بيعة يوم الغدير، ولم يرضوا بغصب أموالهم، ولا بسلب حقوقهم، واغتصاب المقام الذي جعله الله تعالى لهم.

هذا بالإضافة إلى ما تعرضت له أمهم، وهي سيدة نساء العالمين من ضربٍ وإهانة، وكسر ضلع، وإسقاط جنين، وما إلى ذلك.

إن من يفعل ذلك كلّه، لا يمكن عدّه في جملة المحبين، وإذا تبسّم في وجه من فعل بهم تلك الأفاعيل، وإذا سارع إلى إعطائهم هذا الفتات القليل جداً في اللحظة الأولى ثم أعطى الآخرين في اللحظات التالية، فإنه يكون كالصياد الذي كان يعاني من رمد العينين، فاصطاد عصفوراً وصار يذبحه، وعيناه تدمعان، فقال عصفور لرفيقه على الشجرة: ما أرقَّ قلب هذا الصياد، فإنه يبكي على العصفور الذي اصطاده..

فقال له رفيقه: لا تنظر إلى دموع عينيه، ولكن أنظر إلى فعل يديه..

ثانياً: إن الكلام المعسول من عمر، ومراعاة شكليات لا تسمن ولا تغني من جوع، من دون إرجاع الحق إلى أهله، وتحمل المسؤولية الشرعية، والأخلاقية عن كل ما جرى، ومعالجة آثارة، وإعادة الأمور إلى نصابها، كما أرادها الله ورسوله..

إن هذه الشكليات تبقى غير ذات قيمة، حتى لو كان صادقاً فيها، فكيف إذا كانت حلقة من حلقات سياسة ذكية، تهدف إلى تحكيم سلطته، وتأكيد إمساكه بالأمور، واتخاذ صورة الحمل الوديع، بدلاً من صورة لا نحب توصيفها، بل نترك ذلك إلى وجدان القارئ الأريب، والحاذق اللبيب؟!

على أن هذه المصانعة، ربما كانت لأجل سلب قدرة أهل البيت «عليهم

السلام» على التأثير في الناس، فيما لو فكروا في تذكيرهم، أو إضعاف رغبة أهل البيت أنفسهم في المطالبة بهذا الحق.

وكل ذلك يعرفنا، كيف انخدع بعض الناس، حتى ابن عباس بظواهر هذه التصرفات.. فظنوا أنها ثمرة حب حقيقي لدى عمر وعثمان للحسنين «عليهما السلام»..

خالات الحسنين عليهما السلام:

وقد لفت نظرنا أمور في كلام عمر، مثل:

تسميته ثلاث خالات للحسنين «عليهما السلام» ليس لابن عمر مثلهنَّ، وهن: زينب ورقية، وأم كلثوم، وكأنه يريد أن يؤكد على فضيلة رصدوها لعثمان لزواجه من رقية، وأم كلثوم اللتين تُعدان من بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أننا كتبنا أربعة كتب، أثبتنا فيها، استناداً إلى النصوص والقرائن: أن هذا الأمر موضع شك وريب شديد.. إلا إن كان يريد أنهما خالات للحسنين «عليهما السلام» على نحو التنزيل، والادِّعاء، لأنهن تربين في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكن يُعاملن معاملة البنات في كنفه.

ونحن لا نستطيع الجزم: بأن عمر هو الذي قال هذه الفقرة، فلعلها أُقحمت في كلامه، أو أن يداً قد حوّرت الكلام حتى أصبح يعطي هذا المعنى.

إلا إن كان يريد برقية وأم كلثوم: بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله» اللتين ماتتا في سن الطفولة.

٢ ـ إن مما يزيد من ريبنا، ويؤكِّد احتمال التصرف والتحريف هنا: أن عمر قد ذكر من مصاديق سائر العناوين مورداً واحداً. فلم يذكر من أعمام

الحسنين «عليهما السلام» غير جعفر بهذه الفقرة، مع أن عقيلاً كان من أعيان ورجالات بني هاشم، كما أنه قد ذكر إبراهيم من الأخوال، ولم يذكر القاسم والطاهر، وعبد الله، أو واحداً منهم، وتخير من الجدات خديجة، ولم يذكر فاطمة بنت أسد.

الخلل في حديث الحلل!!

تذكر الرواية المتقدمة: أن عمر كان عابساً مقطباً لما رأى الحسنين يخرجان من بيتهما في المسجد (وهو البيت الذي هاجمه عمر، وسعى في إحراقه بمن فيه).

ولعل سبب انزعاج عمر: أنه أدرك أنه سيُعاب عليه أن يكسي القريب والبعيد من حُلل هي ملك للمسلمين، ولا يصيب سادة المسلمين، وسبطي الرسول، وسيدي شباب أهل الجنة منها شيء، مع أن المفترض: أن يكون ابنا رسول الله، هما اللذان يكسوان الآخرين منها، بما فيهم عمر بن الخطاب نفسه.

فخشي من عواقب ذلك، فلجأ إلى الترقيع، ومحاولة درء الآثار السلبية التي توقع حصولها بطريقةٍ لا تعطي للحسنين أي امتياز، ولا تدل على أية خصوصية لهما، فادعى: أن الحلل التي قسمها قد كبُرت عنهما، وصغُرا عنها.. مع أن هذا العذر قد لا يجدي نفعاً، بملاحظة:

١ ـ أنه ليس في الرواية ما يدل على أن الحسنين «عليهما السلام» كانا على علمٍ بهذا الأمر.

٢ ـ ليس في الرواية ما يدل على أن عمر قد حاول أن يجد بين الحُلل ما يناسب حال الحسن والحسين «عليهما السلام»، سوى ما أخبر به عمر نفسه، من أن الحلل كُبرت عنهما، وصغُرا عنها..

وسياق الرواية لا يدل على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا حاضرين في المجلس حين القسمة، بل فيها: أن القسمة كانت جارية، وصار الناس يخرجون من المجلس والحُلل عليهم، وكانوا يسلمون على عمر ويدعون.

وإنما خرج الحسنان «عليهما السلام» من بيتهما في هذه اللحظة.

٣ ـ إن الرجال الذين كساهم عمر من تلك الحُلل لم يكونوا على مقاس واحد، بل فيهم صغير الجثة، وكبيرها.. وفيهم الشاب والشيخ.. وفيهم البدين، وضعيف البنية.. فكيف وجد في الحلل ما يناسب سائر الناس باستثناء الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!.

إلا أنه يُستفاد من رواية السدّي أن المُراد: أنه لم يجد ما يناسب حال الحسن والحسين في الجودة.. ولذا قال: «فبعث إلى اليمن، فأتي لهما بكسوة فاخرة، فلما كساهما قال: الآن طابت نفسي».

خرج الحسنان من بيت فاطمة:

١ ـ يفهم من سياق رواية الإمام الباقر «عليه السلام»: أن بيت الزهراء كان لا يزال في يد أبنائها إلى عهد عمر، لأن الرواية تقول: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» خرجا من بيت أمهما فاطمة.

فيبدو لنا: أن السلطة في عهد أبي بكر فرضت على الزهراء أن تبتعد عن بيتها نهاراً حتى لا يراها زوار قبر أبيها، فيتذكروا، أو تذكرهم بما جرى عليها.. وبعد أن توفيت الزهراء فيه، ودفن أبو بكر في بيت الزهراء أيضاً.. كان أبناء الزهراء يترددون على ذلك البيت، وربما استمر ذلك حتى استولت عائشة على البيت في عهد عمر، أو بعده.

٢ ـ يُلاحظ: أن الإمام الباقر «عليه السلام» ينسب البيت الذي خرج منه الحسنان ـ وكان في جوف المسجد ـ ينسبه إلى أمهما فاطمة لا إلى الحسنين «عليهما السلام»، ولا إلى أبيهما علي «عليه السلام»، ربما ليتذكر الناس ما جرى على الزهراء، أو لغير ذلك من أسباب.

أعطني حقي من الفيء:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة برقم [٢] عن ابن عباس، فيما يرتبط بغنائم فتح المدائن: أن الحسن «عليه السلام» أول من بدر إلى عمر، وقال: «يا أمير المؤمنين، أعطني حقي مما أفاء الله على المسلمين».. فأمر له بألف درهم، ثم انصرف..

فبدر إليه الحسين، وقال له نفس هذه الكلمة، فأمر له بألف درهم..

فبدر إليه ابنه عبد الله الخ..(١).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

١ ـ إن كُلّاً من الحسن والحسين «عليهما السلام» خاطبا عمر بن الخطاب بكلمة: «يا أمير المؤمنين»، مع أن هذا اللقب خاص بأبيهما أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

وقد تحدّثنا عن ذلك في كتابنا: «الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»، ولابن طاووس «رحمه الله» كتاب مستقل حول هذا الموضوع.

---

(١) الرياض النضرة ج٢ ص٣٤٠ عن ابن السمان في الموافقة.

لكن من المعلوم: أنه إذا سمى بعض الحكام أنفسهم بهذا الاسم، وفرضوا على الناس أن يخاطبوهم به.. وكان يخشى الضرر من عدم الإستجابة لهم في ذلك، فإن التقية تقضي بمخاطبتهم به، ويكون الله تعالى هو الذي يحاسب ويطالب من رضي وفرض على الناس هذا الخطاب. وما جرى على علي وأهل بيته من حيف وظلم لأجل هذا الأمر يدل على ضرورة العمل بالتقية في هذا المورد.

٢ ـ إنهما «عليهما السلام» قد بدرا إلى عمر في أول الناس، وطالباه بحقهما.. ومن يبادر إلى هذا الأمر ترصده العيون، وتصغي إليه الأسماع، وتعي القلوب كل كلمة يقولها، ويميزون بينها وبين ما عداها، ويبحثون عن دلالاتها، وإشاراتها ومراميها، وتبقى حيَّةً في نفوسهم، وفي وعيهم إلى أبعد مدى تصل إليه، وتترك أثراً فيه.

٣ ـ إنهما «عليهما السلام» طلبا من عمر أن يعطيهما حقهما.. وهذا يدل الناس على أنه ليس للخليفة أن يمنّ على الحسنين «عليهما السلام» وعلى الناس بهذا المال، لأنه إنما يعطيهم حقهم، أو بعضه، ولعلهم لا يدرون ما يستأثر به لنفسه ، ولأقاربه وعشائره مما هو حق لهم بدون إذن، ولا معرفة منهم به، وبمقاديره..

٤ ـ ثم بيّن «عليه السلام» المنشأ لهذه الأموال، وما يجب أن يكون مآله، ودل على الخصوصية التي صارت بها حقاً لهم، فقال: «مما أفاء الله على المسلمين». وهذا يثير لدى الناس إحساساً بالإرتباط بهذا المال، وممارسة الرقابة على أي تصرف فيه، والتحسس من أي تعد عليه».. فليس للحاكم،

ولا لحاشيته نصيب فيما هو للمسلمين، بل يجب عليه تسليمه لأصحابه، وليس صحيحاً أن المسلمين يملكونه بعد تسلمهم إياه من الحاكم.

إذ ليس للحاكم أي دور في التمليك.. لا في إنشائه، ولا في تحديده، ولا في غير ذلك. وإنما هو مجرد خازن لهم.. يملكه المسلمون بعد تسلمهم إياه من الحاكم.. فليس للحاكم أي دور في التمليك.. لا في إنشائه، ولا في تحديده، ولا في غير ذلك.



الفصل الثالث

في نهايات عهد عمر..

بداية:

هناك ثلاثة أحداث شارك فيها الحسنان، هي:

١ ـ الإستسقاء.

٢ ـ إقامة الحد على أبي شحمة، ابن عمر.

٣ ـ الشورى العمرية.

وهذه الأحداث هي التي سنتحدث عنها في هذا الفصل، فنقول:

الإستسقاء في عام الرمادة:

ذكر ابن حجر الهيثمي في الصواعق، عن تاريخ مدينة دمشق: أن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة، سنة سبع عشرة من الهجرة، فلم يسقوا، فقال عمر «رضي الله تعالى عنه»: لأستسقين غداً بمن يسقيني الله به.

فلما أصبح غدا للعباس رضي الله تعالى عنه، فدق عليه الباب، فقال: من؟!

قال: عمر.

قال: ما حاجتك؟!

قال: أخرج حتى نستسقي الله بك.

قال: اقعد.

فأرسل إلى بني هاشم: أن تطهروا، والبسوا من صالح ثيابكم.

فأتوه، وأخرج طيباً وطيبهم، ثم خرج وعلي أمامه بين يديه، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وبنو هاشم خلف ظهره، وقال: يا عمر! لا تخلط بنا غيرنا.

ثم أتى المصلى، فوقف، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: اللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا، وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا.

اللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره.

قال جابر: فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحاً، فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضاً.

فقال العباس: أنا ابن المسقي.. الحديث(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

الحسنان في صلاة الإستسقاء:

١ ـ ذكرت الرواية المتقدمة: أن المسلمين قد صلوا صلاة الاستسقاء عام الرمادة عدة مرات، فلم يسقوا وأن عام الرمادة كان في السنة السابعة عشرة للهجرة، فقال عمر: «لأستسقين غداً بمن يسقيني الله به».

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٦١ ـ ٣٦٢ والصواعق المحرقة (ط سنة ١٣٨٥هـ) ص١٧٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٢٢٦ وينابيع المودة ج٢ ص٤٦٦ و ٤٦٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٢١٠.

٢ ـ من المعلوم: أن عمر الحسن والحسين وقتئذ كان ثلاث عشرة، وأربع عشرة سنة، وحضور علي والحسنين «عليهما السلام» في تلك الصلاة كان كافياً في أن يسقي الله سبحانه الناس بهم، بل كان يكفي الحسنان، بل أحدهما أيضاً في ذلك، بلا حاجة لحضور العباس، ولا بني هاشم.

٣ ـ والشاهد على ذلك: أن الحسن والحسين «عليهما السلام» قد استسقيا مرة، وبأمر من علي «عليه السلام» في مرة أخرى، فصب الله تبارك وتعالى السماء صباً كما سيأتي.

بل إن الحسين «عليه السلام» قد استسقى لأهل الكوفة بأمر أبيه أيضاً، فما فرغ من دعائه حتى هطل المطر، فكانت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض.

٤ ـ يبدو أن عمر كان يريد إظهار فضل العباس، وتبريزه من حيث إنه يريد أيضاً خفوت نجم علي «عليه السلام».

٥ ـ لكن العباس كان يدرك بعمق: أن ما يطلبه منه عمر لن يستطيع هو أن يأتيه به، بدون علي وأبنائه «عليهم السلام»، فلجأ إلى بني هاشم، وجعل في مقدمتهم علياً، وأبناءه.

حيث يبدو لنا من جعل العباس علياً أمامه، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وبني هاشم خلفه: أن ثمة شعوراً، ولو خفياً لدى العباس: بأن استجابة الدعاء ونزول المطر مرهون بهؤلاء الثلاثة الذين قدمهم.

٦ ـ ولعل مما رسَّخ هذا الشعور لدى العباس، بل لدى عمر أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخرج هؤلاء الثلاثة ومعهم فاطمة دون سواهم

ليباهل بهم نصاري نجران.

وهناك مواقف عديدة من رسول الله تجاه هؤلاء الصفوة، تؤكد هذه الخصوصية ـ كما في حديث سد الأبواب إلا بابهم ـ دلت على أن لهم مقاماً ووجاهة عند الله ليست لأحد سواهم.

٧ ـ والأهم من ذلك: أن عمر لم يكن ليخرج علياً للإستسقاء، مع علمه بأن الله تعالى يستجيب لعلي «عليه السلام»، لأنه لو فعل ذلك وسقاهم الله تعالى به، لكان قد أدان نفسه بذلك، ولاعتبر الناس ذلك إقراراً له بالفضل والكرامة، واعترافاً بالظلم والعدوان على علي وأهل البيت «عليهم السلام».

ولكن إخراج علي «عليه السلام» وولديه، مع غطاء من بني هاشم أيضاً، بتدبير من العباس.. قد أبعد عن عمه هذا الإحراج.

لا تخلط بنا غيرنا:

وتقدم: أن العباس خرج بهؤلاء الصفوة، وقال: يا عمر! لا تخلط بنا غيرنا.

وهذا ما حصل بالفعل، واستجاب الله لهم ببركة هؤلاء فكانت فضيحة لكل أهل المدينة، بما فيهم أهل السلطة، فإنهم بالرغم من تكرارهم الاستسقاء لم يستجب الله تعالى لهم.. ولكنه سبحانه يستجيب لأهل البيت وبني هاشم، فدلَّ ذلك على رضى الله تعالى عن هؤلاء، واستحقاقهم منه العناية واللطف دون سائر أهل المدينة.

الإستسقاء لأهل الكوفة:

روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه قال:

اجتمع عند علي بن أبي طالب «عليه السلام» قوم، فشكوا إليه قلة المطر، وقالوا: يا أبا الحسن، ادع لنا بدعوات في الإستسقاء.

قال: فدعا علي «عليه السلام» الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال للحسن: ادع لنا بدعوات في الإستسقاء.

فقال الحسن «عليه السلام»: اللهم هيِّج لنا السحاب، تفتح الأبواب بماء عباب ورباب، بانصباب وإسكاب.

يا وهاب، اسقنا مغدقة مونقة، فتِّح أغلاقها، ويسِّر أطباقها، وعجل سياقها بالأندية في بطون الأودية، بصوب الماء.

يا فعَّال، اسقنا مطراً قطراً، طلاً، مطلاً، مطبقاً، طبقاً عاماً.. مُعِمّاً، دهماً، بهماً، رجماً، رشاً مرشاً، واسعاً، كافياً، عاجلاً، طيباً، مباركاً، سلاطحاً، بلاطحاً، يناطح الأباطح، مغدودقاً، مطبوبقاً، مغرورقاً.

واسق سهلنا وجبلنا، وبدونا وحضرنا، حتى ترخص به أسعارنا، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا، أرنا الرزق موجوداً، والغلاء مفقوداً.. آمين رب العالمين.

ثم قال للحسين «عليه السلام»: ادع!

فقال الحسين «عليه السلام»: اللهم يا معطي الخيرات من مناهلها، ومنزل الرحمات من معادنها، ومجري البركات على أهلها، منك الغيث المغيث، وأنت الغياث المستغاث، ونحن الخاطئون وأهل الذنوب، وأنت المستغفر الغفار، لا إله إلا أنت.

اللهم أرسل السماء علينا لحينها مدراراً، واسقنا الغيث واكفاً مغزاراً، غيثاً، مغيثاً، واسعاً، متسعاً، مرياً، ممرعاً، غدقاً، مغدقاً، غيلاناً، سحاً، سحساحاً،

بحاً، بحاحاً، سائلاً، مسلاً عاماً، ودقاً، مطفاحاً، يدفع الودق بالودق دفاعاً، ويتلو القطر منه قطراً، غير خلب برقه، ولا مكذب رعده، تنعش به الضعيف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، وتستحق به علينا من مننك.. آمين رب العالمين.

فما فرغا من دعائهما حتى صب الله تبارك وتعالى عليهم السماء صباً.

قال: فقيل لسلمان: يا أبا عبد الله، أَعُلِّمَا هذا الدعاء؟!

فقال: ويحكم، أين أنتم عن حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث يقول: إن الله أجرى على ألسن أهل بيتي مصابيح الحكمة[1].

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

هذا الحديث رواه الصدوق في الفقيه مرسلاً هكذا: «وجاء قوم من أهل الكوفة»، فيحمل على أنهم جاؤوا إلى المدينة لذلك، لأن سلمان «رضي الله عنه» لم يبق إلى زمان خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام».

ويؤيده: استبعاد الجهلة من الحسنين «عليهما السلام» ذلك، لأن الظاهر أنه كان لصغر سنهما[2]. انتهى.

ونقول:

١ ـ لكن لا مانع من أن يكون علي وابناه، وسلمان قد قدموا الكوفة

(١) قرب الإسناد ص٢٨ و (ط مؤسسة آل البيت) ص١٥٧ و ١٥٨ وبحار الأنوار ج٨٨ ص٣٢١ و ٣٢٢ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٣٣٨ ومستدرك الوسائل ج٦ ص١٩٧ ـ ١٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج٨٨ ص٣٢٢ و ٣٢٣.

قبل وفاة سلمان «رحمه الله تعالى»، فطلب منه أهل الكوفة أن يستسقي لهم..

٢ ـ قد يدَّعي مدَّع: أن الكوفة لا تحتاج إلى الإستسقاء، لأن نهر الفرات يكفيها.

ويجاب:

أولاً: لا مانع من أن يصاب الناس بقحطٍ وشحٍّ في المياه في بعض السنين، ولاسيما في أيام الصيف، فتنقطع المياه حتى من الفرات.

ثانياً: إن الفرات، إنما يفيد المزارعين الذين هم على حاشيته، وغيرهم من القريبين منه، ولكن هناك بلاد قريبة وبعيدة نسبياً عن النهر، ولا يمكنهم الاستفادة من الفرات، أو أن ذلك يشق عليهم.

٣ ـ لقد شرح العلامة المجلسي «رحمة الله عليه» المفردات التي تضمنتها هذه الرواية، فيمكن الرجوع فيها إلى كتابه الشريف[1]..

الحسنان.. وجلد أبي شحمة:

وذكروا: أن أبا شحمة (أحد أبناء عمر بن الخطاب) اعترف بالزنا في عهد أبيه، فلما أمر أبوه بأخذه وجلده، قال أبو شحمة: معاشر المسلمين، من فعل فعلي في جاهلية أو إسلام، فلا يحدني.

فقام علي بن أبي طالب، وقال لولده الحسن، فأخذ بيمينه، وقال لولده الحسين، فأخذ بيساره، ثم ضربه ستة عشر سوطاً، فأغمي عليه. ثم قال: إذا وافيت ربك، فقل: ضربني الحد من ليس لك في جنبه حد.

---

(١) بحار الأنوار ج٨٨ ص٣٢٣ ـ ٣٢٦.

ثم قام عمر حتى أقام عليه تمام المائة سوط، فمات من ذلك الخ..[1].

ونقول:

١ ـ إن أبا شحمة اشترط أن لا يحدّه من ارتكب مثل خطيئته في جاهلية أو إسلام.. ومن المعلوم: أنه لا يحق للمذنب أن يضع شرطاً لإقامة الحد عليه: بأن يجلده فلان، أو بهذا السوط أو بذاك، أو بهذا القدر من الشدة، أو في ذلك المكان، أو نحو ذلك.. ولو اشترط شيئاً من ذلك، فإن شرطه لا يكون ملزماً، بل يؤخذ فقط بما شرطه الله تعالى في من يقيم الحدود..

وما ورد من شرط: أن يكون من يقيم الحد ليس في جنبه لله حدّ، فإنما يجب الأخذ به، لأنه صدر من الإمام «عليه السلام» لمصلحة رآها.

٢ ـ إن اشتراط أبي شحمة الطهارة من الزنا في الجاهلية، لا مبرر له، فإن الإسلام يجب ما قبله، وإنما يحاسب الناس على ما يرتكبونه بعد اعتناقهم الإسلام، فإن كان ممن صحت توبته، وظهرت عدالته تبعتها أحكامها.

٣ ـ إن أبا شحمة قد ظن: أن هذا الشرط الذي وضعه، والشعار الذي رفعه سوف ينجيه من العقوبة، على أساس أن الجميع قد ارتكب هذه الجريمة في جاهليته، أو بعد إسلامه.. وبذلك يكون قد فضح جميع المسلمين أو أهانهم، وصغَّر من شأنهم، بما فيهم علي وأهل البيت! فضلاً عن غيرهم..

ولعله أراد أن يوجِّه قذفاً مبطناً للجميع، فكان تصدي أمير المؤمنين وأبنائه

---

(١) الرياض النضرة ج٢ ص٣٥٧ و ٣٥٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٥٣ وراجع: الإصابة ج٤ ص١٠٤.

لإقامة الحد عليه قد أثمر:

أولاً: تكذيب أبي شحمة في زعمه، وإسقاط ذريعته.

ثانياً: إعادة الستر على الناس.

ثالثاً: أن علياً «عليه السلام» لم يدَّع لنفسه ولولديه أمراً يحتمل أن يكون باطلاً، بل ذكَّر أبا شحمة وجميع الصحابة بما لا يستطيع أحد إنكاره، وهو شهادة الله تعالى لأهل البيت بالطهارة والعصمة التامة، والشاملة في أقصى مداها.. ولكن أبا شحمة كان يجهل هذه الحقيقة التي كانت كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار.

رابعاً: إنه «عليه السلام» قد أثبت عملياً: أن الذنب الذي ارتكب، وقد عفا الله عنه، لأن الإسلام أزاله، أو لم تكتمل موجبات العقوبة عليه.. لا يكون ذريعة للتخلص من عقوبة ذنب لم يشمله عفو الله، واكتملت موجبات العقوبة عليه بشهادة الشهود، أو بالإقرار، أو ظهور الآثار.

خامساً: في إشراك الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام» في جلد حد الزنا لابن الخليفة تذكير للناس بطهارتهما، ومقامهما عند الله ودليل على صلابتهما في دين الله، فلعل أحداً يقارن بينهم وبين من سلبوهم حقهم، واعتدوا عليهم، ونصَّبوا أنفسهم حكاماً.ويتلمس الفوارق، ويقارن بين السوابق.

٤ ـ بقي أن نشير إلى أنه «عليه السلام» قد جلد أبا شحمة بعض الحد ولم يكمله لسببين:

أولهما: أنه حين أغمي عليه ببلوغ ست عشرة جلدة، توقع الإمام «عليه السلام» أن أبا شحمة سوف لا يخرج سالماً من هذا الجلد، فلم يتابع ما بدأه،

ولم يكن يريد أن يُنسب ما سيحدث لأبي شحمة إليه.. وربما ضخمت الأمور وادَّعي عليه أنه هو السبب في موته، بزعم أنه كان شديداً عليه، لأنه يريد أن ينفس عن كربه العظيم، ويأخذ بثأره من عمر، وآل عمر بسبب ما جرى على فاطمة «عليها السلام» منهم..

ثانيهما: إن علياً «عليه السلام»: كان لا يريد أن يقال عنه: إنه «عليه السلام» وهو باب مدينة العلم، لم يعترض على مقولة أبي شحمة، بل نفَّذ ما طلبه بحذافيره..

ويصير هذا سنةً في إقامة الحدود، حين يطلب المحدود مثل هذه المطالب فإذا لم يوجد من لم يرتكب مثل جرمه، فلا مجال لإجراء الحد، فتتعطل الحدود، ويرضى الناس بالإتهام الموجَّه إليهم..

بل قد يستفيد من ذلك بعض حكام السوء، فيقيم الحدود على من شاء من الناس، بزعم: أن من لم يشارك في إقامة الحد على مستحقه فقد أقر، على نفسه بارتكاب الذنب.

ولكن علياً «عليه السلام» قد أبطل هذا الفهم الملتوي للأمور بإشراكه غير المطهرين في إجراء ما تبقى من الحد على أبي شحمة.

ويكون موت أبي شحمة بسبب جلد أبيه له مانعاً من الشائعات المغرضة، ومن الاتهام الباطل، والذي قد يجر إلى الانتقام، والانتقام المضاد، وما ينشأ عن ذلك من مآثم، وفساد وجرائم.

الإمام الحسن عليه السلام في الشورى:

١ ـ قالوا: إن عمر علم أن ثمة من يقول: «لو قد مات عمر بايعت علياً»،

فإذا كان القائل هو عمار بن ياسر[١]، صاحب المقام الرفيع، فإن الكثيرين سيتابعونه، ويفعلون مثل فعله، فما بالك إذا انضم إلى عمار آخرون ممن هم على مثل رأيه، ولهم مثل مقامه واحترامه، وهم من أعيان الصحابة، من أمثال: سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وأعيان بني هاشم، وسواهم؟!

فأهمه هذا الأمر كثيراً.. وأدرك أنه حتى لو أوصى لأي كان من الناس، فإن الأمر قد لا يتم له.. ثم ارتأى أن يحمل الناس على شورى ينظمها، ويختار أشخاصها، ويضع لها نهجاً وطريقة عمل، يستحيل معه أن يصل الأمر إلى علي «عليه السلام»، بل يكون أمامه أحد خيارين:

أحدهما: أن يقتل..

الثاني: أن يستسلم للأمر الواقع.

وجعل الضامن لذلك: عبد الرحمن بن عوف فهو الأساس والمتصرف، والحَكَم فيها، فكل من لا يوافقه الرأي يقتل، وكان ابن عوف منحرفاً عن علي «عليه السلام».. وقد تكلمنا حول هذه الشورى في الجزء ١٤ و ١٥ من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام».

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٢ و ٢٣ وصحيح البخاري (ط مشكول) ج٤ ص٢٦٥ و (ط دار الفكر) ج٨ ص٢٥ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٦ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٥٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٣٠٠ و ٣٠٣ وعمدة القاري ج١٧ ص٦٢ و ٦٣ وج٢٤ ص٦ وأضواء البيان ج٥ ص٣٦٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٧١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٢٧.

٢ ـ إن علياً «عليه السلام» عرف مآل هذه الشورى، وأن الأمور ستنتهي فيها إلى غيره، ولا بد أن يخضع هو للأمر الواقع.. ولكنه كان من جهة أخرى يرى نفسه ملزماً بالدخول في هذه الشورى لينقض قراراً كان أخطر منها، لأن عمر بن الخطاب كان قد أصدر قراراً قبل ذلك، يقول: إن النبوة والخلافة لا تجتمعان في بيت واحد(١).

كما أن رأي قريش هو: أن الخلافة إذا وصلت لبني هاشم لا تخرج منهم أبداً(٢).

فإن هذا القرار لو سري وإلى جانبه ما تقول قريش، وأنصارها لنقض أمر الإمامة من أساسه، سواء بالنسبة إلى علي «عليه السلام»، أو بالنسبة إلى سائر الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين». فإن قول عمر كان بالنسبة للعرب كالشرع المتَّبع، لا ينقضه إلا عمر نفسه. فكيف إذا عاضده قول ورأي قريش؟!

ولعلك تقول: إن عمر قد نقض قاعدته هذه، حين جعل علياً في ضمن أفراد الشورى، فلم تبق حاجة لدخول علي «عليه السلام» فيها..

ويجاب:

---

(١) راجع: علل الشرائع ص١٧٠ باب ١٣٤ ح١ وبحار الأنوار ج١ ص٣٥٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٣٢ و ٢٣٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٣ ص٢٩٧ و ٢٩٨ والكامل في التاريخ ج٣ ص٧١ و ٧٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٩٣١ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٩٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٣٤٠ و ٣٤٨ وعن العقد الفريد ج٣ ص٢٨٦ ـ ٢٨٨.

أولاً: لو وضع عمر اسمه لدخل في الشورى، ثم يجعلون ذلك ذريعة للزعم بأن هناك من دس اسمه فيهم، أو أن ثمة تصحيفاً أو تحريفاً، وما إلى ذلك.

ثانياً: قد يدَّعون: أن مجرد كتابة اسم علي «عليه السلام» في جملة أعضاء الشورى لا تعني أن له حقاً في الخلافة، بل تعني: أنه من أهل الحل والعقد، وإن لم يكن له حق في أن يصبح خليفة، ولذلك امتنع عن المشاركة.

ولكنه بمشاركته الفاعلة، ووقوف بعض الأطراف إلى جانبه، وطرح اسمه بقوة، قد دلَّ على أن الأمر أكثر من مجرد منتخِب.

ويدل على ذلك: ما روي عن أبي عبد الله «عليه السلام»، من أن الصحيفة التي كتب عمر فيها أسماء أهل الشورى، قد جعل اسم عثمان في أولها، واسم علي «عليه السلام» في آخرها، فأشار العباس «رحمه الله» على علي «عليه السلام» بعدم الدخول في الشورى، لأنهم سوف يخرجونه منها، فسكت «عليه السلام» ولم يجبه..

فلما بويع عثمان: قال له العباس: ألم أقل لك؟!

قال له: يا عم، إنه قد خفي عليك أمر..

أما سمعت قوله على المنبر: ما كان الله ليجمع لأهل هذا البيت الخلافة والنبوة؟! فأردت أن يكذِّب نفسه بلسانه، فيعلم الناس: أن قوله بالأمس كان كذباً باطلاً، وأنَّا نصلح للخلافة.

فسكت العباس[1].

---

(١) راجع: علل الشرائع ص١٧٠ باب ١٣٤ ح١ وبحار الأنوار ج١ ص٣٥٥.

لماذا الإمام الحسن، فقط؟!:

ذكر ابن قتيبة: أن عمر حين طعن، ورتب قضية الشورى على النحو المعروف، قال للذين اختارهم:

«وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار.. وليس لهم من أمركم شيء..

وأحضروا معكم الحسن بن علي، وعبد الله عباس، فإن لهما قرابة، وأرجو لكم البركة في حضورهما. وليس لهما من أمركم شيء.

ويحضر ابني عبدالله مستشاراً، وليس له من الأمر شيء» فحضر هؤلاء(١).

ونقول:

هنا أمور عديدة ينبغي لفت النظر إليها، نوردها كما يلي:

١ ـ يلاحظ: أن عمر قد ذكر الإمام الحسن «عليه السلام» ولم يذكر الحسين «عليه السلام» هل لأن الإمام الحسين «عليه السلام» كان قد جاء إليه، وهو على منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال له: إنزل عن منبر أبي.. فشكاه إلى أبيه، فلم يجد عنده ما يفرِّج همه، ويفثأ غمه؟!

٢ ـ أن هذه أول مشاركة للإمام الحسن «عليه السلام» في هذا الأمر الخطير.. وهي مشاركة معترف بها من قبل المناوئين والغاصبين لحق علي وأهل بيته «عليهم أفضل الصلاة والسلام».

٣ ـ لعل سبب استبدال عمر الإمام الحسين «عليه السلام» بعبد الله بن

---

(١) راجع: الإمامة والسياسة ج١ ص٢٤ و ٢٥ و (تحقيق الزيني) ج١ ص٢٨ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٤٢ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١ ص٣١٥.

عباس هو:

أولاً: إيجاد بدائل عن أهل البيت «عليهم السلام»، وصناعة شخصيات ترى أن لعمر فضلاً عليها في ذلك يفرض عليها أن تبقى تحت جناحه..

ثانياً: أراد به التزلف للعباس، والتقوي به على علي «عليه السلام»، مع الأخذ بنظر الاعتبار: أن العباس لا يشكل أية خطورة على حكمه وسلطانه، كما أن حضور ابن عباس في الشورى لا أثر له، لأنه ليس له من الأمر شيء فكيف إذا كان علي «عليه السلام» في الشورى؟!. كما أن ابن عباس والعباس لم يقتلا صناديد قريش والعرب في نصرة الإسلام.. بل بقي العباس معهم في مكة إلى عام الفتح.

ثالثاً: إنه يريد أن يوجد قرناء للحسن والحسين في السياسة، وفي القداسة، ولأجل ذلك قال: إنه يتوخى البركة من حضور الحسن «عليه السلام»، وابن عباس في الشورى..

رابعاً: أما حضور الإمام الحسن «عليه السلام» للبركة، فيريد عمر أن يجعل منه ذريعة لإحضار ابنه عبد الله بن عمر في الشورى كمستشار..

خامساً: إنه يريد أيضاً: أن يرفع من شأن ولده، ويجعله أيضاً في مصاف الأئمة الأوصياء، وأولاد الأنبياء..

ويريد أن يصغر من شأن الإمام الحسن ليصبح في مستوى ابن عمر، وابن عباس أو أقل..

مع أن الإمام الحسن «عليه السلام» أحد الذين نزلت فيهم آية المباهلة، وآية التطهير، وسورة هل أتى، وهو ريحانة رسول الله، وسيد شباب أهل

الجنة، وهو الذي نص النبي «صلى الله عليه وآله» على إمامته، وظهر من علمه وفضله، وغير ذلك من معالي الأمور ما يجعل من قياس الناس به، وجعلهم في مصافه من أقبح الأعمال، وأفحش الأقوال.

وقد أكد امتياز ولده على الإمام الحسن «عليه السلام»، حيث رصد لولده دوراً في الشورى بدرجة مستشار، في حين أنه ليس للإمام الحسن «عليه السلام» أي دور على الإطلاق.. ولعله اختار له هذا المنصب لأنه يعرف مدى انبهار ابن عمر بأبيه والتزامه بأقواله..

سادساً: إنه يريد أن يحصر قيمة وفضل الإمام الحسن «عليه السلام» بأمر خارج عن حقيقة ذاته، وليس له فيه أي اختيار، وهو أنه مصدر بركة ويمن، وأن له قرابة.

سابعاً: إنه لم يصرح بالطرف الآخر للقرابة، هل هو النبي «صلى الله عليه وآله»، كما هو الأقرب، أو قرابة بالخليفة لأنه من قريش، أو بغيرهما؟!

ثامناً: إنه يريد أن يشرك معه في هذه البركة ابن عباس، ولم يشر إلى شيء من فضائله «عليه السلام» في نفسه، مثل فضيلة العلم في أقصى مراتبه والتقوى والعقل والحكمة، ولا أشار إلى إمامته، ولا إلى كونه سيد شباب أهل الجنة، ولا إلى أي شيء آخر..

بل هو قد أبهم هذه القرابة، ونكَّرها، وتحاشى وصفه بأنه ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس لابن عباس، ولا لابن عمر هذه المزية.

تاسعاً: وحول البركة التي توخاها عمر من حضور الإمام الحسن «عليه السلام»، وشارك فيها ابن عباس نقول:

إن لهذه الخصوصية وظيفة أخرى: هي أنه يكون قد أضفى ـ بواسطتها ـ على خطته، وأهدافه من هذه الحبكة للشورى صفة التقوى والورع.. وصرف الأذهان عن تلمس المقاصد الحقيقية، وخفف من حدة الشكوك التي قد تراود أذهان كثير من الناس.

مبررات مشاركة الإمام الحسن عليه السلام:

وحول مبررات حضور الإمام الحسن في الشورى العمرية نقول:

إنها نفس مبررات مشاركة أمير المؤمنين «عليه السلام» فيها، ويتضح ذلك في النقاط التالية:

١ ـ إنه يريد أن يسقط مقولة: إن النبوة، والخلافة لا يجتمعان في بيت واحد أبداً.

٢ ـ إن هذه المشاركة تذكر الناس بما جرى عليهم، وتعيد إلى الأذهان أنهم الأئمة المنصوص عليهم من الله ورسوله.

٣ ـ إن مشاركتهم تعني انتزاع اعتراف: بأن لهم الحق بالمشاركة في أخطر القضايا التي تعني الأمة ـ انتزاعه ـ ممن هو رمز التشدد في إنكار هذا الحق لهم وهو عمر بن الخطاب.

٤ ـ لكي يتجرأ الناس على قول الحق، ويعتاد الحكام على سماع الرأي المخالف، وحتى لا يرد الحكام الرأي، بحجة أنه رأي هاشمي، أو مولى، أو شيعي، أو غير ذلك.. لأن الأمر سينتهي في هذه الحالة إلى كم الأفواه، ومصادرة الآراء، وحكومة الرأي الواحد على قاعدة:

ودعوى القوي كدعوى السباع   من الناب والظفر برهانها

٥ ـ إن مشاركة الإمام الحسن «عليه السلام» تحت عنوان أن الإمام الحسن «عليه السلام» من أهل القداسة، وممن تلتمس منهم البركة يمثل إدانة صريحة على من اعتدوا عليه، وأضرموا النار في بيته لإحراقه وهو فيه..

ثم واجهوه بالحرب والقتال، ودسوا إليه السم.

٦ـ إن التماس البركة بحضور الإمام الحسن «عليه السلام» يدل على عدم صحة النهج الوهابي الذي يمنع من التبرك بالأولياء والصالحين..

علي يستحضر الحسن والحسين عليهما السلام في الشورى:

والذي يراجع ما جرى في الشورى يرى أن علياً «عليه السلام» قد ناشد الحاضرين فيها بأمور أساسية وحساسة كان يذكرها لهم، ويقرون له بها، ومنها ذكر الحسن والحسين فيها، فلاحظ ما قاله «عليه السلام»:

١ ـ **فمما قاله «عليه السلام»**: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد له ابنان مثل ابنيّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ما خلا النبيين غيري؟!

قالوا: اللهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد له أخ كأخي جعفر الطيار في الجنة، المزيّن بالجناحين مع الملائكة غيري؟!

قالوا: اللهم لا. الخ..[1].

٢ ـ ومما قاله «عليه السلام»: أفيكم أحد له مثل سبطي[2] الحسن والحسين

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٥ ص٢١٦.

(٢) أي أن الشخصين الذين عُرفا بالسبطين على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»

سيدي شباب أهل الجنة؟!

قالوا: اللهم لا.

قال: أفيكم أحد له مثل زوجي فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قالوا: اللهم لا. الخ.. [١].

٣ ـ ونحو هذا ورد في مناشدة أخرى أيضاً، فراجع[٢].

٤ ـ وفي مناشدة أخرى يقول: وأي نسب أفضل من نسبي، إن أبي وأبا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأخوان، وإن الحسن والحسين، ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيدي شباب أهل الجنة ابناي، وفاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» زوجتي، سيدة نساء أهل الجنة، غيري؟!

قالوا: اللهم لا[٣].

وهو «عليه السلام» يشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ناشد أركان الشورى وقرَّرهم فأقرُّوا له بأمور كثيرة، بحضور جماعات من الناس، من أعيان وحراس وغيرهم، ممن كان ينتظر النتائج، واتخاذ هذا الحدث ذريعة ومنبراً لإثبات حقه، وبيان ما تعرض له هو وأهل بيته من حيف، وظلم، وغصب حق،

هما ابناي: الحسن والحسين. من باب أنه يكفي في الإضافة أدنى ملابسة.

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٥ ص٢١٩.

(٢) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام».ج١٥ ص٢٢٤.

(٣) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٥ ص٢٣٢.

واستلاب أموال منقولة وغير منقولة.. وكان من آثار هذه المناشدات: أنه قد ضيع أهم أهداف عمر، وحولها إلى أثقال وركام غير ذي جدوى.. وإن هذه الشورى ليست لمصلحة الدين والأمة.

وقد عرف الناس أنها لا معنى، ولا تعريف لها.. إلا أنها من الظلم والتزوير.

وأظهرت هذه المناشدات أيضاً: أن عمر قد قرن علياً وولديه بمن لا يقاس به، وهذا ظلم فاحش آخر يرتكب بحقهم «عليهم السلام».

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد ركز في مناشدته على أن الحسنين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا يدل على أن ابن عباس، وابن عمر لامحل لهما من الإعراب فيها، ولا يمكن أن يقرنا بالحسن والحسين «عليهما السلام».

ثالثاً: إنهما «عليهما السلام» ـ كما جاء في تلك المناشدات ـ سيدا شباب أهل الجنة، ما عدا الأنبياء والمرسلين(١)، فدل ذلك على امتداد شرفهما، وفضلهما من الدنيا إلى الآخرة، ولا يستطيع أحد.. لا ابن عباس، ولا ابن عمر، ولا غيرهما أن يدَّعي لنفسه شيئاً من ذلك.. وسيتجلى في الآخرة فضلهما وعصمتهما بصورة أتم وأعمق، من خلال علاقتهما بنخبة وخيار وأبرار المخلوقات على شكل علاقة يتشارك معهم فيها جميع أهل الجنة، من حيث تبلور معنى

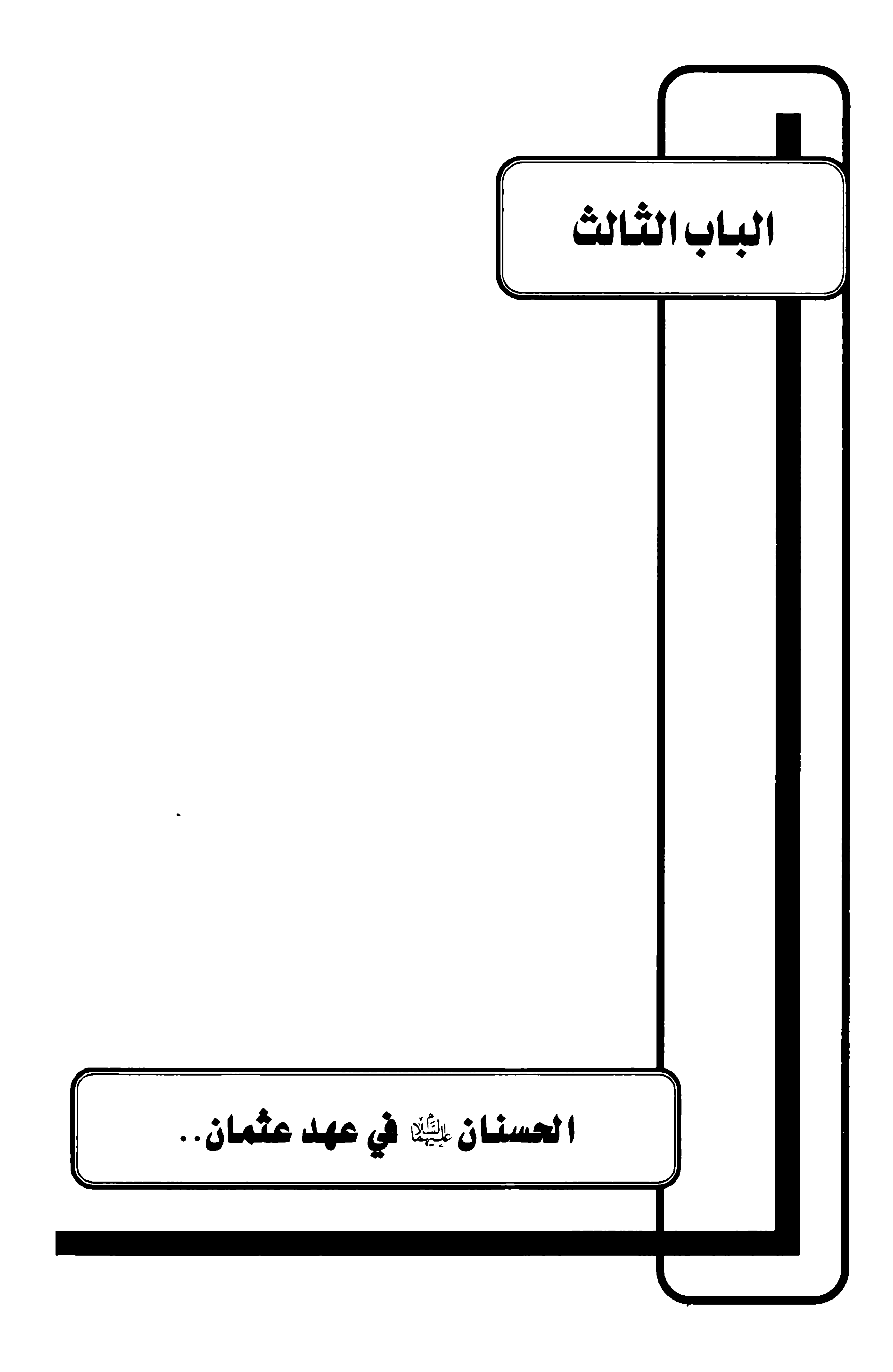
---

(١) هذا الإستثناء إنما جاء في هذه المناشدة.. فهل الهدف منه: الحطّ من مقام الحسن والحسين «عليهما السلام»، وإثارة الشبهة حول أفضليتهما، حتى على الأنبياء؟! أو أن ذلك جاء مراعاة لمن لا يرى هذه الأفضلية لهما «عليهما السلام»؟! أو أنها عبارة مقحمة في النص تبرعاً، لا يردى سببه؟!

السيادة للحسنين «عليهما السلام» على جميعهم.

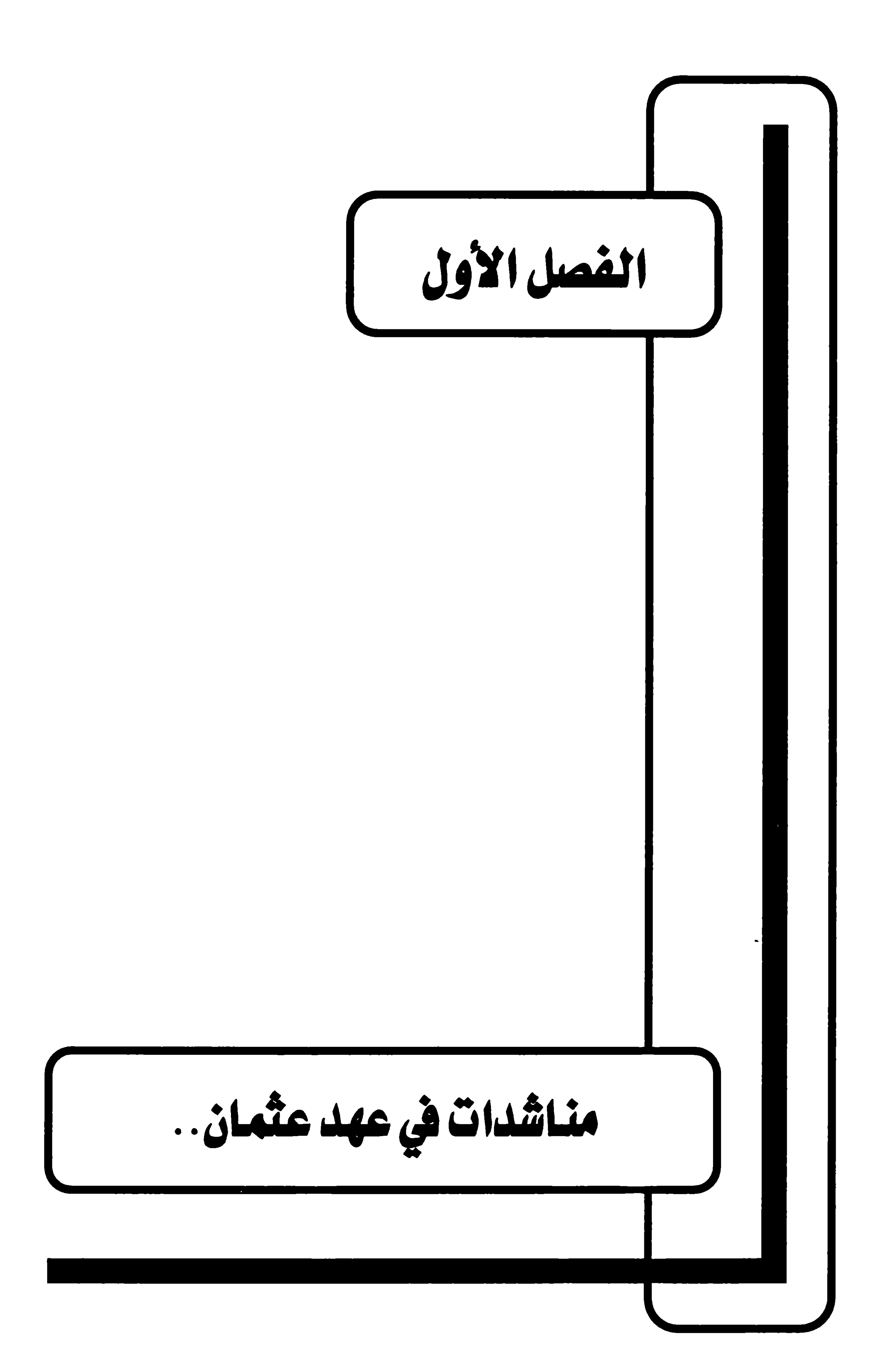
رابعاً: إنه «عليه السلام» قد نسب الحسنين «عليهما السلام» إلى نفسه، واعتبرهما من مميزاته، وذخائره، وفضائله، حيث قال: هل فيكم أحد له ابنان مثل ابنيّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ما خلا النبيين غيري؟!

قالوا: اللهم لا.



الباب الثالث

الحسنان عليهما السلام في عهد عثمان..



الفصل الأول

مناشدات في عهد عثمان..

في يوم البيعة:

عن أبي ذر، قال: لما كان أول يوم في البيعة لعثمان ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1].

إجتمع المهاجرون والأنصار في المسجد..

إلى أن قال: ثم قال علي: أناشدكم الله، إن جبريل نزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد.

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

فهل تعلمون هذا كان لغيري؟!

إلى أن قال: وهل تعلمون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان آخى بين الحسن والحسين، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يا حسن مرتين، فقالت فاطمة: يا رسول الله، إن الحسين لأصغر منه، وأضعف ركناً منه.

فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألا ترضين أن أقول أنا: هي يا حسن، ويقول جبريل: هي يا حسين، فهل لخلق مثل هذه المنزلة؟!

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

نحن صابرون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً[١].

ونقول:

المؤاخاة بين الحسن والحسين عليهما السلام:

ذكرت الرواية: أن علياً «عليه السلام» قال: «وهل تعلمون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان آخى بين الحسن والحسين، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يا حسن مرتين، فقالت فاطمة: يا رسول الله إن الحسين لأصغر منه، وأضعف ركناً منه الخ..».

١ ـ قد يقال: كيف يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد آخى بين الحسن والحسين، والحال أن المؤاخاة قد حصلت بعد الهجرة بخمسة، أو بثمانية أشهر، أو أكثر، أو أقل؟![٢].

وقالوا: وكان الذين آخى بينهم تسعين رجلاً.

---

(١) تاريخ الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٣٩٨ و ٣٩٩ عن تاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص١٢٩ ـ ١٣١ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ) ج٣٩ ص١٩٨ ـ ٢٠٢ ومختصر تاريخ دمشق ج١٦ ص١٥٤ ـ ١٥٦ و ١٥٧ وكنز العمال ج٥ ص٧١٧ و ٧٢٣ و ٧٢٤ وراجع: المناقب للخوارزمي ص٢٩٩ ـ ٣٠٢ ونهج الإيمان ص٥٣٠ وغاية المرام ج٢ ص٤٨ ـ ٤٩ وج٥ ص١٠٩ ـ ١١٠ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٦٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج١٩ ص١٢٢ وهامش ص١٣٠ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٥٢ وعن المقريزي، عن المنتقى في مولود المصطفى، والمواهب اللدنية ج٢ ص٧١ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٥ عن أسد الغابة، ووفاء الوفاء ج١ ص٢٦٧ وفتح الباري ج٧ ص٢١٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٩٢.

وقيل: مئة رجل.

وقيل: ستة وثمانون رجلاً.

ويجاب:

أولاً: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد آخى بين أصحابه عدة مرات، فقد قال ابن شهرآشوب عن علي «عليه السلام»: «آخاه في عدة مواضع: يوم بيعة العشيرة، حين لم يبايعه أحد، بايعه علي، على أن يكون له أخاً في الدارين.

وقال في مواضع كثيرة، منها يوم خيبر: أنت أخي ووصيي.

وفي يوم المواخاة ما ظهر عند الخاص والعام صحته، وقد رواه ابن بطة من ستة طرق.

وروي: أنه كان النبي بالنخيلة، وحوله سبعمائة وأربعون رجلاً، فنزل جبرئيل، وقال: إن الله تعالى آخى بين الملائكة، وبيني وبين ميكائيل، وبين إسرافيل وبين عزرائيل، وبين دردائيل وبين راحيل، فآخى النبي بين أصحابه»(١).

وصرح العسقلاني: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» استمر يجدد المؤاخاة بحسب من يدخل في الإسلام، أو يحضر إلى المدينة من المسلمين(٢).

وهناك شواهد على ذلك، ذكرناها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٨٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٣٥.

(٢) راجع: فتح الباري ج٧ ص٢١١.

الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٥ ص١٠١.

بل يذكرون: أنه «صلى الله عليه وآله» آخى بين جعفر بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، مع أن جعفراً إنما قدم من الحبشة عام خيبر.

٢ ـ وقد يقال أيضاً: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا أخوين، فما الحاجة إلى المؤاخاة بينهما؟!

ويجاب:

بأن الأخوَّة الثابتة من خلال المؤاخاة لا تعني الإنسجام بين الأخوين، وربط المصير بالمصير، والإلتزام بالحقوق، وسائر الأمور التي رتبها الله على المؤاخاة، التي هي نوع من التعاهد والالتزام بأمور معينة، يجد المؤاخي نفسه مسؤولاً عن الوفاء بها.. وهي ثابتة لكل منهما على الآخر في الدنيا والآخرة.

وأما الأخوة التي تأتي من خلال النسب وبالولادة، فهي لا تفرض وحدة المصير في الدنيا والآخرة، بل قد لا يرضى أحدهما بربط مصيره بمصير أخيه، وقد لا يعترف له بأي حق، لاختلافهما في الدين، أو في السلوك، والتعامل، وما إلى ذلك..

٣ ـ وقد يدَّعى: أن كلمة «آخى» في الرواية قد تكون مصحفة عن أخذ، يقال: وائْتَخَذَ القومُ يأْتخذون ائْتِخاذاً، وذلك إِذا تصارعوا، فأَخذ كلٌّ منهم على مُصَارِعِه أُخذَةً يعتقله بها[1]. وقد تليَّن الكلمة وتدغم، فيقال: اتخذ.

وهذا هو الموافق لما في مخطوطة تركيا من طبقات ابن سعد، وقال في هامش

---

(١) لسان العرب ج٣ ص٤٧٥ وتاج العروس ج٥ ص٣٤٧.

الطبقات: اتخذا: تصارعا.

لكن الرواية التي أوردها ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» تقول: اتخذ (أي اصطرع) الحسن والحسين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل يقول: هي يا حسن، خذ يا حسن.

فقالت عائشة: تعين الكبير على الصغير؟!

فقال: إن جبريل يقول: خذ يا حسين(١).

وقد قالوا: ناجده: عارضه، وبارزه القتال، ونَجَدَه: غلبه.. والنجيد: الأسد لشجاعته وجراءته، والشجاع: الماضي فيما يعجز عنه غيره(٢).

وقالوا أيضاً: أخذه: حبسه. واتخذ وائتخذ: القوم أخذ بعضهم بعضاً في القتال. والأخيذ: الأسير(٣).

ويكون قوله في الرواية: فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يا حسن مرتين، فقالت فاطمة: يا رسول الله إن الحسين لأصغر منه، وأضعف ركناً منه.. قرينة على أن الكلام هو عن المصارعة..

كما أن بعض المصادر صرحت بكلمة: اصطرع الحسنان، بدلاً عن آخى

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٢٣ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٦ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص ١٠٩ وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص ٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٦٥٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٠٤.

(٢) أقرب الموارد ج٢ ص١٣٧٢ مادة «نجد».

(٣) أقرب الموارد ج١ ص٥ و ٦.

بين الحسنين «عليهما السلام»، فقد يعدُّ هذا قرينة ومرجحاً آخر.

غير أننا نقول:

لا يصلح ذلك للقرينية والترجيح، وذلك:

أولاً: لأن حديث المصارعة.. إما مروي عن أشخاص آخرين، أو أن الرواية اختلف مضمونها، فرواية أبي ذر تذكر: أن فاطمة «عليها السلام» هي التي تعجبت من تحريض النبي «صلى الله عليه وآله» للأكبر على الأصغر.

لكن الرواية التي تقول: انجد، أو اتخذ، وهي غير رواية أبي ذر، كابن عباس وغيره، تذكر: أن عائشة هي التي تعجبت من فعل النبي «صلى الله عليه وآله»..

وهذا يشي، بل يرجح أن تكون الواقعة قد تكررت، وكل واحد حدَّث بما رأى وسمع.

ثانياً: إن جعل هذه الرواية قرينة على المراد من تلك، أو على وقوع التصحيف فيها ليس بأولى من العكس..

٤ ـ إن المؤاخاة بين الحسن والحسين «عليهما السلام» ـ التي نرجح حصولها ـ إذ انضمت إلى أمور كثيرة أخرى، مارسها «صلى الله عليه وآله» تجاه الحسنين، وكانا لا يزالان طفلين، من قبيل إشراكهما في بيعة الرضوان، وفي المباهلة، وفي الإشهاد على كتاب ثقيف، وغير ذلك.. ـ إن ذلك كله ـ يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعاملهما كما يعامل الرجال العقلاء، الكاملون في وعيهم، وحكمتهم، وتدبيرهم، وعقلهم، والقادرون على تحمل المسؤوليات، على هدي علم الإمامة الذي حباهما الله تعالى به.

وليدل على أن لهما دورهما في حفظ الدين، وصيانة كرامة المسلمين، ومواجهة محاولات التحريف، والتزوير لنهج الأنبياء، والأوصياء، والمرسلين.

الجمع بين حديثي المؤاخاة والمصارعة:

٥ ـ وقد رأينا أنه «عليه السلام» قد جمع في مناشداته بين حديث المؤاخاة، وبين حديث المصارعة بين الحسنين «عليهما السلام» ربما ليدل على أن هذه المصارعة ليست من العبث واللعب بين الأطفال، ولم تكن من موقع التحدي، وطلب الغلبة.. وإلا، فلماذا يحضرهما النبي «صلى الله عليه وآله» وجبرئيل، ويشجعانهما على الإنخراط، وبذل الجهد فيها؟!

بل هي من موقع المحبة، والتدريب، والتعليم لفنون القتال، التي يفترض أن لا يضارعهما، ولا يدانيهما فيها أحد..

وظهور تفوقهما في هذه الفنون ليس فقط لا ينقص من مقامهما، بل هو يزيدهما، هيبة، وشوكة، وسؤدداً، كما هو حال أمير المؤمنين «عليه السلام»، ونزول جبرئيل ليشجع أحدهما، ويتولى النبي «صلى الله عليه وآله» تشجيع الآخر يدل على أن القضية ليست من مفردات اللعب، بل هي تكريم وتعظيم، ودلالة على مقامهما.

٦ ـ ربما كان من أهداف إعلان هذا الأمر: أن الأئمة ـ الذين هم الأسوة والقدوة ـ هم الذين يصنعون أنفسهم، ويستنزلون الرحمات والتوفيقات، والعنايات، والرعاية الإلهية، والتسديد الرباني، فلا مجال لأن يغلو أحد فيهم «عليهم السلام».

٧ ـ ويكون حضور النبي «صلى الله عليه وآله» وجبرئيل هذه المصارعة

من مفردات الرعاية الإلهية لهما، كما تقدم، ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «فهل لخلقٍ مثل هذه المنزلة»؟!

هدف المناشدة:

١ ـ بالنسبة لقوله «عليه السلام»: نحن صابرون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، نقول:

لقد بيَّن «صلى الله عليه وآله» الهدف من هذه المناشدة، فلاحظ ما يلي:

قد يقال: إن الرعاية الإلهية للحسن والحسين «عليهما السلام» إنما هو فيما يحتاجان فيه إلى الرعاية، لا في مثل هذا الأمر الذي لا يحتمل فيه الحاجة للرعاية، لأنه أمر عادي جداً بنظر الناس.

ويجاب:

بأن المطلوب: هو إفهام الناس: أن هذه المصارعة أمر غير عادي البتة.. ولذلك تولى هذه الرعاية أعظم وأشرف المخلوقات، وهو النبي «صلى الله عليه وآله»، وأفضل الملائكة، وأعظمهم شأناً، وهو جبرئيل.

فإن إيكال هذه الرعاية الإلهية لهما «عليهما الصلاة والسلام» يدلِّل على عظيم شأن الحسن والحسين «عليهما السلام»، وباسق فضلهما، وعلى أن لهما مقاماً عند الله تعالى، لا يدانيه مقام أحد من الخلق بعد النبي وعلي وفاطمة «عليهم وعلى آلهم أفضل الصلاة والسلام».

ومعرفة الناس بهذا المقام الشامخ، والفضل الراسخ هو لمصلحة الناس أولاً وآخراً، لأنه يعمِّق ربط الناس بأئمتهم، ويؤكد معنى الأسوة والقدوة لهم في وجدانهم، ويؤثر إيجاباً على سلوكهم.

٢ ـ إن الحديث عن الصبر والإنتظار يشير إلى أمور:

أولها: ما حاق بهم «عليهم السلام» من ظلم وعدوان، واستلاب حقوق.

الثاني: إن هذا الظلم والإستلاب لا يزال متواصلاً..

الثالث: إن المظلومين لم يصفحوا عن ظالميهم، ولم ترجع المياه إلى مجاريها الطبيعية، فلا يظنن أحد أنهم «عليهم السلام» قد نسوا، أو تنازلوا عن حقهم، ببسمة، أو بأي من أنواع الأثمان التي يتوقعها الناس.

الرابع: إن الحاكم في هذه الأمور بين المعتدي، والمعتدى عليه هو الله سبحانه وتعالى.

الخامس: إن الإرجاع إلى الله ليحكم وليقضي في هذا الأمر صريح في أن أصحاب الحق لن ينسوا حقهم، ولن يتنازلوا عنه، على قاعدة قول علي «عليه السلام»: «لنا حق فإن أعطيناه، وإلا ركبنا أعجاز الإبل، وإن طال السرى»[١].

ولن يبيعوه بأي من أنواع الأثمان التي يفكر فيها أهل الدنيا.

والسبب في ذلك: أن هذا الأمر لا يعود إليهم، بل هو لله سبحانه، يريد أن يجريه في عباده، ليسعدهم به في الدنيا والآخرة بأيدي أمناء، حكماء، علماء، مطيعين له تبارك وتعالى، وهم علي وأهل بيته الطاهرون «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٦ وعيون الحكم والمواعظ ص٤٢٠ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٦٠٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٧١ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص١٣٢.

الحسنان في محاورات أبيهما عليهم السلام:

إن محاورات علي «عليه السلام» مع خصومه وغيرهم كثيرة، وغنية بالحقائق والدقائق، ومن سماتها: الصراحة، والوضوح، والبرهان القاطع، والحجة البالغة.

ونحب أن نشير هنا إلى إحدى هذه المحاورات، التي جرت في عهد عثمان بين علي «عليه السلام» وبين أكثر من مئتي رجل من الصحابة، كانوا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وصاروا يذكرون فضائل المهاجرين والأنصار، وقريش، ويفتخرون.. وقد استمروا على ذلك من بكرة إلى حين الزوال، وعلي ساكت هو وأهل بيته. فطلبوا منه أن يتكلم، قالوا: فلم يدع شيئاً مما أنزل الله فيه خاصة، وفي أهل بيته من القرآن، ولا على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا ناشدهم الله به..

فمنه ما يقولون جميعاً: نعم..

ومنه ما يسكت بعضهم، ويقول بعض: اللهم نعم، ويقول الذين سكتوا: أنتم عندنا ثقات، وقد حدثنا غيركم ممن نثق به: أنهم سمعوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم قال حين فرغ: اللهم اشهد عليهم.

وقد ذكرنا الرواية بتمامها في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٦ الفصل الأول: فضائل تؤكد الإمامة..

وما يعنينا في هذا الكتاب هو الفقرات التي ذكر فيها «عليه السلام» ولده الإمام الحسن «عليه السلام»..

حيث ورد ذكره «عليه السلام» في هذه المناشدة المطوَّلة تسع مرات، إما

تصريحاً، أو تلويحاً.. وصرح باسمه، وبكونه ابنه خمس مرات، وذلك كما يلي:

١ ـ ذكرت الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «وآمركم بالولاية، وإني أشهدكم أنها لهذا خاصة، ووضع يده على يد علي بن أبي طالب، ثم لإبنيه من بعده» ثم للأوصياء، من بعدهم، ومن ولدهم عليهم السلام.

٢ ـ ثم قال: إنه «صلى الله عليه وآله» قال للناس عن علي وأوصيائه «عليهم السلام»: «ولا تعلِّموهم، ولا تَخَلَّفوا عنهم.. فإنهم مع الحق والحق معهم».

٣ ـ ذكر: أن آية التطهير نزلت في النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وتسعة معصومين من ولد الحسين خاصة «عليهم أفضل الصلاة والسلام».

٤ ـ ذكر أن علياً، وأوصياء النبي «صلى الله عليه وآله» من بعده هم الصادقون الذين عناهم الله تعالى في قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١].

٥ ـ ذكر أن الأئمة الاثني عشر هم الشهداء على الناس المعنيون في قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢].

٦ ـ ذكر عن النبي «صلى الله عليه وآله» أن علياً «عليه السلام» أخو النبي، ووزيره، وخليفته في أمته، وولي كل مؤمن من بعده، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد، حتى يردوا عليه الحوض.

---

(١) الآية ١١٩ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج.

وهم شهداء الله في أرضه، وحججه على خلقه، وخزائن علمه، ومعادن حكمته.. من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصا الله.

٧ ـ ذكر أنه بعد قول عمر في رزية يوم الخميس: إن نبي الله يهجر، وتفرُّقِ الناس، كتب «صلى الله عليه وآله» كتاباً أملاه على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأشهد ثلاثة رهط على ما كتب، وهم سلمان، وأبو ذر، والمقداد.

وسجل فيه أسماء أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم، وهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين «عليه السلام».

٨ ـ ذكر لهم «عليه السلام»: أن القرآن الذي جمعه ورتَّبه بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، سوف يدفعه إلى وصيِّه الإمام الحسن، ويدفعه الحسن حين موته إلى الحسين، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين، حتى يرد آخرهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حوضه.

وقال «عليه السلام»: إنهم مع القرآن، لا يفارقونه، والقرآن معهم لا يفارقهم(١).

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج ١٦ الفصل الأول ص٨ ـ ٣٣. ويمكن مراجعة هذه الموارد في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١٦ ص١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩ وراجع: بحار الأنوار ج٣١ ص٤٠٧ ـ ٤٢٧ و ٤٢٨ ـ ٤٣٢ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٦٣٦ ـ ٦٦٠ وغاية المرام ج٢ ص١٠٢ و ١٠٣ وج٦ ص١٠٣ وإكمال الدين ج١ ص٢٤٧ ـ ٢٧٩ مختصراً، وعن المصادر التالية: منهاج الفاضلين للحموئي الخراساني (مخطوط)، وإثبات الهداة ج١ ص١٠٨ و ٦٢٠ وج٢ ص٤٤٧ و ١٨٤ وفضائل السادات ج٢ ص٢٨٤ واللوامع النورانية ص٢٣٧ والغيبة للنعماني ص٥٢ والتحصين لابن

ونقول:

الإمامة هي المحور:

١ ـ إن مضمون هذه المناشدة يعطي: أن الإمام علياً «عليه السلام» لم يكن يكرر مضموناً واحداً في حلل وأشكال مختلفة، بل كان بصدد إستكمال العناصر التي يقوم بها وعليها صرح الإمامة العتيد في معناه، وفي مبناه ومغزاه، وفي حالاته، وشؤونه، ودوافعه وغاياته.

ولذلك ذكر «عليه السلام»: «أن الله تعالى أمر نبيه: أن يعلم الناس ولاة أمرهم»، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم، وزكاتهم، وصومهم، وحجهم الخ.. ثم شرع في الحديث عن معنى الولاية، وشؤونها، وحالاتها بصورة تفصيلية، كما فسر لهم أركان وشرائط الصلاة، والزكاة، وغير ذلك.. وبين لهم مستحباتها، ومكروهاتها، ومقدماتها، وتعقيباتها، وبين لهم الزكاة، وأنصبتها، وشرائطها، ومواضعها، وسائر شؤونها.

فظهر: أن ما ذكره «عليه السلام» عن الإمامة قد تضمن حقائق ودقائق.. بيَّنها «عليه السلام» بصورة متتالية ليقرّ له بها أعيان الصحابة، فكان له ما أراد، وأسفر الصبح لذي عينين، ولم يبق سبيل لأحد، لأن يتعلل بالغموض، أو بالجهل. كما لا سبيل لتهوين أمر ما جرى في السقيفة وعلى أهل البيت، فليس هو مجرد سحابة صيف أقلعت وتقشعت.

طاووس باب ٢٥ ونور الثقلين ج٥ ص٥١٦ وفرائد السمطين ج١ ص٣١٢ وينابيع المودة ص١١٤ و ٤٤٥ وكفاية الموحدين ج٢ ص٣٤٣ و ٣٥٩ وج٣ ص٢٠٢ ونزهة الكرام لمحمد حسين الرازي ص٥٣٩.

٢ ـ وقد أظهرت هذه المناشدة: أنهم، وإن كانوا قد استلبوا الخلافة بمعنى السلطة والحاكمية في بعض الأمور.. ولكنهم حرموا الأمة مما هو أثمن، وأعلى وأغلى من ذلك.. حرموها من دينها، ومن الهدى والخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولمزيد من التوضيح نقول:

ذكر الإمام الحسن عليه السلام:

إن التأمل في جانب مما تضمنته تلك النقاط التي تقدمت ـ وهو الجانب الذي تضمن ذكراً للإمام الحسن، أو إشارة إليه «عليه السلام» ـ يوضح ما نرمي إليه، فنذكر من ذلك على سبيل الإختصار ما يلي:

١ ـ إن الخلافة والإمامة هي قرار إلهي، و تدبير رباني، يجب الخضوع له، والإلتزام بفروضه، وأداء حقوقه، وحفظ حدوده. وهي علاقة بين الإمام والمأموم لها مضمون روحي وإيماني، وليست الإمامة مجرد أوامر ونواهي، وسلطة وهيمنة، وإدارة.

٢ ـ قد يكون الرافد للسلطة والهيمنة والمنطلق هو الرغبة والمزاج الشخصي، والنظرة البشرية للأفراد المنطلقة من رغباتهم، أو مصالحهم، أو شهواتهم، أو عصبياتهم، دون أن تكون لديهم روادع، أو موانع من التجاوز على الحقوق، والقيم والأعراف.

كما أنها مجرد تدبير وإجراء دنيوي، لا يرى نفسه ملزماً بمُثُل إنسانية، أو إيمانية، أو أخلاقية.. بل هو يسعى للتحرر منها، ومحاصرتها في زوايا بعيدة عن التأثير في مجالات الحركة والسلوك، وقد يحولها إلى مجرد أدوات ذهنية

تجريدية، وتهويمات تخيلية قد تتحول إلى أماني لذيذة، وأحلام يقظة، بلا مضمون حقيقي، أو واقعي.

أما الإمامة، فهي تربط الدنيا بالآخرة، وتجعل الآخرة امتداداً طبيعياً للدنيا، كما أنها تربط الإنسان بالإيمان وبالحق، وتمازج بين الحق والوجدان، وبين القيم والإنسان، وبين الدين والحياة الرغيدة، والسعيدة..

والإمامة توأم العلم والمعرفة، والمسؤولية، والإلتزام والسلوك، وفق الهدايات القرآنية، والمقتضيات الفطرية، والحاجات الطبيعية، والإنسجام مع النواميس الطبيعية.. ولأجل ذلك تجد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «علي مع الحق، والحق مع علي.. وهو مع القرآن والقرآن معه..»(١). أو نحو ذلك..

٣ ـ وهذه الحقيقة هي التي تفرض الطاعة للإمام، لأنه الدليل والهادي والمرشد إلى الحق، يتجلى الحق في كل حركة، وموقف، وسلوك منه «عليه السلام»، فهو بمنزلة رسول الله في الناس، وعلى الناس: أن يقلِّدوه دينهم، وأن يقدِّموه ولا يتقدموا عليه، تماماً كما قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٣٥ وج١ ص١٤١ ـ ١٤٦ والجمل ص٣٦ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٢١ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١٩ و ١٢٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه وراجع نزل الأبرار ص٥٦ وفي هامشه عن مجمع الزوائد ص٧ ص٢٣٤ وعن كنوز الحقائق ص٦٥ وكنز العمال ج٦ ص١٥٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٧٢.

كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[١].

كما أن هذا يحتِّم على الناس: أن يتعلموا من الأئمة، ولا يعلموهم، لأن الحق معهم، وهم مع الحق..

٤ ـ ذكر «عليه السلام» أن آية التطهير لا تختص بأصحاب الكساء: النبي، وعلي، وفاطمة، والحسنين صلوات الله عليهم، بل تشمل جميع الأئمة الاثني عشر «صلوات الله عليهم أجمعين».. مع أن من عدا أصحاب الكساء ما كانوا قد ولدوا بعد.. فيكون هذا الإخبار عن طهارتهم وعصمتهم من موارد الإخبار بالغيب، ومن دلائل إعجاز القرآن لمن عقل وتدبر.

وآية التطهير تدل على أن هؤلاء الأئمة منزهون من كل رجس، ونقص، وهوى، وعصبية، وخطأ، وغير ذلك.

ومن كان كذلك، يجب أن يكون هو المتولي لأمور الأمة، والإمام الحاكم، والهادي، والمربي، والراعي، والحافظ.. وهو القادر على إقامة الحق، والعدل، والقسط، بعيداً عن الزلل، والخطأ والخطل.

٥ ـ وأشار «عليه السلام» إلى أن الصادقين الذين أوجب الله على الناس أن يكونوا معهم، هم خصوص الأئمة المطهرين المعصومين.

وهذه إشارة إلى أن إنحياز الناس إلى غير الأئمة مخالف لصريح القرآن، وأن عليهم تصحيح مسارهم، والعودة إلى موقعهم الطبيعي الذي يتيح لهم معرفة الحقائق والدقائق، ويمكّنهم من استشراف المستقبل، والتخطيط له،

---

(١) الآية ٢ من سورة الحجرات.

وتهيئة موجبات الأمن من بوائقه، لأن استمرار الإبهام، بسبب إنعدام الرؤية يؤدي إلى الإحباط، وفقدان الأمل، والعجز عن التخطيط ثم التأسيس لمستقبل رغيد، ومجيد وسعيد.

٦ ـ وقد ذكر «عليه السلام»: أن الأئمة الإلهيين شهداء على الخلق، والرسول «صلى الله عليه وآله» شهيد على الأئمة «عليهم السلام». وهذا هو المضمون الأعمق للإمامة، والرعاية الربانية، فهي تعني:

ألف: إنه ليس لأحد أن يظن أن ما يدبره، ويخطط له يخفى على الإمام «عليه السلام»، مهما جهد ذلك الفاعل بالتستر عليه وإخفائه..

بلى إن النوايا الصالحة والسيئة، والحالات، والإنفعالات النفسية، المذمومة والممدوحة، كالحب والبغض، والخلجات القلبية، والحسد، وغير ذلك مما يحبه الله، أو يمقته، أو يثيب أو يعاقب عليه، إذا كان يعلم أن الإمام عالم به، وواقف عليه بصورة مباشرة وحسِّية، تخوله الشهادة به يوم القيامة، فإن ذلك أدعى للإنضباط، والتزام خط الصلاح والفلاح.

ويهيِّئ لاعتماد الرقابة الذاتية المؤثرة في تصحيح المسار بالإختيار، من دون حاجة إلى إكراه وإجبار.

وهذا الشعور هو الذي يودي بحالة التدليس، والخداع، والنفاق، وينتهي بها إلى التلاشي والزوال، بصورة طبيعية وهادئة، بالإستناد إلى مستوى القناعة، ودرجات اليقين لدى الأشخاص.

ب: إن مقام الشاهدية مقام جليل، يكشف للناس عن أن صاحب هذا المقام لديه قدرات، وإمكانات.. يستطيع معها أن يعرف أعمال جميع العباد

الجوارحية والجوانحية، وتكشف له عن ضمائرهم، وقلوبهم.. وحتى عن خيالاتهم وأوهامهم.

وهذا يرفع من مقام من له هذه القدرات في نفوس الناس، ويزيد من إحترامهم وإكبارهم له.

ج: ويتأكد ذلك: إذا كان هؤلاء الأئمة قد حصلوا على هذا المقام من رب العزة مباشرة، فهو الذي جعلهم شهداء يوم القيامة بحضرته.

د: كما أن الله تعالى جعلهم حججاً له على الخلق، فلا يستطيع أحد أن يدَّعي أن الهداية الإلهية لم تبلغه.

هـ: إنهم أيضاً خزَّان علمه. فليس لأحد أن يتملص من المسؤولية عن ضلاله وخطأه، بأنه سمع فلاناً، أو قلَّد فلاناً من الناس، أو أخذ من الآباء، أو الأحبار والرهبان وغيرهم.

بل عليه أن يأخذ من خصوص خزَّان علم الله تبارك وتعالى، وهم الذين يتعرف عليهم بدلالة من الله تعالى من خلال المعجزات، والدلائل والنصوص، والكرامات، وليس لأحد أن يحدد المرجعية لنفسه في أمر يطلبه الله منه، بل عليه أن يعرف من الذي اختاره الله مرجعاً، وهادياً، ودليلاً وإماماً.

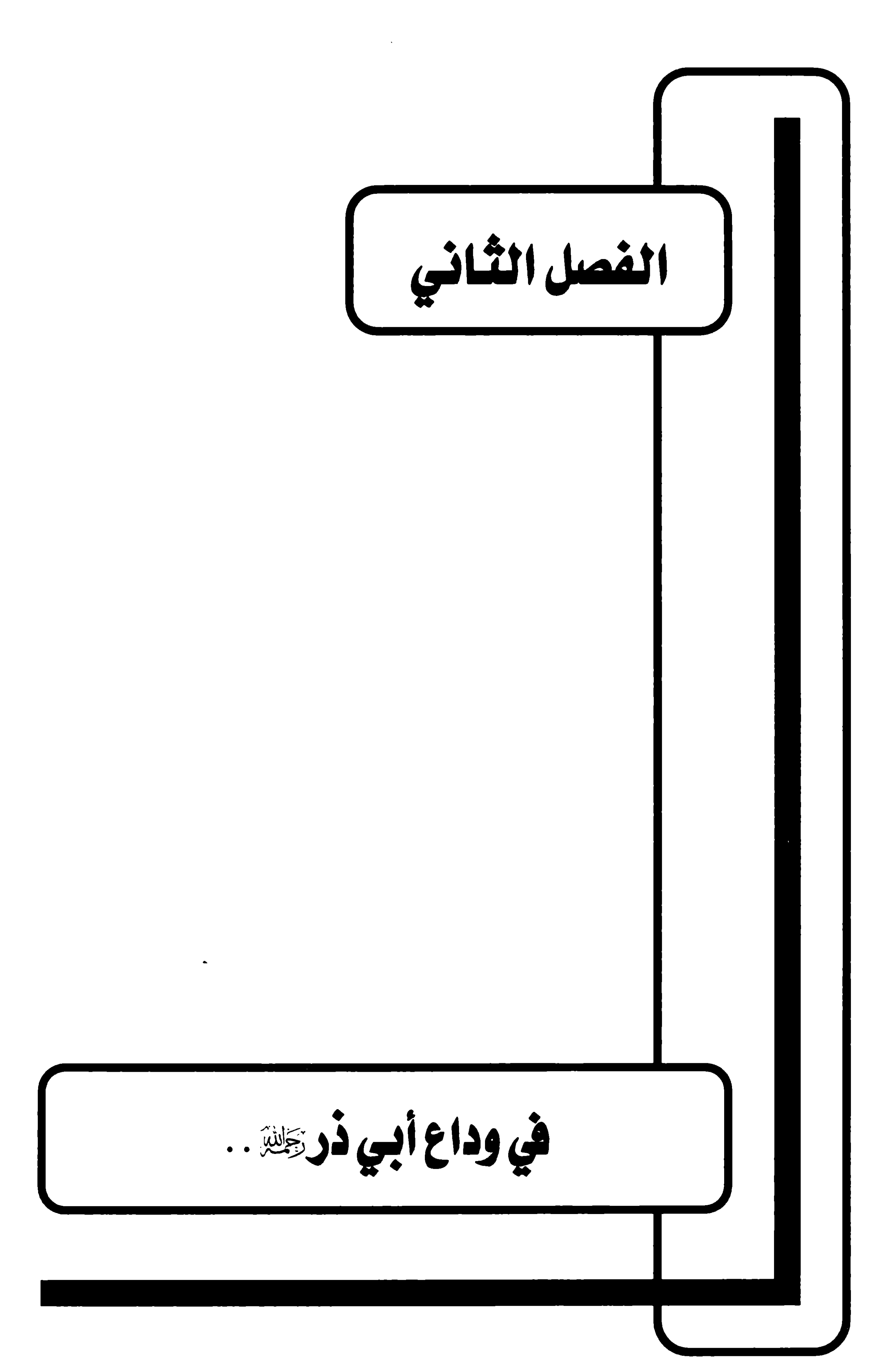
و: ليس لأحد أن يتصرف في الكون على هواه، بل لا بد من إخضاع الكون وما فيه للإرادة الإلهية التي يعرفها الأنبياء والمرسلون، والأئمة الطاهرون، الذين لهم مقام الشاهدية الذي يمكِّنهم من معرفة الأدواء، كما يعرفون الدواء، من خلال معرفتهم بشرعه، ولأنهم خزَّان علمه.

ز: أما فيما يرتبط بالآليات التنفيذية، فهم «عليهم السلام» الذين يضعون

الأمور في مواضعها، من دون حيف، أو قصورٍ أو تقصيرٍ، لأنهم معادن حكمة الله.. إنطلاقاً من علمهم بأسرار هذا الوجود، وقوانينه المهيمنة عليه، ومعرفة ما يصلحه مما يفسده.

وبذلك يعلم: أن من أطاع الأئمة، فقد أطاع الله، ومن عصاهم، فقد عصى الله تعالى.

وهم الذين يستحقون أن يكون القرآن عندهم لأنهم معه، وهو معهم، لا يفترقان لا في الدنيا ولا في الآخرة.



الفصل الثاني

في وداع أبي ذر رحمه الله ..

ذكرنا في كتابنا سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٧ ص٢٢٢، حديث وداع عمار وعقيل، وعلي وولديه «عليهم السلام» لأبي ذر حين نفاه عثمان إلى الربذة.

وذكرنا ذلك أيضاً في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٧.

وسوف نقتصر هنا على ما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» في وداعه لهذا الرجل الجليل والمظلوم، إذ لا ضرورة لذكر سائر ما جرى له هنا، فنقول:

من كلمات الوداع:

قالوا: قد تكلم الإمام الحسن «عليه السلام»، فقال: «يا عماه، لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف.

وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها (فها)، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك «صلى الله عليه وآله» وهو عنك راض[1].

---

(١) الوافي ج٣ ص١٠٧ وأشار إليه اليعقوبي في تاريخه ج٢ ص٧١ وراجع: شرح نهج

وفي نص آخر: يا عماه، إن القوم قد أتوا إليك ما قد ترى، وإن الله بالمنظر الأعلى الخ..

وقد أشارت هذه الكلمات الموجزة إلى العديد من الأمور، نذكر منها:

ما جرى على أبي ذر:

أشار «عليه السلام» بقوله: «وقد أتى القوم إليك ما ترى إلى ما تعرض له أبو ذر «رحمه الله» من ظلم وحيف، لمجرد أنه اعترض على الحكام في ممارساتهم المخالفة للشرع، لاسيما فيما اعتدوا به على المسلمين، مما يرتبط بالاستئثار لأنفسهم، وأقاربهم، وغيرهم ممن يحبَوْن بأموال المسلمين، فنفاه عثمان إلى الشام، فلم يحتمل معاوية صراحته، فأعاده إلى المدينة بأمر عثمان ـ على نحو مهين وقاس.

وقد بذلت محاولات عديدة لإسكاته «رحمه الله» عن قول الحق، فباءت بالفشل، فقرر عثمان أن ينفيه إلى الربذة، ومنع الناس من تشييعه..

فبلغ ذلك أمير المؤمنين، فبكى حتى بلَّ لحيته.

ثم نهض ومعه الحسنان، وأبناء عباس، وعقيل، وعمار، والمقداد بن الأسود، ولحقوه ليشيعوه، فاعترضهم مروان.. فأسمعه علي «عليه السلام»

البلاغة للمعتزلي ج٨ ص٢٥٢ ـ ٢٥٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤١٢ ـ ٤١٣ و ٤٣٥ ـ ٤٣٦ (مع وجود اختلاف في العبائر فليلاحظ ذلك) وروضة الكافي ص٢٠٦ و ٢٠٨ ومنهاج البراعة ج٨ ص٢٤٩ وج١٦ ص٣٠٢ ونهج السعادة ج١ ص١٦٨ والغدير ج٨ ص٣٠١ و ٣٠٢ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٨ ـ ٨٠ والدرجات الرفيعة ص٢٤٨ و ٢٤٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٠٢ ـ ٦٠٤.

ما يكره، وطرده..

فشكاه مروان إلى عثمان. فلما التقى عثمان بعلي جرى بينهما كلام شديد. ثم عادت الأمور بعد ذلك إلى حالها الطبيعية.

يا عماه:

إن أول كلمة قالها الإمام الحسن «عليه السلام» لأبي ذر هي كلمة: «يا عماه». ثم قالها له أخوه الإمام الحسين «عليه السلام». وهي كلمة تحمل معها احتراماً وتبجيلاً لأبي ذر، فإن العم الذي ينبغي احترامه، وحفظه، والدفاع عنه، وتسديده، وتأييده فيما هو محق فيه، فإذا انضم إلى ذلك: أن هذا العم يُضْطَهَدُ، لأنه ينهى عن المنكر، ويأمر بالمعروف، ولأنه يقول كلمة الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم.. فإن نصرته وتأييده في هذه الحالة تصبح من الواجبات، لأنها تؤول إلى نصرة الدين والحق.

على الناس أن يقارنوا بين ما فعله المتسلطون بأبي ذر، وهو الصحابي الجليل، والتقي الصادق، ومن مفاخر الإسلام، حتى لقد جاؤوا به من الشام إلى المدينة بصورة لا يحتملها الأقوياء من الرجال، فما بالك برجل مسن يقطعون به هذه المسافات على قتب يابس، وأعنفوا به في السير، حتى سلخ لحم فخذيه[1]، ليذلّوه، ويفرضوا عليه باطلهم ويخضعوه لإرادتهم، وأهوائهم، وليجعلوا منه عبرة لكل من تسوِّل له نفسه: أن يقف في وجه حاكم غاشم وظالم وآثم..

نعم، على الناس أن يقارنوا بين ممارسات هؤلاء ضد هذا الرجل الجليل،

---

(١) بحار الأنوار ج٣١ ص٢٧٨ و ٢٧٩ والفتوح لابن أعثم ج٢ ص١٥٦ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٣٧٤ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٢٦٩..

والتقي والصادع بالحق، بمن هم أولى بهم من أنفسهم، وهم علي وأولاده، والمتأثرون خطاه.

سكوت المودع، وإنصراف المشيع:

وقد قال الإمام الحسن «عليه السلام» في وداعه لأبي ذر: «لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام، وإن طال الأسف».

١ ـ ويبدو لنا: أن المراد: أن على المودع أن يظهر محبته، واحترامه، وتعلقه بمن يودعه، ويعرفه بمدى صعوبة فراقه، وأن بعده عنه سيزيد من كربه، فكيف إذا كان فراقاً مفروضاً بالقوة والإكراه والظلم.. ويهدف إلى الإيذاء والتشفي ممن لا ذنب له سوى جهره بالحق وقول الصدق؟!

٢ ـ أما المشيَّع، فهو الذي يختار ويقرِّر الإنصراف لحظة يشاء، لأنه هو الذي يتحمل مصاعب السفر، ويعرف كيف يقدّر الوقت الذي يناسبه، بملاحظة بعد المقصد، وأحوال الطريق، ومقدار ما لديه من طاقة وقدرة على تحمّل المشاق، بملاحظة مقدار سنِّه.

فيكون المراد باللام في قوله «للمشيع»: أن أمر الانصراف بيده..

أو أن المراد من قوله: «لا ينبغي للمشيع أن ينصرف»: أن من غير اللائق أن يبادر المشيع إلى ترك مودعيه، لكي لا يوهمهم: بأنه لا يهتم لهم، ويسهل عليه فراقهم والبعد عنهم، بل يكونون هم الذين يخففون عنه بانصرافهم، ولا يحرجونه بتسويف الوقت.

٣ ـ فظهر إذن: أن سكوت المودع ليس أمراً مرضياً، لأن السكوت يؤدي إلى الاقتصار على الضروري من كلمات الوداع، التي هي أشبه بالمجاملات

والشكليات الخاوية من المضمون، لأن من تودعه يحتاج إلى زاد من الحنان، ورصيد من الذكريات العذبة، التي يتلذذ بها كلما لاحت في ذاكرته، وتعينه على الإحتفاظ بالأمل، وتمنحه القوة والعزم والثبات في مواجهة المصاعب.

٤ ـ ثم قال «عليه السلام»: «وإن طال الأسف». ليدل على أن قصر الكلام غير مطلوب وإن فرضته حالات طارئة كمنع السلطة، أو شدة مرارة الفراق، لأن طول الأسى لفراق الأحبة، قد يعوض بعض ما يفوت من إظهار المودة، والتعبير عن المحبة، وما إلى ذلك.. ولا يدل ذلك على عدم الإهتمام بمن تودعه، ولا يشير إلى تبلُّد المشاعر تجاهه.

ضرورة الإدانة:

١ ـ إن ممارسات الحكام الظالمة، وسعيهم لقهر الناس، واستغلالهم وتسخيرهم في مآرب أولئك الحكام، والعدوان على حقوقهم، واستلاب أموالهم، وتسخيرهم لخدمتهم، ومعاملتهم بدافع العصبية والهوى، والأنانية.. قد يبدأ حين يبدأ مع شيء من وخز الضمير، وبعض الخوف والوجل من عواقب العدوان، ولكن هذا الوخز يبدأ بالخفوت، وذلك الخوف والوجل يتلاشى تدريجاً مع تكرر الإقدام على العدوان والظلم مرة بعد أخرى، ثم تبدأ الرغبة بالعدوان والظلم تتعاظم في داخل نفسه، حتى تتحول إلى لذة، وغذاء لتلك النفس الشيطانية الأمارة بالسوء.

وقد يتجاوز ذلك، ليصل إلى حد التفاخر والتباهي بالعدوان، واعتباره من أمجاده ومفاخره، ومن وسائل استدراج الثناء والتعظيم، والتفخيم والتكريم، من قبل المتزلفين والمنحرفين ليس فقط لتلتمس له المبررات، والمحسنات،

بل ليجعل منه زينة وتحفة ثمينة، وإكليل غار، بتحويله إلى قيمة إنسانية، ودليل ذكاء وعبقرية، وتفضيلاً وكرامة من الله.

وبالمبالغات، والتمجيدات، والتزيينات الشيطانية على قاعدة: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[1]، وعلى قاعدة: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2]. يعلنون الحرب على القيم والشرائع، ويحاولون تسخيفها، وتزييفها، وتقويض مكانتها من النفوس بمختلف أنواع الأساليب الشيطانية، والحيل الإبليسية، لكي يصوروا للناس الباطل حقاً، والحق باطلاً، ثم يعاقبون أهل الحق، ويلاحقونهم ويضطهدونهم ويقتلون الأخيار والأبرار تحت كل حجر ومدر، بل يقتلون حتى الأنبياء والرسل والأوصياء لاقتلاع أطروحتهم ونهجهم من الجذور ومحق ما جاؤوا به.

وكل هذا الذي ذكرناه وسواه هو الذي يحتم على كل مؤمن، إعلان مواقفه تجاه هذه الحرب الشعواء على الشرع والدين، والحق والوجدان، والضمير الإنساني، فكان هذا الموقف الرصين والرائد للأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين»، ورحم الله من هو على خطهم ونهجهم إلى يوم الدين.

٢ ـ إن هذه الإدانة للباطل وأهله، والنصرة للحق ولأبي ذر في موقفه؛ في حين أن أبا ذر «رحمه الله» لم يكن ذا صفة رسمية، ولا كان، لناصريه ومؤيديه هذه الصفة ـ يؤكد حقيقة: أن مهمة الرقابة على إقامة سُنَّة العدل، والالتزام

---

(١) الآية ٣٨ من سورة العنكبوت.

(٢) الآية ١٠٤ من سورة الكهف.

بشرع الله، والإعتراض على أية مخالفة، والعمل على تصحيحها هو مسؤولية الأمة كلها، في حدود ما رسمه الشرع الشريف لها.

لأن أيَّة مخالفة للشرع والحق إنما يعود ضررها على الناس في حقوقهم، وفي أموالهم وفي حرياتهم وأخلاقهم وفي التعامل معهم. فجعل الله لهم الحق في حماية أنفسهم من هذه الأضرار من أية جهة جاءت.

فلا يظنن أحد أن موقعه السلطوي، ومقامه الإجتماعي، أو مهمته الإدارية والتنفيذية تعطيه حصانة، كما يزعمه شياطين السياسة في أيامنا هذه، فلا أحد فوق القانون وبطريق أولى، وأجدى أن لا يكون أحد فوق شرع الله وأحكامه.

وليس لأحد أن يوظف موقعه الإداري والسلطوي، والإجتماعي في خدمة أهوائه وانحرافاته، وفي حماية تصرفاته الظالمة، وتعدياته على الآخرين، وعلى حقوقهم.. فإن فعل أحد ذلك، فعليه أن يتوقع من كل أحد أن يهبَّ للوقوف في وجهه، ويعمل على رفع أي ظلم أو حيف يأتي من قبله، ويواجه أي انحراف يصدر منه..

ولذلك لم يعبأ أمير المؤمنين «عليه السلام» بحماس السلطة لتنفيذ إجراءاتها الجائرة ضد أبي ذر، بل هو قد تحداها في ذلك، وجعل من هذه الإجراءات وسيلة لفضحها في سياساتها الظالمة، ودليلاً على فقدانها لأبسط شرائط العدل والاستقامة، والأهلية للمقام الذي جعلت نفسها فيه.

وكان لهذا الوداع الرائع أثره العظيم في توضيح مدى التباين بين شعارات أولئك الحكام، وبين ممارساتهم، وامتاز الحق عن الباطل، وأسفر الصبح لذي عينين، ولا يزال وسيبقى صدى هذه الفضيحة يتردد عبر الأجيال والأحقاب،

وإلى يوم القيامة.

الإنتقام من الظالم بالإصرار على الحق:

١ ـ حين يذكّر الإمام الحسن «عليه السلام» أبا ذر بأفاعيل القوم معه، وعدوانهم عليه، حتى انتهى بهم الأمر إلى مواجهته بقرار إعدامه بواسطة الموت البطيء، بنفيه إلى مكان تلفحه فيه رياح الفقر، وحر الهجير، ليس له فيها رفيق ولا صديق، ولا قريب أو حبيب، حتى إنه حين مات لم يكن له كفن، ولم يكن هناك من يواري جثمانه، فوقفت امرأته على قارعة الطريق حتى مرت بها قافلة من أهل العراق. أخبر النبي «صلى الله عليه وآله»: أنهم من المؤمنين، فطلبت منهم أن يكفنوه ويدفنوه، ففعلوا(١).

قال ابن خراش: وجدت أبا ذر بالربذة في مظلة شعر(٢).

ومر بشر بن حوشب الفزاري بالربذة، فرأى شيخاً أبيض الرأس واللحية، فسأل عنه، فقالوا: إنه أبو ذر..

وإذا هو في حفش: ومعه قطعة من غنم، فقلت: والله، ما هذا البلد بمحلة لبني غفار إلى آخره..(٣).

---

(١) راجع: رجال الكشي ص٦٥ وراجع الاستيعاب (ترجمة جندب بن جنادة) وهو أبو ذر، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٥ ص ٩٨ ـ ١٠١ والكنى والألقاب ج٢ ص٢٩.

(٢) أنساب الأشراف (نشر جمعية المستشرقين الألمانية) ج٥ ص٥٤٤ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج٤ ص٢٣٦.

(٣) الغدير (ط سنة ١٤٢٥ هـ) ج٨ ص ٤١٦ و (ط دار الكتاب العربي ـ بيروت سنة

قال الأميني: الحفش بكسر المهملة: البيت الصغير، أو هو من الشعر[١].

وقال أبو ذر نفسه: فسيَّرني إلى بلد ليس لي به ناصر، ولا دافع إلا الله، ما أريد إلا الله صاحباً وما أخشى مع الله وحشة[٢].

٢ ـ وإن إصرار أبي ذر على موقفه، وعدم تراجعه عنه قيد شعرة، رغم كل ما جرى عليه، وما لحقه من سجن، ونفي، وإهانات، وأذايا، ومصائب، وبلايا، رغم معاناة أبي ذر من الجوع، والحر والبرد، وضيق ذات اليد، إلى أن مات غريباً، لا يجد كفناً، ولا حتى من يكفنه ويصلي عليه ويدفنه.. ـ إن ذلك ـ قد أعطى القضية التي يحملها هذا الرجل الجليل، ويدافع عنها انتشاراً بين الناس، وطارت الأخبار بما جرى عليه في شرق الأرض وغربها، وبقي رجع صداها يتردد في الوهاد والشعاب، في عمق مستقبل الأمة، وسيبقى يتردد إلى أن يورث الله تعالى الأرض وما عليها لعباده الصالحين والمستضعفين.

٣ ـ وقد رأينا: أن كلمات الإمام الحسن «عليه السلام» في وداع أبي ذر قد ركزت على العوامل المؤثرة في صموده وصلابته، وثباته على موقفه.

فإن ما يضعف العزائم في مثل هذا الموقف هو الحنين إلى الراحة، والميل إلى السلامة، ثم الشعور بخذلان من يتوقع منهم نصرته وتأييده.

وها هم أصحاب القضية، والقادة والذادة، وخلاصة القداسات، وأشرف وأفضل المخلوقات كانوا ولا زالوا، وسيبقون معه في مواقفهم وفي قلوبهم

١٣٨٧هـ) ج٨ ص٢٩٤.

(١) الغدير ج ٨ هامش ص ٤١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٨ ص ٢٥٢– ٢٦٢.

ومشاعرهم، وكل طاقاتهم ويواجهون البغي والطغيان بكل ما لديهم من قوة وحول..

وقد جاءت كلمات الإمام الحسن «عليه السلام» لتضع الضمانات المانعة والرادعة من الوقوع في شرك حب الراحة، والميل إلى السلامة في الدنيا، بتذكُّر فراغها من المضمون، وتذكُّر فراقها القريب الذي لا يستأهل مدة هذا التعلق بها، أو التفكير فيها.. فهي إذن، لا تستحق أن يمنحها الإنسان عمره ومستقبله، ويضحي بالآخرة في سبيل دنيا لا قيمة لها، بل هي محض شدائد وبلايا، وكوارث ورزايا.

وإنما يستكين الإنسان إليها، بسبب ضعفه، وقصر نظره، فيقدِّم أغلى ما يملك، وهو وجوده وكرامته، وشخصيته الإيمانية ومصيره في آخرته في سبيل ما لا يعدو كونه خيالات وأوهاماً، وخواطر وأحلاماً، لا تسمن ولا تغني من جوع.

في حين أن الإنسان المؤمن إذا استغنى عن هذه اللحظات الفارغة والأوهام الزائلة والخيالات الزائفة، فإنه يتحول إلى كتلة قوة، وطود عظمة، ووجود راسخ ممتد إلى أبد الآبدين، ودهر الداهرين، في الدنيا والآخرة.

ولا ينال منه ومن عزمه، وإرادته، وشموخه أعتى الجبابرة، مهما امتلكوا من سلاح، وكدسوا من قدرات.. بل سيجدونه على استعداد لكل تضحية وفداء، مع مزيد من السرور والهناء، والأنس بالبذل والعطاء.. فلا يرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً.

ويكون الموت أروع وأهنأ اللحظات عنده، وأسعدها هي لحظة لقائه نبيه، وهو عنه راض، وبقدومه عليه مستبشر.

الفصل الثالث

الإمام الحسن عليه السلام في الفتوحات..

نصوص وآثار:

١ ـ ذكروا: أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح، حين أراد التوغل في إفريقية، استمد عثمان، فأمده من المدينة بالعساكر، وفيهم جماعة من الصحابة، كابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وابن جعفر، والحسن، والحسين، وابن الزبير.

فساروا سنة ست وعشرين، إلى برقة، ثم إلى طرابلس، فنهبوا الردم عندها، ثم ساروا إلى إفريقية، وبثوا السرايا في كل ناحية[1].

٢ ـ فيما يرتبط ببلاد المشرق، قالوا: إن أهل طبرستان صالحوا في عهد عمر سويد بن مقرن على مال بذلوه، ثم نقضوا.. فغزاهم سعيد بن العاص، سنة ٢٩ أو ٣٠ في عهد عثمان، ومعه الحسن والحسين، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وابن عمرو بن العاص.

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر (ط دار الكتاب اللبناني) ج٢ ص١٠٠٣ و (ط الأعلمي سنة ١٣٩١هـ) ج٢ قسم ١ ص١٢٨ و ١٢٩ والاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى للناصري السلاوي ج١ ص٣٩ وراجع: الأعلام للزركلي ج٤ ص٨٨ و ٨٩ وحياة الحسن «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٩٥ وسيرة الأئمة الاثني عشر ج٢ ص١٦ ـ ١٨ وج١ ص٥٣٥ عن ابن خلدون.

فنزل سعيد قومس، وهي صلح، وأتى جرجان فصالحوه، ثم طميسة فقاتلوه، حتى صلى صلاة الخوف. وقد سأل سعيد حذيفة عن كيفيتها، فعلمه إياها[(١)].

وعد السهمي الإمام الحسن، والإمام الحسين، في جملة من دخل جرجان[(٢)].

وعدَّ أبو نعيم الإمام الحسن «عليه السلام» في جملة من دخل إصبهان أيضاً[(٣)].

ونقول:

إننا نرتاب كثيراً في صحة هذه المزاعم، ومستندنا في ريبنا هذا يتضح مما

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٦٩ و (ط الأعلمي) ج٣ ص٣٢٣ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٠٩ والبداية والنهاية ج٧ ص١٥٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص١٧٣ و ١٧٤ وتاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ج٢ قسم ١ ص١٣٥ وفتوح البلدان (بتحقيق المنجد) قسم ٢ ص٤١١ والفتوحات الإسلامية لدحلان ج١ ص١٧٥ وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٧ والبلدان لابن الفقيه الهمذاني ص٥٧٠ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٦١٣ ونهاية الأرب ج١٩ ص٤١٨ و ٤١٩ وحياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٩٦ وسيرة الأئمة الاثني عشر ج١ ص٥٣٦ وج٢ ص١٧ عن ابن خلدون والطبري.

(٢) تاريخ جرجان ص٧ وراجع: البلدان لابن الفقيه الهمذاني ص٥٧٠ ومعجم البلدان ج٤ ص١٥ وفتوح البلدان ج٢ ص٤١١ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٢٣ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٠٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص١٧٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص١٣٥.

(٣) ذكر أخبار إصبهان ج١ ص٤٤ وراجع ص٤٣ و ٤٧.

نذكره من مطالب، فيما يلي من عناوين:

دخول البلد لا يعني دخول حرب:

بالنسبة لما ذكره أبو نعيم، والسهمي من أن الحسنين «عليهما السلام» دخلا أصبهان، وما ذكره السهمي، من أنهما دخلا جرجان أيضاً، نقول:

إن هذا لا يدل على دخولهما، في جملة الفاتحين.

وقد أجاب السهمي عن هذين الأمرين، فقال: «..وذكر عباس بن عبد الرحمن المروزي في كتابه التاريخ قال: قدم الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير أصبهان، مجتازين إلى جرجان، فإن ثبت هذا، يدل على أنه كان في أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «رضي الله تعالى عنه»[(١)].

تأخر المشاركة:

١ ـ إن أهم الفتوحات إنما حصلت في عهد أبي بكر وعمر، وعثمان.. وما يذكر عن غزو أصفهان وجرجان إنما حصل في سنة ٢٦ أو في سنة ٢٩، أو في سنة ٣٠ للهجرة..

فأما بالنسبة لمشاركة الإمام الحسين «عليه السلام» في غزوة القسطنطينية، فقد تحدثنا عن ذلك في كتاب سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٧.. ومع ذلك نقول هنا:

لماذا لم يشارك الحسنان «عليهما السلام» في الفتوحات قبل هذه السنين؟! مع أن الإسلام حثَّ على الجهاد والمرابطة، ورغَّب ووعد بالمثوبات، وبدرجات

---

(١) تاريخ جرجان للسهمي ص٩ و (ط عالم الكتب ـ بيروت سنة ١٤٠٧هـ) ص٤٨.

القربى والزلفى من الله تعالى؟!

وهل الذي كان متحمساً للمشاركة في الحرب، وكان يتطاول ـ أي يظهر أنه طويل القامة ـ ولم يكن قد بلغ الحلم، لكي يقبله «صلى الله عليه وآله» كان أشجع، أو أشد رغبة من الحسن والحسين «عليهما السلام» في ثواب الجهاد؟!

وقد عرض ابن عمر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر وأُحد، فردَّه، لأنه لم يبلغ الحلم ـ وكذلك البراء بن عازب ـ وقَبِلَه في الخندق[1] وقيل في أحد[2].

فإذا كان الحسنان «عليهما السلام» قد بلغا الحلم في سنة ١٧ و ١٨ للهجرة، فلماذا لم يشاركا في فتح الري مثلاً، فضلاً عن غيرها من البلاد التي فتحت في السنوات من ١٨ إلى سنة ٣٠ أو ٢٩ للهجرة؟!

لا مجال للمشاركة:

والأهم من ذلك.. السؤال عن سبب عدم مشاركة أبيهما في أي من

(١) الإستيعاب (بهامش الاصابة) ج٢ و (ط دار الجيل) ج١ ص١٥٦.

(٢) راجع: الإصابة (ترجمة عبد الله بن عمر) ج٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٤١١ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٢٥٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٥٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٠٨ والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧ ص٧٣٥ وج٨ ص٤٣ والآحاد والمثاني ج٤ ص١٣٠ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢١٩ والمعجم الكبير ج٢ ص٢٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٤٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣١ ص٩٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٤٥٦.

الفتوحات التي جرت في عهد أبي بكر وعمر، وعثمان، التي استمرت ربع قرن من الزمان؟!

فإن كان السبب في ذلك هو تسجيل موقف احتجاجي على الخلفاء فيما فعلوه من اغتصاب للخلافة، فلماذا يشارك في المشورة المتعلقة بتلك الفتوحات، وفي إدارتها، وفي تعيين قادتها؟!

٢ ـ ولعل الجواب الوحيد القابل للاعتماد هو: أن موقف علي «عليه السلام» من الفتوحات ينقسم إلى شقين:

أحدهما: أنه «عليه السلام» كان يريد لهذه الفتوحات أن تحصل، لأن حكام تلك البلاد كانت لديهم جيوش جرارة، وإمكانات هائلة، واستكبار وطغيان، وطموحات، ورغبات خطيرة، تجاه جيرانهم، ولا يمكن أن يرضوا منهم سوى بالخضوع والطاعة.

والبديل عن ذلك: هو الاجتياح الشامل، بكل ما يحمله من كوارث ومآس، وتقويض دعائم أي حكم أو نظام، ومحق أية دعوة إلهية، أو بشرية تمنح روادها بعضاً من التماسك، وقدراً من القوة، وتدعوهم إلى الاستقلال، ورفض الإذلال والاستغلال..

شاهدنا على ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل بعد الهجرة ببضع سنين رسائل إلى كسرى، وقيصر والنجاشي، والمقوقس، وسواهم.. يدعوهم فيها إلى الإسلام والإيمان..

فكان رد النجاشي هو قبول الإسلام..

أما المقوقس فردّ رداً وديّاً..

وكان ردّ قيصر غير عدائي.. ولكنه دافع وراوغ.

وأما كسرى، فقد مزَّق كتاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك، قال: مزق الله ملكه كما مزق كتابي.

فكيف إذا انضم إلى ذلك: أن هؤلاء الجبابرة لا يحتملون أن يكون للعرب في جوارهم سلطان، وشخصية، وكيان.. وهم يكنون لهم أشد أنواع الإحتقار، والإستصغار.. وهم لن يدعوهم وشأنهم.. بل سيسعون لإخضاعهم، وإذلالهم، ومصادرة حرياتهم، ومنها: حرية الإعتقاد، والإيمان، إذا كان مضمونه يخالف ما هم عليه، فكيف إذا كان يشرِّع للناس حقوقاً، ويمنحهم حصانة، ومناعة من الإستغلال، والإستعباد، والذل، والهوان؟!

فلأجل حفظ هذا الدين كان لا بد من كسر شوكة هؤلاء الجبابرة، وإبعاد خطرهم عن الدين وأهله، ولكن وفق سنن العدل، وطبق أحكام الشرع.

الثاني: إنه «عليه السلام» كان يعلم: أن الذين استولوا على السلطة، ونصَّبوا أنفسهم خُلَفَاء وحكَّاماً لا يملكون القدر الكافي من التصميم على صد أعوانهم، والمتولين لتنفيذ أوامرهم وسياساتهم عن تجاوز الحدود الشرعية، والأخلاقية، والإنسانية، وغيرها..

بل إن قسماً من قرارات الرؤساء، وأصحاب الهيمنة مشوب بالعاهات والمنفرات، مضمخ بالأهواء والعصبيات، فضلاً عن أنواع من الجهالات التي قد يرتقي بعضها إلى حد الجرائم والجنايات!!

وذلك كله يجعل من المشاركة مع الحكام وأعوانهم في أعمالهم وسياساتهم، وإجراء قراراتهم أمراً متعذراً، إلى حد الإستحالة على الأصفياء، والأولياء،

وأهل الدين.. وعلي والحسن والحسين «عليهم السلام» هم رأس هؤلاء، بل هم أقدس الموجودات، وأفضل الخلق، وأحرصهم على الشرع والحق.

إلا إذا وجدوا أن ثمة خطراً هائلاً يتهدد الإسلام وأهله، فإنهم «عليهم السلام» سوف يبادرون إلى درئه بالنصيحة والإرشاد والمشورة، التي لا تصل إلى حد المشاركة، وتقاسم المسؤولية عن أي جريمة تقع، أو أي ظلم، أو حيف يتسبب به أهل الأهواء والجاهلون المتسلطون، وأهل الدنيا.

ولأجل ذلك كان علي «عليه السلام» يشير على عمر بما يحل له مشكلاته، حين يجد نفسه في مأزق خطير، بل قد يسمي له من يعتمده للقيادة، كالنعمان بن مقرن، ويفسح «عليه السلام» المجال للخلص من أصحابه ليبادروا في ساعات الشدة إلى إنقاذ الموقف، من أمثال حذيفة بن اليمان، وجندب بن زهير، والأشتر، وكثيرين آخرين.

وبعد درء الخطر، وكسر شوكة الطاغوت، يستغنون عنهم، ويعيدون من هم على مثل رأيهم إلى المناصب لنيل الرغائب، والحصول على المكاسب، والتصرف في الأمور كما يحلو لهم.

٣ ـ إن الحكام، وأتباعهم الذين كانوا يولونهم قيادة جيوش الفاتحين، ومعهم المشاركون فيها كانت لهم أغراض أخرى غير ما كان يفكر فيه علي «عليه السلام» ومن معه، فقد أصبحت الفتوحات للحكام وأعوانهم، وأحبائهم، وغيرهم من الفاتحين، مصدر ثروة، ووسيلة نفوذ وأبهة، وسلَّماً للوصول والحصول على المقامات والإقطاعات، وموضع طمع بالدنيا، وما فيها من زبارج وبهارج، وأمر ونهي، وما إلى ذلك..

وأصبحت الصفة البارزة في تلك الفتوح هي ذلك، فظهرت وتجسدت فيها السياسات الظالمة، وفرضت على الناس السلطة الغاشمة، وأصبحت من وسائل الصد عن دين الله، لما تحمله لأهل البلاد المفتوحة من مآسيَ وكوارث، وما يصاحبها من ظلم وعدوان على الحريات، والحقوق، والكرامات، حتى رأينا: أن أهالي البلاد المفتوحة كانوا يعلنون الإسلام، ليكف عنهم الفاتحون، ولكن الظلم لا يرتفع عنهم، فإذا أمنوا، وسنحت لهم الفرصة يعودون إلى الكفر من جديد، فيعود الفاتحون إلى فتح بلادهم مرة أخرى.. ولذا نجد: أن عدداً من البلاد فتح أكثر من مرة[١]، لأنهم يجدون أن ثمة بوناً شاسعاً بين أقوال الفاتحين، وبين أفعالهم، حيث كان يحيق بأهل تلك البلاد في كل مرة ظلم أشد، ويجدون معاملة أقسى.

وكل هذا الذي كان، إنما كان بدافع الحصول على الأموال، والحسناوات، واستعباد أهل تلك البلاد، وإذلالهم، ومصادرة ممتلكاتهم، والتسلط عليهم، وتسخيرهم في مصالح العتاة والظالمين..

وقد ذكرنا شطراً من النصوص الدالة على ذلك في كتابنا: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٧ من ص٢٣٧ إلى ص٢٤٢. فراجع.

---

(١) راجع على سبيل المثال: العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ج٢ قسم ٢ ص١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج٣ ص٣٢٥ والبداية والنهاية ج٧ ص١٥٢ و ١٥٥ و ١٦٥ و ١٢١ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٨٦ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٦٥ والفتوحات الإسلامية لدحلان ج١، والفتوح لابن أعثم، وغير ذلك..

أين الحسنان عن هذا؟!:

١ ـ ولكي يظهر مغزى ما نرمي إليه من كلامنا المتقدم نقول:

إن سعيد بن العاص غزا طبرستان في سنة تسع وعشرين، أو في سنة ثلاثين للهجرة، وقد جاء هذا الجيش الذي يُدَّعى: أن الحسن والحسين كانا فيه.. إلى جرجان، فصالحه أهلها، فانتقل إلى بلدة متاخمة لجرجان تقع على ساحل البحر، فقاتله أهلها، فصلى سعيد بأصحابه صلاة الخوف، ولم يكن يعرفها، فعلَّمه حذيفة كيفيتها، ثم حاصرهم سعيد، فسألوه الأمان، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً..

ففتحوا له الحصن، فقتلهم جميعاً، إلَّا رجلاً واحداً، وحوى ما في الحصن[1].

فهل ترى ـ قارئي العزيز ـ إجراماً أفحش، وأقبح، وأقسى من هذا؟! وهل يستسيغ دين، أو وجدان أو ضمير حي هذا الخداع الرذل، من رجل نذل، يهلك الحرث والنسل، يعطي الأمان، ثم يغدر بالمستأمن بلا فصل؟!

وحين يتناقل الناس ما فعله هذا المجرم، هل ترى أنهم سوف يكبرونه، أم يحتقرونه؟!

وهل سيرونه قدوة وهادياً لهم؟! وهل سيجد غير المسلم في هذا الدين الذي يدعوه إليه أمثال سعيد ملاذاً، ومصلحة في الدخول فيه، ونصرته،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط الاستقامة) ج٣ ص٣٢٣ و ٣٢٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص١١٠ والبداية والنهاية ج٧ ص١٥٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص١٧٣ و ١٧٤ ونهاية الأرب ج١٩ ص٤١٨ و ٤١٩ وراجع ج٦ ص١٧٧ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٦١٣ والروض المعطار ص٣٨٦.

والدفاع عنه بنفسه، وبماله، وكل ما لديه؟!

وإذا كان الحسنان «عليهما السلام» في جيش هذا القائد، فلا بد أن نسألهما: هل اعترضا عليه؟! أم سكتا عنه؟!

فإن كانا قد اعترضا، فأين هذا الإعتراض؟! ولماذا لم ينقله أحد إلينا؟!

وإن كانا قد سكتا عنه، فلا بد أن نسأل: كيف سكتا عن فعله هذا؟! ولماذا لم يعترضا؟! ولماذا لم يذكرا بعد عودتهما شيئاً عن فعلته هذه؟!

كما أن سائر الذين كانوا مع سعيد لم يسمع لهم أي صوت في الإعتراض عليه، لا حين كانوا معه، ولا حين رجعوا إلى المدينة وغيرها..

أليس يقال: الساكت عن الحق شيطان أخرس؟! وأليس الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم(١).

ومن أولى من المجاهدين في سبيل الله، وخصوصاً الحسن والحسين «عليهما السلام» بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

٢ ـ إذا كانت هذه الغزوة إلى جرجان قد حصلت في سنة ٢٩ أو سنة ٣٠ للهجرة فتكون في زمن عثمان، الذي قرر أو مارس سياسة التجمير في الفتوحات، وهو حبس الجيش في أرض العدو.

---

(١) خصائص الأئمة ص١٠٧ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٥ ص٣٣٢ وشرح نهج البلاغة ج١٨ ص٣٦٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٦ ص١٤١ و (الإسلامية) ج١١ ص٤١١ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٢١٤ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص٦٤ وبحار الأنوار ج٩٧ ص٩٦ ومنهاج البراعة للراوندي ج٣ ص٣٢٧.

والسبب في قراره هذا: أن النقمة من الناس على عثمان وعماله كانت قد ظهرت بسبب سياساتهم الظالمة، وكان عثمان يحمي عماله بكل قوة(١).

وهذه السياسة بدأت في وقت مبكر من خلافة عثمان، وكان ما جرى على أبي ذر من قبل عثمان وعمّاله بسبب اعتراضات أبي ذر قد كان قبل سنتي ٢٩ و ٣٠، فنفاه عثمان إلى الشام، فبقي فيها مدة أيضاً يعلن فيها بالطعن على عثمان وعمّاله، فراجع فيه معاوية عثمان، فأمره بأن يعيده إلى المدينة، وبذلت أيضاً محاولات لإسكاته، فلم تنفع، فنفاه عثمان إلى الربذة، فلبث فيها أيضاً ما شاء الله، إلى أن توفي في سنة ٣١، أو سنة ٣٢ للهجرة.

فهل تعرض الحسن والحسين «عليهما السلام» للتجمير في هذا السفر الطويل؟! وكيف رضي علي والحسنان «عليهم السلام» بأن يعرضا أنفسهما لهذا الظلم، ولم ينبسا ببنت شفة، ولا سجّلا اعتراضاً، ولا تذمراً، ولا إدانة لهذا السلوك الذي رفضه الشرع والوجدان، والأخلاق.

الجهاد مع غير المعصوم:

وإذا رجعنا إلى الأحاديث الشريفة، فإننا نجد أنها طوائف متعددة نذكرها

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج٣ ص٣٧٣ و ٣٧٤ حوادث سنة ٣٤ هـ. وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج٢ ص١٧٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٣٨٨ و ٣٨٩ ومروج الذهب ج٢ ص٣٣٧ و (ط أخرى) ج٢ ص٣٥٠ وأنساب الأشراف ج٥ ص٨٩ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٤٩ و ١٥٠ وتجارب الأمم ج١ ص٤٢٩ و ٤٣٠ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١٨٢.

هنا، مع نموذج منها، فنقول:

الطائفة الأولى:

ما دل على مشروعية القتال مع إمام عادل، فقد كتب الإمام الرضا «عليه السلام» إلى المأمون: «والجهاد واجب مع إمام عادل، ومن قاتل فقتل دون ماله ورحله، ونفسه، فهو شهيد»(١).

وقريب منه مروي عن الإمام الصادق أيضاً(٢).

الطائفة الثانية:

ما دل على أن من اضطر إلى الرباط مع الظالمين والمنحرفين، فليقاتل عن بيضة الإسلام والمسلمين، فقد:

١ ـ روي عن يونس قال: سأل أبا الحسن (أي الرضا) «عليه السلام» رجل، وأنا حاضر، فقلت (الظاهر أن الصحيح: فقال:) جعلت فداك، إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وقوساً (فرساً) في سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه.. ثم لقيه أصحابه، فأخبروه: أن السبيل مع هؤلاء، لا يجوز. وأمروه بردها؟!

فقال: فليفعل.

---

(١) تحف العقول ص٣١٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٩ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٥ والخصال ص٦٠٧ أبواب المئة فما فوقها، وبحار الأنوار ج٩٧ ص٢٣ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص١٢٤.

(٢) الخصال ص٦٠٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٩ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٥ وبحار الأنوار ج١٠ ص٢٢٦.

قال: قد طلب الرجل فلم يجده. وقيل له: قد قضى الرجل.

قال: فليرابط، ولا يقاتل.

قلت: مثل قزوين، وعسقلان، والديلم، وما أشبه هذه الثغور؟!

فقال: نعم.

قال: فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط، فكيف يصنع؟!

قال: يقاتل عن بيضة الإسلام (زاد في العلل قوله: لا عن هؤلاء).

قال: يجاهد؟!.

قال: لا، إلا أن يخاف على دار المسلمين.

قلت: أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟!

قال: يرابط ولا يقاتل. فإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين، قاتل، فيكون قتاله لنفسه، لا للسلطان، لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد «صلى الله عليه وآله»(١).

٢ ـ عن محمد بن عيسى، عن الرضا «عليه السلام»: أن يونس سأله، وهو حاضر عن رجل من هؤلاء، مات وأوصى أن يدفع فرس، وألف درهم، وسيف لمن يرابط عنه، ويقاتل في بعض هذه الثغور.

فعمد الوصي، فدفع ذلك كله إلى رجل من أصحابنا، فأخذه منه، وهو

---

(١) تهذيب الأحكام ج٦ ص١٢٥ وعلل الشرايع ص٦٠٣ والكافي ج٥ ص٢١ وبحار الأنوار ج٩٧ ص٢٢ و ٢٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٢٧ و ٥٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٣٠ و (الإسلامية) ج١١ ص٢٠.

لا يعلم أنه لم يأت لذلك وقت بعد.. فما تقول؟! يحلُّ له أن يرابط عن الرجل في بعض هذه الثغور، أم لا؟!

فقال: يرد إلى الوصي ما أخذ منه، ولا يرابط. فإنه لم يأت لذلك وقت بعد.

فقال: يرده عليه.

فقال يونس: فإنه لا يعرف الوصي، ولا يدري أين مكانه.

فقال الرضا «عليه السلام»: يسأل عنه.

فقال له يونس بن عبد الرحمن: فقد يسأل عنه، فلم يقع عليه، كيف يصنع؟!

فقال: إن كان هكذا فليرابط، ولا يقاتل.

فقال له يونس: فإنه قد رابط، وجاءه العدو، وكاد أن يدخل عليه في داره، فما يصنع؟! يقاتل، أم لا؟!

فقال الرضا «عليه السلام»: إذا كان ذلك كذلك، فلا يقاتل عن هؤلاء، ولكن يقاتل عن بيضة الإسلام، فإنه في ذهاب بيضة الإسلام دروس ذكر محمد «صلى الله عليه وآله» إلخ..[١].

الطائفة الثالثة:

ما دل على أنه لا جهاد إلا مع إمام عادل، ومنها الروايات التالية:

---

(١) قرب الإسناد ص٣٤٥ ـ ٣٤٦ وبحار الأنوار ج٩٧ ص٦٢ ـ ٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٣٢ ـ ٣٣ و (الإسلامية) ج١١ ص٢١ ـ ٢٢ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج٢ ص٤١١.

١ ـ عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: «ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلا الحج والعمرة، والجوار»(١).

٢ ـ عن عبد الملك بن عمرو، قال: قال لي أبو عبدالله «عليه السلام»: يا عبد الملك، ما لي لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟!

قال: قلت: وأين؟!

قال: جدة، وعبادان، والمصيصة، وقزوين.

فقلت: انتظاراً لأمركم، والإقتداء بكم.

فقال: إي والله، لو كان خيراً ما سبقونا إليه.

قال: قلت له: فإن الزيدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر خلاف، إلا أنه لا يرى الجهاد.

فقال: أنا لا أراه؟!

بلى والله، إني لأراه، ولكنني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم(٢).

---

(١) الكافي ج١ ص٢٥١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٧ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٣ وبحار الأنوار ج٢٥ ص٧٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٥٢ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٨٢٦ ومرآة العقول ج٣ ص٩٥ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٧٠٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٤ ص٣٦٧.

(٢) الكافي ج٥ ص١٩ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٢٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٦ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٢ وخاتمة المستدرك للميرزا النوري ج٤ ص٤٥١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٥٠ وإكليل المنهج في تحقيق المطلب للكرباسي ص٣٤٨.

٣ ـ وفي تفسير آية: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾(١). روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: نزلت فينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد، وسيكون ذلك: من نسلنا المرابط، ومن نسل ابن ناثل المرابط(٢).

والمراد بابن ناثل ـ فيما يظهر ـ: العباس بن عبد المطلب، فإن اسم أمه «نثيلة». ويتضح ذلك بملاحظة الرواية التالية أيضاً.

٤ ـ عن القمي «رحمه الله»، عن السجاد «عليه السلام» قال: نزلت الآية في العباس وفينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به، وسيكون ذلك: من نسلنا المرابط، ومن نسله المرابط(٣).

---

(١) الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير العياشي ج١ ص٢١٣ وج٢ ص٣٠٥ وتفسير القمي ج٢ ص٢٣ والبرهان (تفسير) ج٢ ص١٥٢ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٢٧ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٤٢٧ وج٣ ص١٩٦ وكنز الدقائق (تفسير) ج٢ ص٣٣٠ والإختصاص للشيخ المفيد ص٧٢ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٨٩ وج٢٤ ص٢١٩ وج٢٤ ص٣٧٥ و ٣٧٩ وج٤٢ ص١٥٠ وج٥٥ ص٢٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٢٦.

(٣) البرهان (تفسير) ج٤ ص٥٩١ و (ط مؤسسة البعثة) ج١ ص٧٣١ و ٧٣٣ وج٣ ص٥٥٨ و ٥٦٠ وتفسير القمي ج٢ ص١٥٢ و (ط النجف سنة ١٣٨٧هـ) ج٢ ص٢٣ وله نص آخر ذكره في البرهان ج٢ ص١٥٠ والغيبة للنعماني ص٢٠٥ و ٢٠٦ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٤٢٧ وج٢ ص١٩٦ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٣٠٠ وج٧ ص٤٦٤ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٢ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٢٧ والإختصاص للمفيد ص٧٢ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٨٩ وج٢٤ ص٢١٩ و ٣٧٥ و ٣٧٨ وج٤٢ ص١٥٠ وتفسير العياشي ج١ ص٢١٣ وج٢ ص٣٠٥ وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص٢٧٣ ـ ٣٧٥.

٥ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: الجهاد أفضل الأشياء في وقت الجهاد، ولا جهاد إلا مع الإمام(١).

الطائفة الرابعة:

الروايات التي تحرِّم الجهاد مع غير الإمام المفترض الطاعة، ومنها الروايات التالية:

١ ـ روي عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفِّذ في الفيء أمر الله عز وجل، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا، والإشاطة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية(٢).

٢ ـ عن بشير (الدهان) أنه قال لأبي عبدالله «عليه السلام»: إني رأيت في المنام: أني قلت لك: إن القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام، مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

---

(١) بحار الأنوار ج٩٦ ص١٠ وج٩٧ ص٢٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص١١٩ و (الإسلامية) ج٨ ص٨٣ وكامل الزيارات ص٥٥٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص١٧٧ وج١٢ ص٤٠١ وج١٣ ص١٨.

(٢) علل الشرايع ص٤٦٤ والخصال ص٦٢٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٩ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٥١ وتحف العقول ص١١٤ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج١ ص٢٤٥ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٠٤ وج٩٧ ص٢١ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٤٢ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٢٣.

فقلت لي: نعم، هو كذلك.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: هو كذلك، هو كذلك(١).

٣ ـ عن محمد بن عبد الله السمندري قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: إني أكون بالباب ـ يعني باب الأبواب ـ، فينادون: السلاح. فأخرج معهم.

فقال: أرأيتك إن خرجت فأسرت رجلاً، فأعطيته الأمان، وجعلت له من العهد ما جعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» للمشركين، أكان (أكانوا) يفون لك به؟!

قال: قلت: لا والله، جعلت فداك، ما كانوا يفون لي به.

قال: فلا تخرج.

قال: ثم قال لي: أما إن هناك السيف(٢).

٤ ـ عن سماعة عن أبي عبدالله «عليه السلام»، وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال رجل لعلي بن الحسين «عليه السلام» (والرجل هو عباد البصري):

أقبلت على الحج وتركت الجهاد، فوجدت الحج أيسر عليك، والله يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**﴾ الآية..؟!

فقال علي بن الحسين «عليه السلام»: اقرأ ما بعدها.

---

(١) الكافي ج٥ ص٢٧ و ٢٣ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٣٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٥ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٢ وأجوبة مسائل جار الله للسيد شرف الدين ص٦٢.

(٢) تهذيب الأحكام ج٦ ص١٣٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٨ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٥٢ .

قال: فقرأ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾(١).

قال: فقال علي بن الحسين «عليه السلام»: إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً.. أو نحو ذلك(٢).

وبذلك يعلم:

ألف: أن الأئمة «عليهم السلام» قد بيَّنوا عدم جواز الخروج مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء حكم الله، فهل يخرج مع الماكر والخادع، الذي يخون العهد، ويقتل أهل مدينة عجز عن إخضاعهم بقتلهم عن بكرة أبيهم، ولا يبقي منهم إلا رجلاً واحداً؟!

ب: ظهر: أن القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام، مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير..

ولا يرضون بمشاركة شيعتهم في المرابطة، ولا يجيزون بذل مال في هذا

---

(١) الآيتان ١١١ و ١١٢ من سورة التوبة.

(٢) تهذيب الأحكام ج٦ ص١٣٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٤٨ و ٤٦ و ٤٧ و (الإسلامية) ج١١ ص٣٤ و ٣٣ و ٣٢ والكافي ج٥ ص٢٢ والإحتجاج ج٢ ص٤٤ وتفسير القمي ج١ ص٣٠٦ ومجمع البيان ج٥ ص١٣١ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٨١ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص٢٧٢ و ٢٧٣ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٩٨ وبحار الأنوار ج٤٦ ص١١٦ وج٩٧ ص١٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص١٧٨ وج١٣ ص٥٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٣٥ وتأويل الآيات الظاهرة لشرف الدين الحسيني ج١ ص٢١١.

السبيل، ولم يأذنوا «عليهم السلام» بالنذر في ذلك.

ج: كما أن في صورة الدفاع عن الإسلام لا بد أن تتمحض النية في هذا الاتجاه، فلا تختلط الدواعي والنوايا.

الخوف على حياة الحسنين:

وقد رأينا مدى حرص علي «عليه السلام» على حياة الحسن والحسين «عليهما السلام» في صفين، فقد أمر جيشه بالاحتياط والمحافظة على حياتهما قائلاً: «فإنّي أنفس بهذين على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله»(١).

فكيف إذن.. يسمح لهما بالخروج مع سعيد بن العاص، أو غيره من نظرائه، الذين يرتكبون المجازر بواسطة الخداع والمكر في حق أهل مدينة بأسرها، بعد عجزهم عن فتحها، بعد أن صلّى بهم قائدهم صلاة الخوف في حربه مع أهلها..

وقد وصف أبو عمر في الإستيعاب سعيد بن العاص: بأنه كان فيه تجبُّر، وغلظة، وشدة سلطان(٢).

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص٢١٢ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٤ والمعيار والموازنة ص١٥١ وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج٤ ص٤٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٨٢ والإختصاص ص١٧٩ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٣٢٤.

(٢) راجع: الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٢ ص٦٢١ (ط دار الجيل) ج٢ ص٦٢٢ و ٦٢٣ وراجع: البيان والتبيين للجاحظ ص١٦٦ والأغاني ج٥ ص٩٩.

وظهرت منه أمور منكرة، واستبدَّ بالأموال(١).

الإمام الحسن وأسئلة الخضر:

روى الصدوق، عن أبيه ومحمد بن الحسن ، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن يحيى العطار، وأحمد بن إدريس جميعاً، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي هاشم داود بن قاسم الجعفري، عن أبي جعفر محمد بن علي الثاني «عليه السلام» قال:

أقبل أمير المؤمنين «عليه السلام» ذات يوم ومعه الحسن بن علي «عليه السلام»، وسلمان الفارسي «رحمه الله».. وأمير المؤمنين متكئ على يد سلمان، ودخل مسجد الحرام، إذا أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فرد عليه السلام، فجلس، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنهم ليسوا مأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: سلني عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟!

وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟!

وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟!

---

(١) راجع: مروج الذهب ج٢ ص٣٣٦ وبحار الأنوار ج٣١ ص١٥٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٤٢.

فالتفت أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى أبي محمد الحسن بن علي «عليه السلام»، فقال: يا أبا محمد، أجبه..

فقال «عليه السلام»: أما ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه، فإن روحه متعلقة بالريح، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح، وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت الروح، فاستكنَّت في بدن صاحبها..

فإن لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها، جذب الهواء الريح، فجذبت الريح الروح، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث.

وأما ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان.. فإن قلب الرجل في حُقٍّ، وعلى الحق طبق، فإن صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فأضاء القلب، وذكر الرجل ما كان نسي.

وإن هو لم يصلِّ على محمد وآل محمد، أو نقص من الصلاة عليهم، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق، فأظلم القلب، ونسي الرجل ما كان ذكره.

وأما ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله، فإن الرجل إذا أتى أهله، فجامعها بقلب ساكن، وعروق هادئة، وبدن غير مضطرب، فاستكنَّت تلك النطفة في جوف الرحم خرج الولد يشبه أباه وأمه.

وإن هو أتاها بقلب غير ساكن، وعروق غير هادئة، وبدن مضطرب، اضطربت النطفة، فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق.. فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من

عروق الأخوال أشبه الولد أخواله.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم أزل أشهد بها، أشهد أن محمداً عبده ورسوله، ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنك وصي رسوله والقائم بحجته ـ وأشار إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته ـ وأشار إلى الحسن «عليه السلام» ـ وأشهد أن الحسين بن علي وصي أبيك، والقائم بحجته بعدك، وأشهد على علي بن الحسين: أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على موسى بن جعفر: أنه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على علي بن موسى: أنه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى، وأشهد على علي بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسن بن علي، لا يسمى ولا يكنى حتى يظهر أمره، فيلمؤها عدلاً كما ملئت جوراً: أنه القائم بأمر الحسن بن علي، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته..

ثم قام ومضى، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يا أبا محمد، اتبعه، فانظر أين يقصد؟!

فخرج الحسن بن علي «عليه السلام» في أثره..

قال: فما كان إلا أن وضع رجله خارج المسجد، فما دريت أين أخذ من أرض الله عز وجل، فرجعت إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأعلمته.

فقال: يا أبا محمد، أتعرفه؟!

قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم.

فقال: هو الخضر(١).

ونقول:

الحق ـ بالضم ـ: وعاء من الخشب.

الطبق ـ محركة ـ: غطاء كل شيء.

متى حصل هذا؟!:

وأول سؤال يواجهنا هو: متى حصل هذا؟!

ونجيب:

بأنه حصل قبل وفاة سلمان.

وقد ذكر بعضهم: أن سلمان مات سنة ست، أو سبع وثلاثين. أي في أوائل خلافة أمير المؤمنين التي كانت سنة خمس وثلاثين.

وهذه التواريخ لوفاة سلمان «رحمه الله» لا تصح، فقد روى عبد الرزاق،

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١ ص٦٧ ـ ٦٩ وعلل الشرائع ج١ ص٩٦ ـ ٩٨ وبحار الأنوار ج٥٨ ص٣٦ ـ ٤٠ وج٣٨ ص٤١٤ ـ ٤١٦ وراجع: الكافي ج١ ص٥٢٥ ـ ٥٢٦ وكمال الدين ص٣١٣ ـ ٣١٥ ودلائل الإمامة ص١٧٤ ـ ١٧٦ والمحاسن للبرقي ص٣٣٢ و ٣٣٣ وإثبات الوصية ص١٣٦ ـ ١٣٨ والغيبة للطوسي ص١٠٧ و ١٠٨ وإعلام الورى ص٣٨٢ و ٣٨٣ والغيبة للنعماني ص٢٧ و ٢٨ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٩ ـ ١٢ و (ط أخرى) ج١ ص٣٩٥ ـ ٣٩٧ ومرآة العقول ج٦ ص٢٠٣ ـ ٢٠٦.

عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت[١].

وإنما مات ابن مسعود في قول البخاري قبل قتل عمر، وقال أبو نعيم وغيره: مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين[٢].

وهذا يدل على أن سلمان «رحمه الله» قد مات قبل ذلك، لأن المفروض: أن ابن مسعود قد حضر موت سلمان.

الخضر.. ومسائله:

لا شك في أن الخضر «عليه السلام» كان من عباد الله الصالحين، وفي بعض النصوص: أنه من الأنبياء[٣]، وقد شرب من عين الحياة التي في الظلمات، وهي العين التي من شرب منها بقي إلى الصيحة[٤].

وقد أظهرت هذه الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها: أن الخضر

---

(١) الإصابة ج٢ ص٦٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص١٢٠ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٥٥٢ وتهذيب التهذيب ج٤ ص١٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٥٢١.

(٢) الإصابة ج٢ ص٣٦٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٢٠٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣١٣ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٣٧ و ٢٤٦ وتحفة الأحوذي ج١ ص٦٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٩٣ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٢١٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٦٠

(٣) بحار الأنوار ج١٣ ص٢٨٦ و ٢٩٨.

(٤) بحار الأنوار ج١٣ ص٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ وج٥٢ ص١٥٢ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣ البرهان (تفسير) ج٣ ص٦٧٢ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٢٩٢ وكنز الدقائق (تفسير) ج٨ ص١٤١ والنور المبين للجزائري ص٢٩٧.

«عليه السلام» كان بصدد إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر، من طريقين:

أولهما: أن لديهم علوماً وأسراراً لا يعرفها أحد سواهم، وأن لعلمهم شمولية وسعة، فهو يشمل أسرار الخلق والتكوين، ولا يقتصر الأمر على الشريعة والأحكام.

بل يعمّ من أسرار التكوين، وعلوم الحياة، وسنن الخلق ما لا يمكن لأحد خصوصاً في تلك الحقبة أن يدَّعي أن له أدنى معرفة به.

ويلاحظ: أن الخضر «عليه السلام» قد جعل الإجابة على أسئلته مرتبطاً بمقام الإمامة، وميزاناً لمعرفة المحق من المبطل، والظالم من المظلوم فيها.. حيث قال: إن أخبرتني بهم علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم: أنهم ليسوا مأمونين في دنياهم، ولا في آخرتهم.

وإن تكن الأخرى، علمت أنك وإياهم شرع سواء.

الثاني: يريد أن يعرف الناس، كل الناس: أن الأئمة الإلهيين معروفون بأسمائهم وأنسابهم، وبحسب ترتيب ولاداتهم لدى أهل الإيمان، الذين يأخذون معارفهم من أنبياء الله وأوصيائهم، بالرغم من أن المولودين من الأئمة كانوا حين حصول هذه القضية ثلاثة أشخاص فقط.

وهذا يدل على أن هذا الخبر عن الأئمة وأسمائهم على الترتيب، أساسه الوحي، وقد تأكد ذلك: بأن هذا السائل حين غادر المجلس، ووضع رجله خارج المسجد، لم يدر الإمام الحسن الذي خرج لمراقبته، من أين أخذ من أرض الله عز وجل.. فرجع الحسن «عليه السلام» إلى أبيه، فأخبره، فقال «عليه السلام»: هو الخضر.

فهذا الغياب المفاجئ، قد أكد حقيقة: أن هذا السائل لم يكن إنساناً عادياً، ولاسيما إذا كان يختفي عن نظر الإمام الحسن «عليه السلام».

ونلاحظ هنا أولاً: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان يعرف الخضر، وقد التقى به في مرات سابقة، ولكنه أراد بإرساله الإمام الحسن «عليه السلام» لينظر أين يقصد: أن يهيئ للمفاجأة المتمثلة بتصرف غيبي من قبل الخضر، ليكون إخبار علي «عليه السلام» باسمه مستنداً إلى هذا التصرف الغيبي، الذي يبقي هذه الحادثة في الذاكرة إلى ما شاء الله، ولتتوفر الدواعي على تناقلها ونشرها بين الناس.

ونلاحظ ثانياً: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أرسل لكشف خبر الخضر ولده المطهر المعصوم بنص القرآن، والمأمون على الدين والدنيا، فلا مجال للريب فيما يخبره به..

ونلاحظ ثالثاً: أن الإمام علياً «عليه السلام» حين سأل الإمام الحسن «عليه السلام» عنه، إن كان يعرفه، إنما كان بعد أن أخبر عن غيابه عن نظره بصورة غير متوقعة، وفيها نوع من الإعجاز.

واللافت هنا: أن ولده الإمام الحسن لم يجبه على سؤاله، بنعم، أو بلا.. بل أجابه بكلمة محتملة، فقال: الله ورسوله، وأمير المؤمنين أعلم..

إذ يحتمل أن يكون الإمام الحسن والحسين «عليهما السلام» يعلمان أيضاً أنه الخضر.. ولكن بما أن هذا العلم، هو من علم الإمامة الخاص، بالأئمة «عليهم السلام».. لم يشأ أن يصرح بهذا الأمر، لأن المصلحة كانت تقضي: بأن يكون الذي يسميه هو أمير المؤمنين «عليه السلام» بالذات.

وملاحظة رابعة هي: أن الإمام علياً «عليه السلام» يخاطب الإمام الحسن «عليه السلام» بكنيته، فيقول له أكثر من مرة: يا أبا محمد. وهذا تكريم منه للإمام الحسن، لاستحقاقه «عليه السلام» له لعلمه، وطهارته، وموقعه من هذا الدين، ومكانته من رسول الله، ومقامه عند الله.

أسئلة الخضر:

وقد رأينا: أن أسئلة الخضر «عليه السلام» لم تكن عادية، فما بالك بأجوبتها الدقيقة والعميقة التي تحتاج لكشف مراداته منها إلى دراسة وتأمل بالغ من أهل الاختصاص.. وربما لا تجد من يملك المؤهلات والإمكانات لذلك، بسبب قصور العلم عن بلوغ هذه المراحل.. ولعل الزمن يكشف لنا من الحقائق والدقائق، ما يحل لنا بعض المشكلات، ويوضح بعض المبهمات..

ولا مجال لطرح هذه الأمور في هذا الكتاب، لأنها ليست من اختصاصنا، كما أن هذا الكتاب ليس معداً لذلك.

الناس.. والنسناس:

روى فرات بن إبراهيم، عن عبيد بن كثير، عن أحمد بن صبيح، عن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه، عن جده «عليهم السلام»، قال:

«قام رجل إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الناس، وأشباه الناس، والنسناس؟!

قال علي «عليه السلام»: يا حسن أجبه.

قال: فقال له الحسن «عليه السلام»: سألت عن الناس، فرسول الله «صلى

الله عليه وآله» الناس، لأن الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾(١). ونحن منه.

وسألت عن أشباه الناس، فهم شيعتنا، وهم منا، وهم أشباهنا.

وسألت عن النسناس، فهم هذا السواد الأعظم وهو قول الله تعالى في كتابه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٢)»(٣).

ونقول:

أوردنا هذا الحديث في سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٧ لأن الكليني وغيره رووا هذا الحديث على أساس: أن الحسين «عليه السلام» هو الذي أجاب على هذه الأسئلة..

وحيث إن فرات بن إبراهيم قد روى هذا الحديث مصرحاً: بأن المجيب على الأسئلة هو الإمام الحسن «عليه السلام»، فقد رأينا أن نذكره أيضاً في سيرة الإمام الحسن «صلوات الله وسلامه عليه»..

الإحالة على الإمام الحسن عليه السلام:

تقول الرواية: إن أمير المؤمنين أحال السائل على ولده الإمام الحسن «عليه السلام» ليجيبه على أسئلته.. وقد تكرر منه «عليه السلام» ذلك في أكثر من

---

(١) الآية ١٩٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٤ من سورة الفرقان.

(٣) تفسير فرات ص٩ و (بتحقيق محمد الكاظم سنة ١٤١٠هـ) ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢٤ ص٩٤ و٩٥ عنه.

مورد.

ولعل سبب ذلك هو: أن السؤال لم يكن على طبيعته، بل جاء على سبيل التحرش بالإمام، على أمل الظفر بفرصة تؤثر سلباً على ما شاع وذاع من علم لا يجارى ولا يبارى لدى علي «عليه السلام». وتفسح المجال للآخرين ليكون لهم نصيب في هذه الفضيلة، ولو بأن يتخذ من تردد أو إبطاء علي «عليه السلام» في الإجابة ذريعة لادِّعاء وجود وهن، في بعض نواحي هذا الصيت الذائع، والشائع.

فكان «عليه السلام» يحيل إلى أحد ولديه، لأن بعض الناس قد يحسب: أن أيّاً منهما لا يملك علم أبيه، وإذ هم يجدون: أن أبناء علي «عليه السلام» هم مثل علي قد زقوا العلم زقاً، ولديهم من العلم ما ليس لدى أحد من الناس.

ولا بد أن يسهم هذا الجو في ترسيخ اليقين بإمامة الحسن والحسين، وتعريف الناس: بأن إعلان إمامتهما على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن مجرد ثناء عابر، قد مرّ على الخاطر، يهدف إلى إعطاء نفحة من الزهو، والاعتداد بالنفس، وينتهي الأمر عند هذا الحد.. بل هو مقام الإمامة الراسخ والشامخ، الذي فاز به إبراهيم «عليه السلام»، بعد أن بلغ من الكِبر عتياً..

الجواب البرهاني:

وقد جاءت أجوبة الإمام الحسن «عليه السلام» على أسئلة الرجل برهانية وقرآنية، وجامعة، وحاسمة، فقد استدل بالآية الشريفة على التطبيق العملي في الواقع الخارجي حين بيَّن «عليه السلام» أن من البديهي أن يلتزم الناس في حجهم بالإفاضة من حيث أفاض الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

ولا يفيض كل منهم على هواه..

ومع أن الآية القرآنية لم تصرح باسم الرسول، ولا بوصفه الخاص، بل ذكرت إفاضة الناس. ومن المعلوم: أنه لا عبرة بإفاضة أحد من الناس سواه «صلى الله عليه وآله»، فعلم أنه هو الناس..

وإذا كان أهل بيت النبوة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نسباً وحسباً، وسلوكاً، وأخلاقاً، وعلماً، وديناً، وتقوى، وهم حماة دينه، وأعلام هداياته، وحملة راياته وأعلامه.. فهم الناس أيضاً، ولذا قال «عليه السلام»: «ونحن منه».

وإذا كان شيعة النبي وأهل بيته، هم أشباهه «صلى الله عليه وآله»، وأشباه أهل بيته، فهم أشباه الناس.

وهذا استدلال منطقي عقلي، مقنع، ومقبول، ولا نقاش فيه.

ثم تأتي الفقرة الثالثة لتجيب على السؤال الثالث، مطبقة الآية الكريمة على الواقع القائم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]. حيث لا يمكن لأحد إنكار الواقع، كما لا يمكن لأحد إلا أن يخضع للنص القرآني الواضح والصريح.

---

(١) الآية ٤٤ من سورة الفرقان.

الفصل الرابع

الإمام الحسن عليه السلام والدفاع عن عثمان..

بداية:

إن سياسات عثمان وعماله، وتعدياتهم على الناس وحقوقهم، واضطهادهم لهم، وبطشهم بهم.. بالإضافة إلى سياساتهم المالية، التي كانت تقضي بتوزيع الأموال والإقطاعات، فضلاً عن المناصب على الأقارب والأعوان، والأصهار والمتزلفين.. هذا عدا عن الإختلالات السلوكية، والتعدي على الشرع والأخلاق من قبل الكثيرين منهم ـ إن ذلك كله ـ قد أوجد حالة من الرفض، والإعتراض من الناس، فقوبلت بالشدة والبطش، والعدوان، والتمادي والإصرار على هذه السياسات الظالمة، وغير الأخلاقية..

وكان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يحاول رأب الصدع وإصلاح الأمور، فيبذلون له الوعود، ويعطونه العهود، ثم يظهر: أنهم يصرُّون على عدم الوفاء، ويجهدون لفرض الأمر الواقع، وتكريس السياسات التي اعتمدوها، ومارسوها مهما كان الثمن، ومهما بلغت النتائج.

حتى بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطُّبْيَيْن(١). وثار الناس على عثمان،

---

(١) الزبية: الرابية التي لا يصل إليها الماء. والحفرة في موضع عال يصاد بها الذئب أو الأسد. الطبي: حلمات الضرع للتي تكون من خف، وظلف، وحافر، كالسبع. وأكثر ما يكون الطبي للسباع.

في الأقطار والأمصار، كمصر، والعراق، وحتى الصحابة في المدينة. بما فيهم طلحة والزبير، وكانت عائشة من أشد المحرضين على قتل عثمان، وكانت تشبهه برجل يهودي اسمه نعثل، وكلمتها المشهورة: أقتلوا نعثلاً فقد كفر، قد سارت بها الركبان(١).

وقد شاع وذاع قول الشاعر:

فمنك البداءُ ومنك الغِيَرْ ومنك الرياح ومنك المطرْ

وأنتِ أمرتِ بقتلِ الإمام وقلت لنا إنه قد كفر

ومن أراد الاطِّلاع على المزيد، يمكنه الرجوع إلى كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١٨.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣٢ ص١٤٣ و ١٦٧ والغدير ج٩ ص٨٠ والفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي ص١١٥ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٤٠ وج١١ ص٥٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٤٥٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٣ ص٤٧٧ وراجع: الكامل في التاريخ ج٣ ص٢٠٦ والفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٣٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٥٦ و (ط المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٢٠ هـ) ج٣ ص٢٨٦ وتذكرة الخواص ص٦١ و ٦٤ والخصائص الفاطمية للكجوري ج٢ ص١٥٧ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص٢٥ وصلح الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص٣١٣ وعن العقد الفريد ج٣ ص٣٠٠ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص١٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٤٤٢ والغدير ج٩ ص٨٠ و ٨٥ و ١٤٥ و ٢٧٩ و ٣٢٣ و ٣٥١ وج١٠ ص٣٠٥ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص٥١ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٧٢.

الحسنان في نصرة عثمان:

ويذكر عدد من الرواة والمؤرخين: أن علياً «عليه السلام» أرسل ولديه: الحسن والحسين «عليهما السلام» للدفاع عن عثمان حين حاصره الناس. بل قال فريق منهم: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد جرح في دفاعه عنه، ثم تسور الثائرون الدار عليه وقتلوه.

وزعموا أيضاً: أن علياً «عليه السلام» لما بلغه الخبر، جاء كالواله الحزين، فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين «عليهما السلام»، وشتم آخرين، منكراً عليهم أن يقتل عثمان، وهم على الباب[١].

بل في بعض المصادر: أن الحسن «عليه السلام» قاتل قتالاً شديداً، حتى كان عثمان يستكفّه وهو يقاتل عنه، ويبذل نفسه دونه[٢].

غير أننا نقول:

إن الأمر لم يكن بهذه الصورة التي ظهرت فيها هذه المبالغات لحاجات

---

(١) راجع: الصواعق المحرقة ص١١٥ و ١١٦ ومروج الذهب ج٢ ص٣٤٤ و ٣٤٥ والإمامة والسياسة ج١ ص٤٤ و ٤٣ وأنساب الأشراف ج٥ ص٧٠ و ٦٩ و ٧٤ و ٨٠ و ٩٣ و ٩٥ والبدء والتاريخ ج٥ ص٢٠٦، وتاريخ مختصر الدول ص١٠٥ وسيرة الأئمة الإثني عشر ج١ ص٥٢٧ و ٥٤٠ عن ابن كثير، وتاريخ الطبري ج٣ ص٤١٨ و ٤١٩ ودلائل الصدق ج٣ قسم ١ ص١٩٣ عن بعض من تقدم وعن ابن الأثير، وابن عبد البر، والفخري في الآداب السلطانية ص٩٨ وفيه: أن الحسن قاتل قتالاً شديداً، حتى كان يستكفه، وهو يقاتل عنه، ويبذل نفسه دونه، والعقد الفريد ج٤ ص٢٩٠ و ٢٩١.

(٢) راجع: الفخري في الآداب السلطانية ص٩٨.

في أنفس صانعيها ومطلقيها..

ونحن نذكر هنا بإيجاز شديد، واختصار أكيد، بعض ما يوضح الأمر، فنقول:

موقف علي من قتل عثمان:

إن من يراجع النصوص والمصادر يجد: أن موقف علي «عليه السلام» من قتل عثمان لا يتلاءم مع كل هذا الذي يذكرونه، بل هو ينافيه، وينفيه.

ومن أقوال علي «عليه السلام» التي شاعت وذاعت قوله: «إن عثمان استأثر، فأساء الإثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع»(١).

ويصرح أيضاً: بأن قتل عثمان ما ساءه ولا سره(٢).

بل رووا عنه أنه قال: «من كان سائلاً عن دم عثمان، فإن الله قتله، وأنا معه»(٣).

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص٧٥ و ٧٦ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٤ ص٨١ وكشف المحجة لابن طاووس ص١٨١ وبحار الأنوار ج٣١ ص٤٩٩ والغدير ج٩ ص٦٩ ونهج السعادة ج٥ ص٢٢٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص١٢٦ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٢٧.

(٢) راجع: شرح الأخبار ج٢ ص٨٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦١٠ والغدير ج٩ ص٧٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص١٢٨.

(٣) راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٨٥ والشافي في الإمامة ج٤ ص٣٠٨ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٢٩٤ وكنز العمال ج١٣ ص٩٧ عن ابن أبي شيبة، ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص١٩٢ والعمدة لابن البطريق ص٣٣٩

والدعائم التي ارتكز عليها هذا الموقف منه «عليه السلام» هي:

ألف: أن عثمان كان مخطئاً في سياساته في الناس، وممارسة القهر لهم، والحيف عليهم، وفي حمايته لعماله الفاسدين، وفي سياساته في بيت المال. وغير ذلك مما لهج به التاريخ، وأظهرته النصوص..

ب: إنه لم يستجب لكل جهود الإصلاح التي بذلها علي «عليه السلام» لإعادة الأمور إلى نصابها، ولو بمقدار يسير..

ج: إنه كان يعد ويخلف وعده..

د: إنه لم يكن يكتفي بخلف الوعود، ونقض العهود، بل كانت الأمور تتكشف عن خطوات تصعيدية يتخذها تجاه منتقديه، ومطالبيه بالإنصاف والعدل.. وكانت هذه الخطوات تصل إلى حد ظهور أن الهدف منها هو الإبادة والاستئصال للمعترضين، أو من قدر على استئصاله منهم. وقد اعتدى على كبار الصحابة، وأعيان البلاد والعباد بالضرب المبرح، والإهانات، والأذايا المختلفة.

هـ: ثم تفاقمت الأمور حتى صار يظهر نفرته الشديدة وتضايقه ممن ينصحه، حتى من علي «عليه السلام» الذي كان يعمل جاهداً لدرء الخطر، وتصحيح المسار، ولو بصورة جزئية.

و: إن طريقة تعامل علي «عليه السلام» مع ما كان يجري تُظهر: أنه «عليه

وبحار الأنوار ج٣١ ص١٦٥ و ٣٠٨ وتأويل مختلف الحديث ص٤٠ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٤ ص١٢٦٨ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٣٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص٦٦.

السلام» كان لا يريد أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه، لأن قتل عثمان بهذه الطريقة الغوغائية، والعشوائية، ستكون له عواقب وسلبيات خطيرة، على الواقع العام، وعلى الدين وأهله، لأن ذلك قد يتسبب بانفلات زمام الأمور، ويكون سبباً لتسلط طواغيت وجبابرة، وأصحاب أطماع على رقاب الناس، ويقع الناس بأشر وأضر مما هربوا منه.

ولم يكن علي «عليه السلام» بالذي يرضى بأن تسير الأمور بهذا الإتجاه الخطير، ولأجل ذلك نراه ينبه الثائرين على عثمان إلى سوء ما عقدوا العزم عليه، وفيما يمارسونه من منكرات، كالمنع من وصول الماء للمحاصرين، ويبادر إلى العمل على نقض قرارهم هذا، ويرسل الماء إلى بيت عثمان مع ولديه، وأعز ما في الوجود عليه.

ز: كما أنه كان يعرف أن متزعمي الهجوم على عثمان، والساعين لقتله، كطلحة والزبير، ومن كان يتربص به الدوائر، كمعاوية ليسوا بأطهر وأعف، وأصلح من عثمان، بل لو تحكموا في رقاب الناس، لكانوا أقسى من عثمان، وأحرص على مخالفة الشرع والدين..

ح: كما أنه حين بلغ السيل الزبى، أرسل ولديه إلى عثمان ليعرضا عليه المساعدة لإخراجه من محنته، ولكنه رفض ذلك، وطلب منهما أن يعودا إلى بيوتهما، كما صرحت به العديد من الروايات(١).

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٢٢٨ و ٢٣١ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٨٩ والفتنة ووقعة الجمل ص٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٣٢١ و ٣٩٠ والرياض النضرة ج٢ ص٢٦٩ والإمامة والسياسة ج١ ص٣٩ وأنساب الأشراف

ولعل علياً «عليه السلام» كان يأمل أن تثمر هذه المبادرة لو قبلها عثمان بعض المرونة في موقف الخليفة، وتسنح الفرصة لدرء الخطر إذا وفى عثمان بما يعد به..

ط: كما كان «عليه السلام» لا يريد أن يقتل عثمان بهذا النحو، لأنه قد يعقد الأمور.. ولا يتوافق مع المقررات الشرعية، ولو من ناحية الإجراءات والشكليات.

ولئن كان يخطِّئ الثائرين في أسلوب عملهم، فإنه أيضاً كان يخطِّئ عثمان، ويدين سياساته.

ولذلك قال: استأثر، فأساء الإثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، كما تقدم.

ي: ويبدو لنا: أن سبب رفض عثمان هذا العرض أمران:

أولهما: أنه لا يريد أن يكون لعلي وبني هاشم وشيعتهما ومحبيهما فضل عليه..

الثاني: أنه كان يأمل أن تصل النجدة إليه من قبل معاوية، وأهل الشام.. ولذا نراه قد جمع الرجال حوله لمطاولة الثائرين إلى أن يأتيه المدد من معاوية[١].

ج٥ ص٩٤ و ٧٨.

(١) راجع: دلائل الصدق ج٣ ق١ ص١٩٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٢٠٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق١ ص١٤٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص١٥١ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٧٠ و ١٧١ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٤٣ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٠٤ والغدير ج٩ ص١٧٦.

معتقداً: بأن جيش معاوية سيرجحون كفة سلطانه، وسيسحق بهم مناوئيه، ويفرض سياسته على الناس، بصورة أشد وأعتى، وأقوى، وربما بمزيد من القسوة في الإنتقام والتشفي.

ولكن غاب عن بال عثمان: أن ما أمله ليس إلا كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله تعالى عنده. فإن معاوية كان يريد لعثمان أن يقتل، وقد أمر قائده الذي جعله على ذلك الجيش بالتلوم، وإهدار الوقت في الطريق، فلا يصل إلى عثمان إلا بعد أن يقتل(١).

وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة تشهد وتؤيد هذا الأمر في كتابنا الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» الجزء الثامن عشر.

علي عليه السلام ضرب، ولطم، وشتم:

وبالنسبة لما زعموه، من أن علياً «عليه السلام» قد لطم الحسن، وضرب صدر الحسين «عليهما السلام»، وشتم آخرين، نقول:

إنه لا يمكن قبوله، للأمور التالية:

١ ـ أي ذنب اقترفه الحسنان استحقا به اللطم والضرب؟!

٢ ـ كيف بادر «عليه السلام» إلى لطمهما دون أن يسألهما عما جرى، وما الذي فعلا؟!

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٩٨ والغدير ج٩ ص١٥٠ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٤ ص١٢٨٩ والنصائح الكافية ص٢٠ عن البلاذري، والإمام علي بن أبي طالب، سيرة وتاريخ ص١٦٦.

٣ ـ إن كان قد بلغه عنهما أمر، فإن من حقهما: أن يسألهما عن صحة ما بلغه، وعن سبب حصوله.

٤ ـ إن القرآن الكريم صرَّح بعصمتهما من كل ذنب، وتقصير.

٥ ـ إذا كان الدفاع عن عثمان واجباً، فلماذا قعد عنه علي «عليه السلام»، وهو أقدر على الدفاع من غيره، حتى من ولديه، بلحاظ ماله من هيبة، وعظمة في النفوس؟!

٦ ـ إذا كان الحسن قد جرح في الدفاع عن عثمان، فلماذا لم تشفع له دماؤه عند والده، وتنجيه من لطمه؟!

٧ ـ من هم الآخرون الذين شتمهم علي «عليه السلام»؟! ولماذا لم يذكر اسم ولا وصف أحد منهم؟!

٨ ـ هل كان علي «عليه السلام» شتاماً حقاً؟!

٩ ـ ولو كان لعثمان هذه المكانة عند علي، فلماذا لم يتدخل لتشييعه بعدما قتل بصورة لائقة؟!

ولماذا لم يمنع من دفنه في مقابر اليهود، في حش كوكب؟!

ولماذا لم يصر على دفنه في مقابر المسلمين؟!

جرح الإمام الحسن عليه السلام:

وقد تقدم قولهم: إن الحسن «عليه السلام» قد جرح في دفاعه عن عثمان حتى خضب بالدماء.

ونقول:

أولاً: إن هذا لا ينسجم مع الروايات التي تقول: إن عثمان لم يرض من الحسنين بأن ينصراه، وطلب منهما أن ينصرفا، فانصرفا..

بل في بعض الروايات: أن مروان قد أسمعهما ما يكرهان.

ثانياً: إن هذا لا يتلاءم مع ما ظهر من حرص علي «عليه السلام» على حياتهما «عليهما السلام»، فقد طلب من الناس في صفين: أن يمنعوهما من المخاطرة بنفسيهما، لئلا ينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟![1].

وها هو يضرب ويلطم ولديه، وأحدهما جريح مخضب بالدماء، فلماذا يفرط فيهما هنا في الدفاع عن عثمان، ولا يفرط فيهما في صفين؟!

فهل لو قتلا دفاعاً عن عثمان لا ينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينقطع هذا النسل الشريف لو قتلا في صفين؟!

---

(١) راجع: المعيار والموازنة ص١٥١ ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٨٦ ومعارج نهج البلاغة لابن زيد البيهقي ص٣١٤ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٤ ص١٤ وعمدة الطالب ص٦٦ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٥٦٢ وج٤٢ ص٩٩ وج٤٣ ص٢٣٤ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٤ وج١١ ص٢٥ وربيع الأبرار ج٤ ص٢٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٦٠ و (ط الإستقامة) ج٤ ص٤٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٤٩٢ و ٤٩٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٣١٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص٦١ وتجارب الأمم ج١ ص٥٥٢ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٢٤ ووقعة صفين للمنقري ص٥٣٠ وكشف الغمة ج٢ ص٢٣٥ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٢٥ والإختصاص ص١٧٩ وتذكرة الخواص ص٣٢٤.

ثالثاً: إذا كانا قد دافعا عن عثمان إلى هذا الحد، فلماذا يقول عمرو بن العاص للإمام الحسن «عليه السلام» حين رآه يطوف بالبيت.

«أومن الحق أن تطوف بالبيت، كما يدور الجمل بالطحين، عليك ثياب كغرقئ البيض، وأنت قاتل عثمان؟!»(١).

فلماذا لم يجبه الإمام الحسن «عليه السلام»: بأنه قد دافع عن عثمان بسيفه، وجرح وتخضب بالدماء، وتعرض للطم من أبيه، لاعتباره إياه مقصراً أيضاً، بالرغم من ذلك كله؟!

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه وقاحة عظيمة من عمرو بن العاص، أن يتهم أبرأ الناس من دم عثمان بأنه قاتل عثمان، وقد قيل: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

كلمة أخيرة:

ونقول أخيراً:

إننا لم نجد بني أمية عتبوا على عائشة، أو طلحة والزبير، ومعاوية، وعمرو بن العاص على عدم نصرتهم لعثمان، وتحريضهم عليه، وتكفير بعضهم له. ولكنهم يصرون على اتهام أبرأ الناس من دمه بأنهم حرضوا وألبوا على عثمان هم وشيعتهم ومحبوهم!! وقديماً قيل: ما عشت أراك الدهر عجباً!!

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٧ و ٢٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٢ والعوالم ج١٦ ص٢٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٢٢٥ عن البيهقي في المحاسن والمساوي (ط بيروت) ص٨٦ عن الجاحظ في المحاسن والأضداد.

الفهرس